



الجمهورية اليمنية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأندلس للعلوم والتقنية
عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم الدراسات الإسلامية

العلاقات الاجتماعية في حياة أولي العزم من الرسل عليهم السلام

في ضوء القرآن الكريم

رسالة مقدمة من الطالب

سعيد بلعيد ربيع بارفعه

إلى

مجلس الدراسات العليا والبحث العلمي، استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في
الدراسات الإسلامية

إشراف

أ.د/ رياض فرج بن عبدات

١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التاريخ: 2019/4/20
المرقات: لا يوجد
المرجع: ()



جامعة الاندلس

للعلوم والادب

مدرسة الجامعة

عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي

قرار لجنة مناقشة رسالة ماجستير رقم (88)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين... وبعد:
تم بحمد الله وتوفيقه يوم السبت بتاريخ: 15/ شعبان / 1440 هـ الموافق: 20/ 2019/4 م. اجتماع اللجنة المشكّنة بقرار
مجلس الدراسات العليا رقم (4) بتاريخ: 30/ 2019/1 م
لمناقشة الطالب/ة: سعيد بلعيد ربيع بارفعة الكلية: الآداب والعلوم الانسانية التخصص: دراسات اسلامية
في رسالته التي هي بعنوان:

العلاقات الاجتماعية في حياة اولي العزم من الرسل في ضوء القرآن الكريم

وبعد مناقشة علنية للطالب من الساعة (١١:٠٠) إلى الساعة (١٣:٠٠) بحضور أعضاء اللجنة المناقشة. اتخذت اللجنة القرار
التالي:

- إجازة الرسالة وبنح الطالب معدل () بتقدير ()
- إجازة الرسالة مع إجراء التعديلات عليها بمعرفة المشرف وبنح الطالب معدل () بتقدير ()
- إجازة الرسالة مع إجراء التعديلات بمعرفة المشرف وموافقة الدكتور. (الخبير المحكم بالرسالة) بمعدل (٩٠ %) بتقدير (ممتاز)

أسماء لجنة المناقشة والحكم

م	اسم المناقش	الصفة	الدور في المناقشة	التوقيع
1	أ.د. علي محمد مقبول الأهل	بديلا عن المشرف	رئيسا	
2	أ.م.د. صان علي شريان	مناقشا	عضوا	
3	أ.م.د. محاهد يحيى هادي	مناقشا	عضوا	

يعتمد...

عميد الدراسات العليا
أ.م.د. يحيى عبدالرزاق قطران

مدير الدراسات العليا
أ. محمد عبدالملك جعمان

المختص
أ.وليد محمد هريره

استهلال

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَّغٌ فَمَهْلٌ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾ [الأحقاف: ٣٥]

عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ، فَلَا يُوذِ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ،
فَلْيَقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيصْمُتْ) (١)

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر، باب: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَلَا يُوذِ جَارَهُ ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ (١١/٨)
ومسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار
إحياء التراث العربي - بيروت بابُ الْحَبِّ عَلَى إِكْرَامِ الْجَارِ وَالضَّيْفِ، وَلُزُومِ الصَّمْتِ إِلَّا عَنِ الْخَيْرِ وَكَوْنِ ذَلِكَ كُلِّهِ مِنَ
الْإِيمَانِ (٦٨/١)

إهداء

إلى أحبِّ الخلق إلى قلبي، إلى من تتوق بالشوق لرؤياه عيناى، وتتشوق لشفاعته نفسي،
إلى رسول الله ﷺ.

إلى من جعلهما الله سبباً لوجودي في هذه الحياة (أمي وأبي).
إلى إخوتي .

إلى زوجتي وأولادي .

إلى كل طالب علم يبتغي مرضاة الله تعالى.

إلى هؤلاء أهدي بحثي هذا، وأسأل الله أن يجعله عملاً متقبلاً خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به وينفع
كل من يحب القرآن وأهله.

الباحث

شكر وتقدير

انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿لَيْنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ وتادباً بأدب الشكر الذي يطيب للمسلم التجميل به، فإني أحمد الله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه أن منّ عليّ بإتمام هذا البحث، فله الحمد والشكر. ثم أتقدم بالشكر والعرفان إلى من لم يدخر جهداً ولا وقتاً إلا وبذله لدعم هذا البحث، أستاذي ومشرفي الدكتور/ رياض فرج بن عبدات، فقد سعدت بتوجيهاته الثمينة ومتابعاته الحثيثة التي لولاها بعد الله لما اكتملت الرسالة، فجزاه الله عني خير الجزاء.

ولا يفوتني أن أشكر اساتذتي الفضلاء الذين تفضلوا بقبول مناقشة الرسالة على ما سيقدمونه لي من نصائح وتوجيهات، سيكون لها عظيم الأثر في إثراء هذه الرسالة وهم:

الأستاذ الدكتور / علي محمد مقبول الأهدل حفظه الله

الأستاذ الدكتور / حسان علي شريان حفظه الله

الأستاذ الدكتور / مجاهد يحيى هادي حفظه الله

كما أقدم شكري وامتناني إلى : الصرح العلمي الكبير - جامعة الأندلس - التي فتحت لي أبوابها، لأنهل من معين علمائها الصافي، وأحصل على شرف الانتساب والانتماء إليها.

كما أقدم شكري الجزيل لكل من ساعدني، ومدّ يد العون لي في إنجاز هذا العمل، فلهم جميعاً مني عظيم الشكر والامتنان .

وأسأل الله العظيم أن يثيب الجميع ويجزيهم خير الجزاء.

ملخص البحث

إن العلاقات الاجتماعية لها دور فعال في جميع مجالات الحياة على مستوى الشعوب والأفراد، فهي عبارة عن الروابط والآثار المتبادلة بين الأفراد في المجتمع، والتي تنشأ نتيجة اجتماعهم وتبادل مشاعرهم واحتكاكهم ببعضهم البعض ومن تفاعلهم، والقرآن الكريم ذكر لنا نماذج كثيرة من العلاقات الاجتماعية لا سيما في حياة الانبياء عليهم السلام، وقد تطرقت إلى حياة أولي العزم منهم فوجدت أن العلاقات الاجتماعية في حياتهم عليهم السلام لها الأثر البالغ في حياة الأمم والشعوب.

وُعُنيت العلاقات الاجتماعية في حياة أولي العزم من الرسل - عليهم السلام - بأوفر نصيب من البحث والتنوع في بيان الأساليب والوسائل.

اتبع الباحث المنهج الاستقرائي الوصفي والمنهج الاستنباطي في هذا البحث؛ لما لذلك المنهج من مناسبة صادقة الأثر في تحقق آثار البحث وغاياته.

وقد انتظمت الدراسة في : ثلاثة فصول تسبقها مقدمة تتضمن أسباب اختيار الموضوع وأهميته، وخطة البحث ، ومنهج البحث، يليها الفصل الأول: أولو العزم من الرسل عليهم السلام ومفهوم العلاقات الاجتماعية :

وفيه مبحثان: الأول: أولو العزم من الرسل، وفيه مطلبان : أولو العزم من الرسل. مفهوم العلاقات الاجتماعية، الثاني: مقاصد وأسس العلاقات الاجتماعية ، وفيه مطلبان: مقاصد العلاقات الاجتماعية في الإسلام، أسس العلاقات الاجتماعية. الفصل الثاني: أولو العزم من الرسل والعلاقات الاجتماعية الخاصة وفيه مبحثان: الأول: علاقة أولي العزم من الرسل بزوجاتهم وأولادهم. وفيه مطلبان: علاقة أولي العزم من الرسل بزوجاتهم. علاقة أولي العزم من الرسل بأولادهم.

الثاني: علاقة أولي العزم من الرسل بأبائهم وإخوانهم: وفيه ثلاثة مطالب: والذي رسول الله، علاقة أولي العزم من الرسل بأبائهم. علاقة أولي العزم من الرسل بإخوانهم. الفصل الثالث: أولو العزم من الرسل والعلاقات الاجتماعية العامة، وفيه مبحثان: الأول: علاقة أولي العزم من الرسل بقومهم وبالجار والضيف وفيه مطلبان: علاقة أولي العزم من الرسل بقومهم. علاقة أولي العزم من الرسل بالجار والضيف. الثاني: علاقة أولي العزم من الرسل بالراعي والرعية، وفيه مطلبان: علاقة أولي العزم من الرسل بالراعي، علاقة أولي العزم من الرسل بالرعية.

وفي الخاتمة تم استعراض النتائج التي توصلت لها الدراسة وبها جملة من التوصيات وهي على النحو الآتي:

النتائج من أهمها :

- العلاقات الاجتماعية تعد أهم العلاقات التي يجب العناية بها ، والحرص على تقويتها وتعزيزها.
- كانت العلاقات الاجتماعية في حياة أولي العزم من الرسل - عليهم السلام - ملاذ آمن للمجتمع إذ يحقق اللحمة الاجتماعية بين أطرافه، ويبلغ المجتمعات مقومات الأمن والسلامة .

- تميزت العلاقات الأسرية والاجتماعية في بيوت أولي العزم من الرسل - عليهم السلام - بالتنوع والمناسبة وجودة التأثير.

التوصيات ومنها الآتية :

- العناية بالعلاقات الاجتماعية بشكل عام والأسرية بشكل خاص والاجتهاد في تحصيل وجودها وحفظها وتنوع وسائل تعزيزها.
- أن من الواجب على الحكام والآباء والدعاة الاستفادة مما كتب حول المجتمعات النبوية، وخصائصها، وتطويرها لتكون مادة عملية حافظة لأصول العلاقات ومجددة لفروعها ومنبثة لوسائلها.
- العناية بأسس العلاقات الاجتماعية والأسرية، فهي الأساس الحقوقي، والأخلاقي والنفسي.
- الاعتناء بالمؤسسات والمراكز الخاصة بدراسة المجتمع ومعالجة مشكلاته لما له من أهمية بالغة في حفظ السلم الاجتماعي وتقوية المجتمعات .

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن الله تعالى أنزل القرآن الكريم، وجعله تبياناً لكل شيء وهدى ونوراً، فتضمن الدين كله عقيدة وشريعة، بأبسط الأدلة وأقواها وأقربها للفطرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ وَتُرُ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴾ [هود: ١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الاسراء: ٩]، وقد أولى المسلمون كتاب الله عناية كبيرة، ومن صور تلك العناية الاهتمام بتفسيره وبيان معانيه، وتوضيح أحكامه وبيان كل ما يصلح الفرد والمجتمع .

وقد تنوعت أساليب القرآن الكريم لبيان وتوضيح هذه الأحكام ومن تلك الأساليب التي تبين أحكام الشريعة وتعالج مشاكل البشرية أسلوب القصة، وورد في القرآن الكريم قصص كثيرة ومن ضمنها قصص الأنبياء والرسل ومنهم أولو العزم عليهم السلام، وقد تطرق الباحث من خلالها إلى الجوانب الاجتماعية والأسرية في حياتهم، وقد قام الباحث باختيار قصصهم؛ لأنها تطرقت إلى عدة جوانب من العلاقات الاجتماعية فقد ورد نكرهم آباء وأبناء وأزواجاً وإخواناً ونماذج من تعاملهم مع الآخرين واهتمامهم بالعلاقات الاجتماعية الأخرى، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَأْتِيَتْ إِيَّيَ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ٤٥ ﴾ [مريم: ٤٥].

وقوله جل في علاه قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْرِلٍ يُبْنَىٰ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ٤٢ ﴾ [هود: ٤٢]، وقوله: ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ [الفصص: ٣٤]

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَأْتِيَتْ إِيَّيَ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبَعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ٤٣ ﴾ [مريم: ٤٣]، وقال عز وجل: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ٣٧ ﴾ [الأحزاب: ٣٧]

أولاً : مشكلة البحث:

تعد العلاقات الاجتماعية أداة إعمار الكون وتحقيق غاياته، وهذا أمر بدهي ومسلم به، مما جعل الإنسان يتطلع لأنموذج يصور العلاقات الاجتماعية تصويرًا يشخص المجتمعات ويصور تفصيلاتها ، إن أفضل أنموذج عرفته البشرية هو أنموذج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وإن أولي العزم منهم أنموذج أمثل وحقيقة ناصعة أولى بالاهتمام و أخرى بالدراسة.

وسيقوم الباحث من خلال بحثه هذا بالإجابة عن السؤال الآتي:

- ما أبرز الأسس التي قامت عليها العلاقات الاجتماعية في حياة أولي العزم من الرسل عليهم السلام؟

ثانيًا : أهداف البحث:

تسعى هذه الدراسة إلى الوصول إلى الأهداف الآتية:

١. التعريف بالعلاقات الاجتماعية وتحديد مفهومها.
٢. بيان منهج القرآن في العناية بالأسرة المسلمة.
٣. فهم حياة أولي العزم من الرسل عليهم السلام وإدراك أصول علاقاتهم الاجتماعية .
٤. إبراز الأسس التي قامت عليها العلاقة الاجتماعية في حياة أولي العزم من الرسل عليهم السلام.
٥. إظهار أهم أساليب أولي العزم من الرسل في علاقاتهم الاجتماعية .

ثالثًا : أهمية البحث:

تكمن أهمية الدراسة في الآتي:

١. قيمة الموضوع علميًا ؛ إذ يتعلق بأولي العزم من الرسل عليهم السلام، والذي قال الله تعالى فيهم: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغٌ فَبَلَغٌ فَبَلَغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [الأحقاف: ٣٥].
٢. مكانة الموضوع علميًا؛ فهو وثيق الصلة بالمجتمعات وأحوالها ، فردًا وأسرة ومجتمعًا، أبا وزوجًا وابتًا، وهذا كله يمثل الحياة بتفصيلاتها الدقيقة.
٣. كون الموضوع مادة تأصيلية لعلوم التربية إذ يتناول أسسًا تربوية أصلها القرآن مصدرًا للتربية الإسلامية ومنهجًا للحياة.
٤. هذه الدراسة معالجة حقيقية لاستقامة الحياة، فهي تعنى بالعلاقات الاجتماعية الخاصة والعامّة التي تمثل حصنًا يؤسس لحماية الأمن الاجتماعي .

سبب اختيار الموضوع:

وقد دعاني إلى اختيار هذا الموضوع عدة أسباب منها:

- ١- التقرب إلى الله تعالى؛ إذ إن دراسة أولي العزم من الرسل دراسة قرآنية غوص في القرآن الكريم حرفًا وكلمةً ومعنى، يتطلّع به العقل والروح ترويضًا وتزكية.
- ٢- جدة أهمية الموضوع؛ كونه متعلقًا بأفضل الخلق وخير الرسل الذين يوطنون أكناف الحياة سهلةً عنوانًا للرشد وملاذًا للإنسان فردًا وأسرّةً ومجتمعًا.
- ٣- الرغبة الشخص في إدراك كنه العلاقات الأسرية وفق منهج طيب المنبت طاهر السقي سامية الأثر طلعه نضيد.

رابعًا: حدود البحث:

ليس للبحث حدود مكانية غير أن له حدودًا زمانية، تتمثل في أن هذه الدراسة تتناول العلاقات الاجتماعية في حياة أولي العزم من الرسل عليهم السلام، لفترة زمنية محددة من تاريخ البشرية وهي فترة حياة أولي العزم عليهم السلام، حسب ما ورد في القرآن الكريم.

وللبحث حدودٌ موضوعية وهي الآيات التي تناولت حياة أولي العزم من الرسل وما أقامته من أسس تعتمد على العلاقات الاجتماعية والأسرية في حياتهم، وما تمثله من أسباب الرشد والأمن لمن اقتفى أثرهم؛ وذلك بالرجوع إلى كتب التفسير وغيرها من علوم الشريعة، التي تجمع أصول ذلك وتبرزه إضافة إلى البحوث والرسائل العلمية ذات العلاقة.

خامساً: الدراسات السابقة:

من خلال اطلاع الباحث على مجموعة دراسات وبحوث لم يجد بحثاً يتعلق بالعلاقات الأسرية والاجتماعية في حياة أولي العزم عليهم السلام، لكن الباحث وجد من يتحدث عن العلاقات الاجتماعية في القرآن ووجد دراسات متفاوتة قريباً وبعيداً عن هذا الموضوع؛ ومن هذه الرسائل التي وقف عليها الباحث:

١- دراسة الجاللي^(١)، عبدالله بن حمد: (وعنوانها العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم والفكر الاجتماعي المعاصر، رسالة دكتوراة، جامعة البنجاب، لاهور قسم اللغة العربية ١٤١٢هـ).

وقد كانت هذه الرسالة في مقدمة وخاتمة.

وكان من أهم ما توصلت له الدراسة ما يلي:

- بيان صفات المجتمع المسلم ووصفه بالمجتمع الذي تسوده المحبة والإخاء في ذات الله، كما وصفه القرآن الكريم ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤].

- ووصفه بالمجتمع الذي رباه محمد ﷺ فهو المثل الذي يقتدى به عليه الصلاة والسلام قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

- التأكيد على أن في القرآن الكريم تربية عالية للأمة الإسلامية.

- بيان مفهوم العلاقات الاجتماعية بأنها: الصلات التي تربط كل فرد من أفراد الأسرة، وكل أسرة بأسرة، وكل بلد ببلد، وفي آخر الدائرة تربط المسلم بالمسلم في أي مكان من الأرض، هذه هي العلاقة، والمجتمع معناه: مجموعة تلك الأسر التي تنتظم من أولئك الأفراد الذين رباهم الإسلام، فكُونوا الأسرة المسلمة، وتكون من مجموع هذه الأسر المجتمع الإسلامي.

- إبطال العادات الجاهلية التي تقوم على العنصرية، والقبلية، والثأر، والقتل لأتفه الأسباب وعلى ظلم القوي للضعيف.

(١) د. عبد الله بن حمد الجاللي ... من مدينة (عنيزة) العامرة ، كان مدرساً للتفسير في (جامعة الإمام) وهو من كبار طلاب الشيخ ابن باز والعثيمين له كتب منها: العلاقات الاجتماعية في القرآن، و تركي الحمد ردة لا أبا بكر لها <http://shamela.ws/index.php/author/1039>

- اهتمام الاسلام بتربية الأولاد وبيان أن علاقة الأب مع أولاده علاقة قائمة على العطف والحب والمودة والرحمة، وتبدأ هذه العلاقة من اختيار الزوجة الصالحة؛ لأن الزوجة الصالحة سبب لصلاح الأولاد، وصلاح الأبناء فيه صلاح للأسرة، وصلاح الأسر صلاح للمجتمعات.
- فضل بر الوالدين في الإسلام، وتوضيح العلاقة القائمة بين الأولاد والآباء، وهي علاقة قائمة على البر والعطف والرحمة.
- أهمية صلة الأرحام في الإسلام، فيها تتواصل الأسر وتقوى المجتمعات.
- أهمية الزواج وبيان أن العلاقة القائمة بين الزوجين علاقة قائمة على المودة والرحمة.
- التأكيد على حقوق الجار، وبيان أنواع الجوار وحقوق كل منهم، سواء أكان الجار قريباً أو غير ذلك، أو كان الجار مسلماً أو كافراً.
- مكانة الضيف وفضل إكرامه في الإسلام.
- توضيح علاقة الحاكم بالمحكوم، والحث على طاعة ولي الأمر وعدم الخروج عليه، وكذلك توضيح حقوق الحاكم على المحكوم.
- ٢- دراسة الشهري، علي عبدالله سعيد: (وعنوانها منهج القرآن الكريم في عرض الأخلاق الأسرية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، فرع الكتاب والسنة ١٤٠٦ هـ - ١٤٠٧ هـ).

وقد كانت هذه الرسالة في مدخل وثلاثة أبواب.

وكانت من أهم نتائج الدراسة ما يلي:

- أن المصدرين الأساسيين للأخلاق الاسلامية هما القرآن الكريم والسنة النبوية، وأن ما عدّه الباحثون من مصادر غيرها كالبيت والمدرسة والمجتمع إنما تعد ميادين لتوظيف تلك الاخلاق التي قررها الكتاب والسنة.
- علو مكانة الأسرة، وأهميتها في إيجاد المجتمع المثالي كما أنها منشأ كثير من الفضائل الأخلاقية، وعليها يتوقف الدور الأكبر في غرس تلك الفضائل لدى الأجيال وإبرازها إلى واقع عملي محسوس.
- يسلك القرآن في عرضه لموضوعاته طرقاً مختلفة مؤداها إحراز الغاية في دفع المكلفين إلى العمل به بأيسر سبيل وأقربه.

- مراعاة القرآن لأحوال المخاطبين كل حسب مكانه ووظيفته، فالخطاب للأزواج ليس كالخطاب للآباء، ولا كذلك خطاب الأولاد.

- نزاهة التعبير القرآني وتأديه مع المخاطب في اختيار العبارة عما يستحيا عن ذكره.

وتتميز دراسة الباحث عن هذه الدراسات في كونها تتحدث تحديداً عن العلاقات الاجتماعية والأسرية في حياة أولى العزم من الرسل عليهم السلام، بخلاف الدراسات السابقة، فقد تعرضت هذه الدراسة للعلاقات الاجتماعية في حياة أولى العزم من الرسل عليهم السلام مثل العلاقات العامة كعلاقتهم بولي الأمر وعشيرتهم وغيرها والعلاقات الخاصة كعلاقتهم بزوجاتهم وأولادهم وغيرها من خلال القرآن الكريم إجمالاً.

سابعًا: منهج البحث وإجراءاته:

اعتمد الباحث في هذه الرسالة على منهجين هما:

المنهج الاستقرائي الوصفي والمنهج الاستنباطي ومن خلال هذين المنهجين سيقوم الباحث بإبراز العلاقات وأشكالها وأنواعها في حياة أولي العزم عليهم السلام واستنباط العلاقات الاجتماعية والأسرية.

كما أن الباحث سيقوم في بحثه بالآتي:

- ١- الرجوع إلى القرآن الكريم لجمع الآيات الكريمة التي تحدثت عن أولي العزم من الرسل عليهم السلام بصفة خاصة، مستعينا في ذلك بمعاجم القرآن الكريم، ومن ثم تصنيفها وترتيبها حسب عناصر البحث وفقراته.
- ٢- سيقوم الباحث بعزو الآيات الكريمة التي استشهد بها إلى سورها، وبيان أرقامها وكتابتها وفق الرسم العثماني من مصحف المدينة.
- ٣- عزو الأحاديث والآثار في الهامش إلى مصادرها وأصحابها والحكم على الأحاديث دون الصحيحين من خلال كلام أهل الاختصاص.
- ٤- عرض الموضوع عرضًا واضحًا بأسلوب سهل مع بيان ما لا بد من بيانه في تلك الآيات.
- ٥- الرجوع إلى كتب التفسير وغيرها.
- ٦- بيان المصطلحات والكلمات الغريبة.

ثامناً: خطة البحث:

وقد اشتملت على ثلاثة فصول وخاتمة:

الفصل الأول: أولو العزم من الرسل عليهم السلام ومفهوم العلاقات الاجتماعية :
وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أولو العزم من الرسل، وفيه مطلبان :

المطلب الأول: أولو العزم من الرسل.

المطلب الثاني: مفهوم العلاقات الاجتماعية.

المبحث الثاني: مقاصد وأسس العلاقات الاجتماعية ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مقاصد العلاقات الاجتماعية في الإسلام.

المطلب الثاني: أسس العلاقات الاجتماعية

الفصل الثاني: أولو العزم من الرسل والعلاقات الاجتماعية الخاصة وفيه مبحثان:

المبحث الأول: علاقة أولي العزم من الرسل بزوجاتهم وأولادهم. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: علاقة أولي العزم من الرسل بزوجاتهم.

المطلب الثاني: علاقة أولي العزم من الرسل بأولادهم.

المبحث الثاني: علاقة أولي العزم من الرسل بأبائهم وإخوانهم: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: والدي رسول الله

المطلب الثاني : علاقة أولي العزم من الرسل بأبائهم.

المطلب الثالث: علاقة أولي العزم من الرسل بإخوانهم.

الفصل الثالث: أولو العزم من الرسل والعلاقات الاجتماعية العامة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: علاقة أولي العزم من الرسل بقومهم وبالجار والضيف وفيه مطلبان :

المطلب الأول: علاقة أولي العزم من الرسل بقومهم .

المطلب الثاني: علاقة أولي العزم من الرسل بالجار والضيف.

المبحث الثاني: علاقة أولي العزم من الرسل بالراعي والرعية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول علاقة أولي العزم من الرسل بالراعي.

المطلب الثاني علاقة أولي العزم من الرسل بالرعية.

الخاتمة:

وفيها سينكر الباحث أهم النتائج التي توصل إليها وجملة من التوصيات.

الفهارس العلمية:

- ❖ فهرس الآيات القرآنية.
- ❖ فهرس الأحاديث النبوية.
- ❖ فهرس الأعلام.
- ❖ فهرس المصادر والمراجع.
- ❖ فهرس الموضوعات.

الفصل الأول

أولو العزم من الرسل عليهم السلام ومفهوم

العلاقات الاجتماعية :

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: أولو العزم من الرسل ومفهوم العلاقات الاجتماعية والأسرية
- المبحث الثاني: مقاصد وأسس العلاقات الاجتماعية

المبحث الأول

أولو العزم من الرسل و مفهوم العلاقات الاجتماعية

وفيه مطلبان :

- المطلب الأول: أولو العزم من الرسل.
- المطلب الثاني: مفهوم العلاقات الاجتماعية.

المبحث الأول: أولو العزم من الرسل

المطلب الأول: أولو العزم

إن من أعظم القصص القرآنية التي وردت في القرآن الكريم قصص أولي العزم من الرسل عليهم السلام، قال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ﴾ [الأحقاف: ٣٥] فالمقصود بالعزم؟ ومن هم أولو العزم المشار إليهم في الآية؟ وما هو قول أهل العلم في المقصود بهم؟ مع بيان القول الراجح وبيان أهم خصائصهم وتفاضلهم عليهم السلام .
والعزم : هو الإرادة الصلبة القوية، يقول الراجب في مفرداته: إن العزم هو عقد القلب على إمضاء الأمر^(١).

قال ابن عاشور^(٢) العزم: عقد النية على العمل والثبات على ذلك والوصف بالعزم مشعر بمدح الموصوف لأن شأن الفضائل أن يكون عملها عسيراً على النفوس لأنها تُعكس الشهوات، ومن ثم وُصف أفضل الرسل بأولي العزم.

وقال رحمه الله: العزم: الجزم بالفعل وعدم التردد فيه، وهو مغالبته ما يدعو إليه الخاطر من الإنكفاف عنه لغسر عمله أو إيثار ضده عليه^(٣). وقيل: القصد المؤكد، كما قال الله تعالى عن آدم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - ﴿ وَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَانْسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ [طه: ١١٥] . أي: قصداً مؤكداً، وسمى بعض الرسل " أولي العزم " لتأكد قصدهم في طلب الحق^(٤) ، وقال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ﴾ [الأحقاف: ٣٥] أي: أولو الجد والثبات والصبر .. إلخ^(٥)

وقد استعملت كلمة العزم في مورد الصبر في آيات القرآن المجيد أحياناً، كقوله تعالى: ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [الشورى: ٤٣]

(١) الراجب، مفردات القرآن (٥٦٥/١)

(٢) هو : محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس.

(٣) مولده سنة ١٢٩٦هـ. عين (عام ١٩٣٢) شيخاً للإسلام مالكيًا. وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة، من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، صدر منه عشرة أجزاء، و (الوقف وآثاره في الإسلام) و (أصول الإنشاء والخطابة) توفي سنة ١٣٩٣هـ (الأعلام للزركلي ١٧٤/٦)

(٣) ينظر التحرير والتنوير (٣١٩/١٦ ، ١٢٢/٢)

(٤) المستصفي للإمام الغزالي ١ / ٦٢ .

(٥) كشف الأسرار على المنار للمصنف النسفي ١ / ٤٤٨ ، ط دار الكتب.

وجاءت أحياناً بمعنى الوفاء بالعهد، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلِ فَسَيَ وَلَمْ نَجِدْ

لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ [طه: ١١٥] ومن خلال هذا المطلب سنتعرف على ثلاثة محاور وهي :

أولاً: من هم أولو العزم من الرسل

أولو العزم هم بعض الرسل لا كلهم كما نقل عن بعض السلف ممن حمل (من) في الآية على التجنيس لا التبعض^(١). فإن خروج بعض الرسل من أن يكونوا معنيين في الآية ثابت في كتاب الله،

فإن عز وجل أمر نبيه في هذه الآية بالافتداء بأولي العزم، ونهاه في آية أخرى عن أن يكون كصاحب الحوت يونس عليه السلام إذ قال سبحانه ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ

مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ [القم: ٤٨]. ويونس عليه السلام رسول، قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٤٨﴾

[الصفات: ١٣٩]. وقال: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ [الصفات: ١٤٧]. وقيل: أولو

العزم هم كل الأنبياء عدا يونس عليه السلام^(٢) وهو مرجوح بأمرين ورد الدليل بهما:

الأول: أن الآية نص في أنهم من الرسل لا من الأنبياء غير الرسل.

الثاني: أن الله نفى العزم عن آدم عليه السلام وهو نبي، ولم يستثنه أصحاب هذا القول قال سبحانه:

﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلِ فَسَيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ [طه: ١١٥].

وما من شك أن الله لم يرسل رسولاً إلا وهو ذو عزم وجد في طاعة الله فيما ائتمنه عليه، ولكن

خص هؤلاء بالذكر والتفضيل لأنهم أعظم وأكمل عزماً من غيرهم، والله أعلم.

وقد اختلفت الأقوال في تعيين أولي العزم من هم^(٣). ويمكن تصنيفها إلى قسمين:

الأول: قول من جعل التعيين بالصفة لا بالتسمية:

كقول من قال: إنهم الذين امتحنوا في ذات الله في الدنيا بالمحن فلم تزدهم المحن إلا جداً في أمر

الله^(٤).

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق محمود حسن، دار الفكر، الطبعة: الطبعة الجديدة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م (٢٠٨/٤)، البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، معالم التنزيل في تفسير القرآن تحقيق

عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ (٢٠٧/٤)

(٢) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق:

أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م (٢٢٠/١٦)،

البغوي، (١٧٦/٤)

(٣) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر،

الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م (٢٤/٢٦)، البغوي، معالم التنزيل (١٧٦/٤)، تفسير

ابن كثير (١٧٣/٤)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢٢٠/١٦) وغيرها.

(٤) الطبري، جامع البيان (٢٤ / ٢٦)،

وقول من قال: إنهم الذين أمروا بالقتال فأظهروا المكاشفة وجاهدوا الكفرة، وهو مروى عن الشعبي ومجاهد والسدي وغيرهم: (١). وقول من قال: إنهم الذين لم تصبهم فتنة من الأنبياء، وهو مروى عن الحسن (٢). وقول من قال: إنهم العرب من الأنبياء، قاله مجاهد والشعبي (٣). ولم تذكر للقائلين بما تقدم أدلة لما قالوه.

والثاني: قول من جعل التعيين بالتسمية، وهي أقوال:

فقيل: هم الثمانية عشر المذكورين في سورة الأنعام الآيات ٨٤ - ٨٦ لقوله سبحانه في عقب ذكرهم ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَيَهْدِيهِمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠]. وهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس وإسماعيل واليسع ويونس ولوط (٤). وهو قول يضعفه أمران: أحدهما: أن فيهم أنبياء ليسوا برسلك زكريا ويحيى وهما من أنبياء بني إسرائيل، وأولوا العزم رسل.

ثانيهما: أنهم لم يخصصوا تعييناً في أمره سبحانه نبيه بالافتداء بهم، فقد قال سبحانه بعد أن ذكرهم وقبل الأمر بالافتداء ﴿وَمِنْ ءَابَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَأَجْتَنَيْتَهُمْ وَهَدَيْتَهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٨٧]

فهو أمر بالافتداء بهدي الأنبياء جملة، قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَيَهْدِيهِمْ أَقْتَدَهُ﴾ [الأنعام: ٩٠] "أولئك: يعني الأنبياء المذكورين مع من أضيف إليهم من الآباء والذرية والإخوان وهم الأشباه" (٥).

وقيل: هم ستة: نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام، وهم المذكورون على النسق في سورتي الأعراف والشعراء (٦).

وقيل غير ذلك (٧)، ولكن الأشهر المتداول في كتب العلم أنهم خمسة وهم: محمد، ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام، وهم الخمسة المذكورون نصاً في قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ

(١) البغوي، معالم التنزيل (٢٠٧/٤)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢٢٠/١٦).

(٢) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ (٣٩٢/٧).

(٣) البغوي، معالم التنزيل (٢٠٧/٤)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢٢٠/١٦)، ابن الجوزي، زاد المسير (٣٩٢/٧).

(٤) تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢٢٠/١٦).

(٥) ابن الجوزي، زاد المسير (٣٩٢/٧).

(٦) البغوي، معالم التنزيل (٢٠٧/٤)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢٢٠/١٦).

(٧) البغوي، معالم التنزيل (٢٠٧/٤)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢٢٠/١٦).

مِيثَقُهُ وَمِنْكَ وَمَنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ [الأحزاب: ٧]، وفي قوله سبحانه: قَالَ تَعَالَى: ﴿٧﴾ * شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ ﴿١٣﴾ [الشورى: ١٣] فقد خصهم الله عز وجل بالذكر في هاتين الآيتين من بين الأنبياء، وهو تنبيهه إلى فضلهم بين سائر الأنبياء، وقد خصهم سبحانه بالذكر في ذكره أعظم الأمور وأفضلها وأغلظها، وهو الميثاق الذي قال فيه: ﴿٧﴾ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ [الأحزاب: ٧]، والوصايا التي شرعها لخلقه، وذلك ما أخذ على جميع النبيين وبعث به جميع النبيين، وهو العهد الذي بين الله وخلقه، وهو إقامة دين الله، وعدم التفرق فيه، وإسلام الوجه له سبحانه، والدعوة إلى ذلك، والمجاهدة فيه والموالاتة فيه والبراءة فيه، وهؤلاء الخمسة صلوات الله وسلامه عليهم أكمل وأعظم من قام بهذا الميثاق، ولذا خصوا بالذكر، وهم الذين تفرع الأمم إليهم في الموقف يوم القيامة بعد أبيهم آدم فيتراجعونها حتى تنتهي إلى محمد ﷺ كما في حديث الشفاعة^(١).
والقول بأنهم هم أولو العزم، مروى عن ابن عباس وغيره من السلف الصالح رضوان الله عليهم، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: خيار ولد آدم خمسة نوح وإبراهيم وعيسى وموسى ومحمد ﷺ، وخيرهم محمد ﷺ وصلى الله وسلم عليهم أجمعين^(٢).

قال الشوكاني^(٣): فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أَوْلُو الْعَزْمِ، أَي: أَرْبَابُ الثَّبَاتِ وَالْحَزْمِ فَإِنَّكَ مِنْهُمْ.

(١) ينظر، البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، حديث الشفاعة باب ذرية من حملنا مع نوح، (٤٧١٢) (٨٤/٦)، ومسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، باب أدنى أهل الجنة منزلة (١٩٤) (١٨٤/١).
(٢) رواه البزار كما في ((مجمع الزوائد)) الهيثمي، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بتحريه الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤١٢ هـ، الموافق ١٩٩٢ ميلادي (٢٠١/٨)، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (٢٧١/٦٢). قال الهيثمي: رواه البزار، رجاله رجال الصحيح.
قال الألباني في كتاب ضعيف الجامع الصغير وزياداته: ضعيف (٤٢٣/١).
(٣) الشوكاني هو أحمد بن محمد بن علي الشوكاني: قاض، من فضلاء اليمانيين، من أهل صنعاء وهو ابن العلامة (الشوكاني) الكبير. ولد سنة ١٢٢٩هـ، نصب للقضاء في صنعاء زماناً. وأصابته محن في أيام الناصر (عبد الله بن الحسن) وأيام الإمام أحمد بن هاشم، فسجن في عهد الأول، وفر من صنعاء في عهد الثاني، فطاف متنقلاً في بعض الاطراف، ثم استقر في (الروضة) يحكم وينفذ الشريعة وهو لم يول ذلك فكان علماء اليمن يسمونه (قاضي أرحم الراحمين) وتوفي فيها سنة ١٢٨١ هـ، من كتبه (كشف الريبية في الزجر عن الغيبة) (٢٤٦/١) (الاعلام للزركلي ٢٤٦/١)

قال مجاهد^(١): أو لو العزم من الرسل خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم، وهم أصحاب الشرائع، وقال أبو العالية: هم نوح وهود وإبراهيم، فأمر الله رسوله أن يكون رابعهم. وقال السدي^(٢): هم ستة إبراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم. وقيل: نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وموسى.

وقال ابن جريج^(٣): إن منهم إسماعيل ويعقوب وأيوب وليس منهم يونس. وقال الشعبي والكلبي: هم الذين أمروا بالقتال، فأظهروا المكاشفة وجهود الكفرة، وقيل: هم نجباء الرسل المذكورون في سورة الأنعام، وهم ثمانية عشر: إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى والياس وإسماعيل والنيسع ويونس ولوط. واختار هذا الحسين بن الفضل لقوله بعد بكرهم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهِهِمْ آفَقَتْهُ﴾ [الأنعام: ٩٠] وقيل: إن الرسل كلهم أولو عزم، وقيل: هم اثنا عشر نبيا أرسلوا إلى نبي إسرائيل. وقال الحسن: هم أربعة: إبراهيم وموسى وداود وعيسى^(٤)

وأولو العزم: أصحاب العزم، أي المتصفون به. والعزم: نية محققة على عمل أو قول دون تردد. قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [ال عمران: ١٥٩] وقال: ﴿وَلَا تَعَزَّمُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥] وقال سعد بن نأشب من شعراء الحماسة يعني نفسه:

إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ ... وَتَكَبَّ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبًا

والعزم المحمود في الدين: العزم على ما فيه ترقية النفس وصلاح الأمة، وقوامه الصبر على المكروه وبعث القوى، وقوته شدة المراقبة بأن لا يتهاون المؤمن عن محاسن نفسه قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا

(١) مجاهد هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج مولى السائب المخزومي المكي قرأ على ابن عباس وصاحب ابن عمر مدة كثيرة وأخذ عنه وحدث عنه قتادة وعمرو بن دينار وأيوب ومنصور والأعمش وابن عون وغيرهم، قال قتادة أعلم من بقي بالتفسير مجاهد، توفي سنة ١٠٣ هـ (طبقات المفسرين ١/١١)

(٢) السدي هو السدي الكوفي، المشهور المفسر كان عالما بالتفسير، تابعي، حجازي الأصل، سكن الكوفة. قال فيه ابن تغري بردي: (صاحب التفسير والمغازي والسير، وكان إماما عارفا بالوقائع وأيام الناس، كانت وفاته سنة ١٢٧ هـ). (طبقات المفسرين ١/١٥، الأعلام للزركلي ٣١٧/١)

(٣) ابن جريج هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، أبو الوليد وأبو خالد: ولد سنة ٨٠ هـ فقيه الحرم المكي. كان إمام أهل الحجاز في عصره. وهو أول من صنف التصانيف في العلم بمكة. رومي الأصل، من موالى قريش. مكي المولد والوفاء. قال الذهبي: كان ثبنا، لكنه يئس توفي سنة ١٥٠ هـ (الأعلام للزركلي ٣١٧/١)

(٤) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ (١٦٠/٤)

وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ [آل عمران: ١٨٦] وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ [طه: ١١٥] وَهَذَا قَبْلَ هُبُوطِ آدَمَ إِلَى عَالَمِ التَّكْلِيفِ، وَعَلَى هَذَا تَكُونُ مَنْ فِي قَوْلِهِ: مِنَ الرُّسُلِ تَبْعِيضِيَّةٌ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: كُلُّ الرُّسُلِ أَوْلُو عَزْمٍ، وَعَلَيْهِ تَكُونُ مِنْ بَيَانِيَّةٍ.

وَهَذِهِ الْآيَةُ اقْتَضَتْ أَنْ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَوْلِي الْعَزْمِ لِأَنَّ تَشْبِيهَ الصَّبْرِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ بِصَبْرِ أَوْلِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ يَفْتَضِي أَنَّهُ مِثْلُهُمْ لِأَنَّهُ مِمْتَلِئٌ بِأَمْرِ رَبِّهِ، فَصَبْرُهُ مِثْلُ صَبْرِهِمْ، وَمَنْ صَبَرَ صَبْرَهُمْ كَانَ مِنْهُمْ لَا مَحَالَةَ. (١)

وذكر بعض أهل العلم أن أولي العزم من الرسل هم الخمسة المذكورين في آيتي الأحزاب والشورى، وهم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ونبينا محمد صلى الله عليهم أجمعين وهم أفضل الأنبياء ، وأفضلهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهم أول من يدخل تحت هذا الوصف، وقال بعض أهل العلم إن الأنبياء جميعاً من أهل العزم.

ويؤيد هذا ما أخرجه ابن جرير عن ابن زيد ، في قوله : ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحقاف ٣٥] قال : كل الرسل كانوا أولي عزم لم يتخذ الله رسولا إلا كان ذا عزم ، فاصبر كما صبروا (٢).

قال ابن عباس أيضاً : كل الرسل كانوا أولي عزم . واختاره علي بن مهدي الطبري ، قال : وإنما دخلت " من " للتجنيس لا للتبعيض ، كما تقول : اشتريت أردية من البز وأكسية من الخز . أي اصبر كما صبر الرسل . (٣)

قال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحقاف ٣٥] أي: على تكذيب قومهم لهم. وقد اختلفوا في تعداد أولي العزم على أقوال، وأشهرها أنهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وخاتم الأنبياء كلهم محمد صلى الله عليه وسلم، قد نص الله على أسمائهم من بين الأنبياء في آيتين من سورتي "الأحزاب" و "الشورى"، وقد يحتمل أن يكون المراد بأولي العزم جميع الرسل، وتكون { مِنْ } في قوله: { مِنَ الرُّسُلِ } لبيان الجنس، والله أعلم.

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٦٧/٢٦)

(٢) الطبري، جامع البيان (١٤٥/٢٢)

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢٢٠/١٦)

ورجح الإمام الشنقيطي في أضواء البيان أن المراد بأولي العزم من الرسل : الخمسة المذكورون في آيتي الأحزاب والشورى قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمَنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ [الأحزاب ٧] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿* شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى ١٣]

قال رحمه الله : (اختلف العلماء في المراد بأولي العزم من الرسل في هذه الآية الكريمة اختلافاً كثيراً وأشهر الأقوال في ذلك أنهم خمسة، وهم الذين قدمنا ذكرهم في الأحزاب والشورى، وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

وعلى هذا القول فالرسل الذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصبر كما صبروا أربعة فصار هو صلى الله عليه وسلم خامسهم.)

ثم قال رحمه الله: (واعلم أن القول بأن المراد بأولي العزم جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأن لفظة من، في قوله: من الرسل بيانية يظهر أنه خلاف التحقيق، كما دل على ذلك بعض الآيات القرآنية كقوله تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾ [القلم: ٤٨] فأمر الله جل وعلا نبيه في آية القلم هذه بالصبر، ونهاه عن أن يكون مثل يونس، لأنه هو صاحب الحوت وكقوله: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا آلَ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسَى وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه ١١٥] فأية القلم، وآية طه المذكورتان كلتاهما تدل على أن أولي العزم من الرسل الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يصبر كصبرهم ليسوا جميع الرسل والعلم عند الله تعالى.)^(١)

قال القرطبي^(٢) " (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ) أي عهدهم على الوفاء بما حملوا، وأن يبشر بعضهم ببعض، ويصدق بعضهم بعضاً، أي كان مسطوراً حين كتب الله ما هو كائن، وحين أخذ الله تعالى

(١) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م (٢٤١/٧)

(٢) محمد بن أحمد بن أبي فرح الانصاري الخزرجي المالكي أبو عبد الله القرطبي. مصنف التفسير المشهور، الذي سارت به الركبان، والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة. سمع من ابن رواج، ومن الجميزي وعدة. وروى عنه بالإجازة ولده شهاب الدين أحمد. من كتبه "الجامع لأحكام القرآن" و"قمع الحرص بالزهد والقناعة" و"الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى" و"التذكار في أفضل الأذكار" و"التذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة" قال الذهبي: إمام متقن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على إمامته، وكثرة إطلاعه ووفور فضله. مات بمدينة بني خصيب من الصعيد الأدنى سنة ٦٧١ هـ. (طبقات المفسرين ٩٢/١ و الإعلام للزركلي ٣٢٢/٥)

المواثيق من الانبياء ، (ومنك) يا محمد (ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم) وإنما خص هؤلاء الخمسة وإن دخلوا في زمرة النبيين تفضيلاً لهم. (١).

يقول ابن القيم في بيان طبقات المكلفين: (الطبقة الأولى وهي العليا على الإطلاق مرتبة الرسالة فأكرم الخلق وأخصهم بالزلفى لديه رسله) وقال: (وأعلاهم منزلة أولو العزم منهم المذكورين في قوله تعالى: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى وهؤلاء هم الطبقة العليا في الخلائق وعليهم تدور الشفاعة حتى يردوها إلى خاتمهم وأفضلهم ﷺ) قال: (الطبقة الثانية: من عداهم من الرسل على مراتبه من تفضيلهم بعضهم على بعض) (٢)

وعل كلٍ ؛ كثير من المفسرين على أنهم الخمسة المشار إليهم أعلاه ، مع التنبيه على أن محمداً صلى الله عليه وسلم - وهو سيدهم وإمامهم - ليس داخلاً في آية الأحقاف ؛ لأنه مأمور بأن يصبر كصبرهم .

وقد نظم بعضهم في أولي العزم فقال :

أولو العزم نوح والخليل الممجد وموسى وعيسى والحبیب محمد (٣)

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٢٧/١٤).

(٢) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، طريق الهجرتين وباب السعادتين: دار السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٤ هـ (٣٥٠)

(٣) المراغي أحمد بن مصطفى المراغي ، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م (٣٨/٢٦)

ثانياً: تفاضل أولي العزم

ذكر الله عز وجل أولي العزم من الرسل . عليهم السلام . في آيتي الأحزاب والشورى المذكورتين، وقد بدأ سبحانه في الآيتين بذكر الطرفين أول الرسل وخاتمهم، وذكر بعدهما الثلاثة مبتدأ بإبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، بحسب ترتيب وجودهم عليهم الصلاة والسلام، وقد بدأ سبحانه في آية الأحزاب بذكر محمد صلى الله عليه وسلم لشرفه وفضله عليهم وذلك لأن في الآية ذكر للنبيين في الجملة تعميماً ثم خص سبحانه أفضلهم بالذكر بعد دخولهم في العموم فناسب لذلك الابتداء بذكر محمد صلى الله عليه وسلم لكونه أفضل هؤلاء المفضلين، و في الآية ذكر للميثاق المأخوذ على النبيين فهي متعلقة بالأنبياء خاصة ولذلك قدم محمد صلى الله عليه وسلم في الذكر للوجه المنكور قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ٧ ﴾ [الأحزاب: ٧]. أما آية الشورى فمتعلقة بالشرعية التي بعثوا بها.

ولذا بدأ سبحانه بنوح قبل محمد عليهما الصلاة والسلام، لأن الآية في ذكر دين الإسلام وما وصى الله به الرسل، فناسب ذلك أن يبدأ بنوح، لأن رسالته أول الرسالات، ففيه بيان جلي أن أول رسالات الرسل أوصت بما شرع لأمة محمد صلى الله عليه وسلم من الدين، فهو دين أصيل مستقيم لا عوج فيه ولا اضطراب، ثم ذكر سبحانه من بين من توسطوا بين محمد ونوح أشهر أصحاب الشرائع وأفضلهم^(١).

قال سبحانه ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى: ١٣]. فمحمد صلى الله عليه وسلم هو أفضل أولي العزم بلا خلاف، يقول ابن كثير^(٢): (لا خلاف أن محمداً صلى الله عليه وسلم أفضلهم ثم بعده إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى عليهم السلام على المشهور)^(٣). يعني ابن كثير أن نوحاً آخرهم في ترتيبهم في الفضل، وقوله: (على المشهور) كأنه إشارة إلى وجود خلاف في ترتيبهم في الفضل

(١) السنكي، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تحقيق محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م (٤٥٨)، الألويسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ (١٥٤/٢١).

(٢) ابن كثير (- ١٣٠٢ - ١٣٧٣ م) إسماعيل بن عمر (٢) بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصرى ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام سنة ٧٠١ هـ، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧٠٦ هـ ورحل في طلب العلم. وتوفي بدمشق سنة ٧٧٤ هـ. ومن كتبه (البداية والنهاية) و (طبقات الفقهاء الشافعيين) و (تفسير القرآن الكريم) (الإعلام للزركلي ١/٣٢٠) (٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٨٨/٥).

بعد محمد صلى الله عليه وسلم، وقد قطع بأن إبراهيم بعده في الفضل في موضع آخر فقال في إبراهيم: (هو أشرف أولي العزم بعد محمد صلى الله عليه وسلم)^(١).

وقد نص السفاريني^(٢) على اختلاف العلماء في من يلي النبي صلى الله عليه وسلم في الفضيلة منهم، وذكر أن المشهور أنه إبراهيم قال "وقد اختلف العلماء في من يلي النبي صلى الله عليه وسلم في الفضيلة منهم، والمشهور واختاره ابن حجر في شرح البخاري أنه إبراهيم خليل الرحمن، لما ورد أن إبراهيم عليه السلام خير البرية، خص منه محمد صلى الله عليه وسلم بإجماع، فيكون أفضل من موسى وعيسى ونوح عليهم السلام، والثلاثة بعد إبراهيم أفضل من سائر الأنبياء والمرسلين، قال الحافظ ابن حجر^(٣) ولم أقف على نقل أيهم أفضل، والذي ينقدح في النفس تفضيل موسى فعيسى فنوح عليهم الصلاة والسلام"^(٤).

وذكر السيوطي أن الإجماع منقول على تقديم إبراهيم عليه السلام، فبعد أن ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل خلق الله على الإطلاق قال: "فخليله إبراهيم يليه في التفضيل، فهو أفضل الخلق بعده، نقل بعضهم الإجماع على ذلك، وفي الصحيح خير البرية إبراهيم خص منه النبي صلى الله عليه وسلم فبقي على عمومه" قال السيوطي: "فموسى وعيسى ونوح الثلاثة بعد إبراهيم أفضل من سائر الأنبياء ولم أقف على نقل أيهم أفضل"^(٥).

وتعقب المناوي السيوطي في كلامه هذا فقال: "بعد وفاته - يعني وفات السيوطي - أن الفخر الرازي حكى الإجماع على تقديم موسى وعيسى على نوح فإنه قال في أسرار التنزيل: لا نزاع في أن أفضل الأنبياء والرسل هؤلاء الأربعة محمد وإبراهيم وموسى وعيسى"^(٦).

(١) ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م (١/١٧٠).

(٢) السفاريني هو محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، أبو العون: عالم بالحديث والأصول والأدب، محقق. ولد في سفارين سنة ١١١٤ هـ (من قرى نابلس) ورحل إلى دمشق فأخذ عن علمائها. وعاد إلى نابلس فدرّس وأفتى، وتوفي فيها سنة ١١٨٨ هـ. من كتبه (الدراري المصنوعات في اختصار الموضوعات - خ) و (كشف اللثام، شرح عمدة الأحكام) و (القول العلي لشرح أثر الإمام علي) وغيرها الاعلام للزركشي (٦/١٤).

(٣) ابن حجر هو شيخ الإسلام وإمام الحفاظ في زمانه قاضي القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن أحمد بن الكناني العسقلاني الشافعي، صنف التصانيف التي عم النفع بها كشرح البخاري و"تهذيب التهذيب" و"تقريب التهذيب" و"لسان الميزان" و"الإصابة في الصحابة" وغيرها، توفي في ذي الحجة ٨٥٢ هـ. (طبقات الحفاظ للسيوطي ١/ ٥٥٢)

(٤) السفاريني، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية، مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق، الطبعة: الثانية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م (٢/٣٠٠).

(٥) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، إتمام الدراية لقرء النقاية، تحقيق: الشيخ إبراهيم العجوز: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م (١٧).

(٦) المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦ (٣/٤٦٤).

والحاصل أن النص دال على تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم والإجماع منعقد عليه. وكذا يدل النص على أن إبراهيم يليه في التفضيل لحديث أنس قال: (قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا خير البرية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذلك إبراهيم)^(١). وقال السيوطي وابن حجر - كما نقله السفاريني عنه - أنهما لم يقفا على نقل أي الثلاثة أفضل بعد إبراهيم عليه السلام، ولكن النقل دال على تقديم موسى على عيسى عليهما السلام، ففي أحاديث المعراج أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بعيسى في السماء الثانية، ومر بموسى في رواية في السادسة، وفي أخرى في السابعة^(٢)، يعني في منزلة أعلى من منزلة عيسى عليهم الصلاة والسلام، فموسى أفضل من عيسى، فبقي ترتيب نوح عليه السلام هل هو مقدم عليهما أم مؤخر عنهما أم هو بينهما؟

ولا نقل يدل على شيء من ذلك وليس الأمر مورد اجتهاد، وغاية ما يستطيعه من اجتهاد بتأخير نوح الاستدلال بنصوص غاية ما فيها إثبات منقبة لكل واحد منهم من غير تخيير بين المناقب.

وتقديم أحدهما عليه أو تأخيره عنه - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - بتفضيل منقبة على أخرى مما لا يقبل اجتهاداً حتى يقوم عليه دليل، لأن ثبوت منقبة لا يستلزم التفضيل بها حتى يرد النص بالتفضيل، فالواجب اعتقاده فضل نوح عليه السلام بعد إبراهيم على الجملة من غير تعيين ترتيبه مع موسى وعيسى عليهم السلام، فيكون حاصل القول في تفاضل أولي العزم أن أفضلهم محمد ثم يليه إبراهيم ثم نوح وموسى وعيسى. وموسى أفضل من عيسى عليهم الصلاة والسلام أجمعين، والله أعلم.

(١) صحيح مسلم ، باب من فضائل إبراهيم الخليل (٢٣٦٩) (١٨٣٩/٤).

(٢) ليس هناك من الروايات والأحاديث الصحيحة ما يفيد بأن موسى في السماء السابعة إنما هو في السماء السادسة وإبراهيم هو الذي في السابعة. صحيح البخاري (٣٠٣٥)، ومسلم (١٦٤). من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه.

ثالثاً: بعض خصائص أولي العزم

لأولي العزم من الرسل عليهم السلام خصائص وصفات تميزوا بها عن غيرهم نذكر بعضاً منها:
 أولاً : إبراهيم عليه السلام فمن فضائله وخصائصه عليه السلام أنه خليل الرحمن لم يشاركه في الخلقة إلا
 محمد صلى الله عليهما وسلم، قال سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ
 وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ۗ ﴾ [النساء: ١٢٥]. وقد جعله الله عز وجل
 إماماً للناس يقتدون به ويهتدون بهديه، قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رِيبَهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي
 جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٤]. وقال سبحانه:
 ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٠]. وقال سبحانه: ﴿
 وَمَنْ يَرْغَبُ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمَنْ
 الصَّالِحِينَ ﴾ [البقرة: ١٣٠].

وقد أجرى الله على يديه بناء بيته الذي جعله قياماً لناس ومثابة وأمناً وعهد الله إليه ولابنه تبعاً له
 تطهير البيت للطائفين، والعاكفين، والركع، والسجود. وأمر سبحانه المؤمنين باتخاذ مقامه صلى الله
 عليه وسلم سبحة: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمَّا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
 وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [البقرة: ١٢٥]. وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ
 إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧].
 وقد حصر الله النبوة والكتاب من بعده في نريته عليه السلام، قال سبحانه: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ
 إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي
 الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٧]. فلم يأت نبي بعد إبراهيم إلا من نريته، وهو عليه
 السلام أول من يكسى يوم القيامة كما في المتفق عليه من حديث ابن عباس قال: قام فينا النبي صلى الله
 عليه وسلم يخطب فقال: (إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً - كما بدأنا أول خلق نعيده - الآية وإن أول
 الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم)^(١).

وقد جمع الله له منزلتين عظيمتين، قال سبحانه: ﴿ وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا
 نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٤١] فجمع له بين الصديقية والنبوة، وفضائله أكثر من أن تحصر عليه السلام، وما علمناه
 غيظ من فيض مما جهلناه في إبراهيم عليه السلام.

(١) صحيح البخاري، باب قوله تعالى (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) (٣٣٤٩)، (١٣٩/٤)، ومسلم باب بيان فناء الدنيا وبيان
 الحشر (٢٨٦٠)، (٢١٩٤/٤).

ثانياً: نوح - عليه السلام - فقد جاهد في الله حق جهاده وهو أول رسول بعث في الناس بعد اختلافهم على دينهم، واجتياح الشيطان لهم، وقد لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً باذلاً وسعه في الدعوة إلى الله ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، صابراً على أذى قومه، لا تثنيه عن الدعوة إلى ربه سفاهاتهم وتعدياتهم، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [العنكبوت: ١٤ - ١٥]. وقال سبحانه في نوح: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿١٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿١٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبِّي إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح: ٥ - ١٠]. وقال سبحانه عن قوم نوح: ﴿قَالُوا يَنْوُحُ فَذِّجَدْنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَاْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [هود: ٣٢ - ٣٣].

ثالثاً: موسى عليه السلام فهو كليم الله اشتهر من بين الأنبياء بهذه الحلية قال سبحانه: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]. وقال سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلَكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣ - ١٤٤]. وقد ذكر تكليم الله موسى في مواضع من كتاب الله. وهو عليه السلام المعني^(١) في قوله سبحانه: ﴿* تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. في قول كافة المفسرين، وقد ثبت تكليم الله آدم عليه السلام في كتاب الله، في نحو قوله سبحانه: ﴿قَالَ يَا آدَمُ اسْمُكَ وَأَسْمَاءُ نِسَاءِكَ﴾ [البقرة: ٣٣]. وقوله: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [البقرة: ٣٥]. وقوله: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [طه: ١١٧]. وما بعدها، وظاهر هذا أنه كان كفاً بغير واسطة الملك^(٢). وفي حديث أبي ذر في عدد الأنبياء والرسل أنه سأله النبي صلى الله عليه وسلم عن آدم: أنبي مكرم هو؟

(١) القرطبي الجامع لأحكام القرآن (٣/٢٦٤)

(٢) الشنقيطي، أضواء البيان (١/١٩٤).

فقال: (نعم نبي مكرم) ^(١) . قال ابن عطية ^(٢): (وقد تأول بعض الناس أن تكليم آدم كان في الجنة فعلى هذا تبقى خاصية موسى) ^(٣) . وقد حمل بعضهم قوله سبحانه في سورة النجم: ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ [النجم : ١٠] على أن الله أوحى إلى محمد ليلة المعراج كفاً بلا واسطة ^(٤) فيكون تكليماً، وحمله آخرون على أن الله أوحى إلى محمد بواسطة جبريل ^(٥) فلا يكون تكليماً، قال ابن كثير: (وكلا المعنيين صحيح) ^(٦) كأنه يرى أن الأمرين قد وقعا وهو قد قال في قوله سبحانه: مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ فِي آيَةِ الْبَقْرَةِ مَا نَصَّه: (يعني موسى ومحمدًا صلى الله عليهما وسلم وكذلك آدم) ^(٧) .

وإن صح تكليم الله محمدًا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج قد يتأول أنه وقع في السماء، فتبقى خاصية موسى عليه السلام. ومر من فضائله - عليه السلام - كونه في السماء السادسة، وقد آتاه الله عز وجل تسع آيات بينات إلى فرعون وقومه ظهرت بهن حجته وقامت بينته أيده الله بهن قال سبحانه:

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ [الإسراء: ١٠١]. وقال عز وجل: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعَ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [النمل: ١٢].

رابعًا : عيسى عليه السلام فاخص من بين سائر الخلق بأنه ولد لأم من غير أب، وإنما نفخ جبريل في درع مريم ^(٨) فحملت بعيسى عليه السلام وتكلم في المهد وآتاه الله من البينات ما فضله به في قوله: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. وقد حكى الله كلام عيسى في المهد ^(٩) فكان مما قاله وتظهر فيه من فضائله عليه السلام: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَاتِي وَلَمْ

(١) مسند أحمد، من حديث أبي زر (١٧٨/٥) (٢١٥٨٦)، والطبراني (٢١٧/٨) (٧٨٧١). قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) ((١٦٤/١): فيه المسعودي وهو ثقة ولكنه اختلط، وصححه أحمد شاكر في (عمدة التفسير) (٣٠٩/١) كما أشار إلى ذلك في المقدمة، والألباني في (تخريج مشكاة المصابيح) ((٥٦٦٩).

(٢) ابن عطية (٤٨١ - ٥٤١ هـ) (١٠٨٨ - ١١٤٧ م) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عبد الرؤوف بن عبد الله بن تمام بن عطية المحاربي، الغزنائي، المالكي، (أبو محمد) عالم مشارك في الفقه والحديث والتفسير والنحو واللغة والأدب. ولي القضاء بمدينة المرية، ورحل إلى المشرق، وتوفي، بلورقة في ١٥ رمضان من مؤلفاته: الجامع المحرر الصحيح الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، وبرنامج ضمنه مروياته وأسماء شيوخه. (معجم المؤلفين ٩٣/٥) (٣) ابن عطية أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ (٢٧١/٢).

(٤) تفسير الطبري، جامع البيان (٢٧ و٢٨) ابن الجوزي، زاد المسير (٦٧/٨)

(٥) الطبري، جامع البيان (٥٠٦/٢٢).

(٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٢٥٠/٤).

(٧) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٢٥٠/٤).

(٨) الشوكاني، فتح القدير (٦٢٣/١)

(٩) الرازي، مفاتيح الغيب (١٧٢٨/١)

يَجْعَلُنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أُمُوتٍ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴿ [مريم: ٣٠ - ٣٣]. وقد قال سبحانه في ذكر ولادة عيسى عليه السلام: ﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرِيفًا ﴿١٦﴾ فَانْتَخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ * فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ ﴿ [مريم: ١٦ - ٢٢].

وكان من الآيات التي آتاها الله عيسى عليه السلام ما ذكره سبحانه في قوله: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَلْعَسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكَرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴿١٠٧﴾ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿١٠٨﴾ وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَيْدِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِأَيْدِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَامَ وَالْأَبْرَصَ بِأَيْدِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِأَيْدِي ﴿١٠٩﴾ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴿ [المائدة: ١١٠].

وقد رفعه الله عز وجل إليه، فهو حي في السماء وهو في الثانية كما في أحاديث الإسرائ^(١)، قال سبحانه في تكذيب اليهود في دعواهم قتله عليه السلام: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴿ [النساء: ١٥٧ - ١٥٨]. وهذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم إذ ليس في الأنبياء حي إلا هو.

وسينزل عليه السلام في آخر الزمان كما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع، "وأجمعت الأمة على ما تضمنه الحديث المتواتر من أن عيسى عليه السلام في السماء حي، وأنه ينزل في آخر الزمان فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويقتل الدجال ويفيض العدل ويظهر هذه الملة ملة محمد ويحج البيت ويعتمر، ويبقى في الأرض أربعاً وعشرين سنة، وقيل أربعين سنة، ثم يميتة الله تعالى" ^(٢) وهذا من خصائصه عليه السلام، قال سبحانه: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴿١٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴿ [النساء: ١٥٩]. وقد تواترت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم بنزول عيسى عليه السلام قال صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً) ^(٣). وقال

(١) ابن عطية، المحرر الوجيز (١٥٨/٢)

(٢) ابن عطية، المحرر الوجيز (٤٤٤/١)

(٣) صحيح البخاري، باب قتل الخنزير (٢٢٢٢/٣)، ومسلم، باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً (١٥٥/١) (١٣٥).

من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

صلى الله عليه وسلم (كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم)^(١) وأجمعت الأمة على نزوله عليه السلام آخر الزمان^(٢).

خامساً: محمد ﷺ فقد اختصه الله بخصائص كثيرة نورد بعضاً منها:

ما جاء في حديث عن جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري رضي الله عنهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيا رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة)^(٣). ومن خصائصه على إخوانه من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين أنه: أكملهم، وسيدهم، وخطيبهم، وإمامهم، وخاتمهم، وليس نبي إلا وقد أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمر أن يأخذ على أمته الميثاق بذلك^(٤).

ومن ذلك أن معجزة كل نبي انقضت معه ومعجزته صلى الله عليه وسلم باقية بعده إلى ما شاء الله، وهو القرآن العزيز المعجز لفظه ومعناه، الذي تحدى الإنس والجن أن يأتوا بمثله، فعجزوا، ولن يمكنهم ذلك أبداً إلى يوم القيامة^(٥).

ومن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم أسري به إلى سدره المنتهى، ثم رجع إلى منزله في ليلة واحدة^(٦). ومن ذلك أن أمته إذا اجتمعت على قول واحد في الأحكام الشرعية، كان قولها ذلك معصوماً من الخطأ، بل يكون اتفاقها ذلك صواباً وحقاً كما قرر ذلك في كتب الأصول، وهذه خصوصية لهم بسببه لم تبلغنا عن أمة من الأمم قبلها^(٧).

ومن ذلك أنه صاحب الحوض المورود، وقد روى الترمذي وغيره: أن لكل نبي حوضاً. ولكن نعلم أن حوضه صلى الله عليه وسلم أعظم الحياض وأكثرها وارداً. ومن ذلك أنه صاحب الحوض المورود، وقد روى الترمذي وغيره: أن لكل نبي حوضاً. ولكن نعلم أن حوضه صلى الله عليه وسلم أعظم الحياض وأكثرها وارداً^(٨) وغيرها كثير جداً.

(١) صحيح البخاري باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام (٣٤٤٩)، (١٦٨/٤) ومسلم باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً (١٥٥)(١٣٥/١).

(٢) ابن حبان، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي تفسير البحر المحيط، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض (٤٧٣/٢)، السفاريني لوامع الأنوار البهية (٩٤/٢).

(٣) صحيح البخاري، باب قول النبي ﷺ (جعلت لي الأرض مسجداً) (٤٣٨) (٩٥/١)

(٤) ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١١٠/٨)

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٣٤٩/١)

(٦) ينظر، الجزائري، أيسر التفاسير (١٧٣/٣)

(٧) ينظر، المسند (٣٩٦/٦) و المعجم الكبير للطبراني (٢٨٠/٢) من طريق الليث.

(٨) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الفصول في السيرة، تحقيق وتعليق: محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو: مؤسسة علوم القرآن، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣ هـ (٢٧٨/١)

المطلب الثاني: مفهوم العلاقات الاجتماعية وأهميتها:

مفهوم العلاقات الاجتماعية

لمعرفة مفهوم العلاقات الاجتماعية لابد أولاً ومن معرفة معنى العلاقة لغة واصلاحاً.

فالعلاقة لغة: (العين واللام والقاف أصل كبير صحيح، يرجع إلى معنى واحد، وهو أن يناط الشيء بالشيء العالي)^(١)، وهو من التعلق بالشيء العالي.

أما اصطلاحاً فقد عرفت بتعريفات منها:

١. العلاقة صفة نفسية بين اثنين أو أكثر، وقد تكون موجة عاطفية أو سالبة عدائية وما بينهما في درجات، كما أنها قد تكون أولية مستمرة أو ثانوية عابرة ومتغيرة، وقد تكون سطحية أو عميقة^(٢).

٢. صلة بين طرفين أو أكثر بحيث إذا تأثر أحد الأطراف تأثرت تبعاً لذلك الأطراف الأخرى^(٣).

ومما يدل على أن العلاقات صلة نفسية بين فردين، ما ينكره علماء النفس الاجتماعي من مراحل لتكون أي علاقة فإنما تمر على مراحل أربع كلها قائمة على التواصل النفسي بين شخصين.

أما المراد بالعلاقات: فهي جمع علاقة وهي الصلات التي تربط كل فرد من أفراد الأسرة، وكل أسرة بأسرة، وكل بلد ببلد، وفي آخر الدائرة تربط المسلم بالمسلم في أي مكان من الأرض، هذه هي العلاقة.

والمجتمع لغة كما جاء في معجم المعاني الجامع هو عبارة عن فئة من الناس تشكل مجموعة تعتمد على بعضها البعض، يعيشون مع بعضهم، وتربطهم روابط ومصالح مشتركة وتحكمهم عادات وتقاليد وقوانين واحدة، والمجتمع مَوْضِعُ الْإِجْتِمَاعِ وَالْجَمَاعَةِ مِنَ النَّاسِ^(٤).

ومن معانيه في اللغة كذلك هو مصطلح مشتق من الفعل جَمَعَ، وهي عكس كلمة فرق، كما أنها مُشْتَقَّةٌ عَلَى وَزْنِ مُفْتَعَلٍ، وتعني مكان الاجتماع، والمعنى الذي يقصد بهذه الكلمة هو جماعة من الناس،

(١) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الطبعة: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م. (٤/١٢٥).

(٢) الهاشمي، عبد الحميد، المرشد في علم النفس الاجتماعي، دار الشروق، الطبعة الثانية، ١٤٠٩ هـ (١٦٤).

(٣) نور عبدالمنعم، العلاقات الإنسانية في المجتمع، مركز خدمة المجتمع بجامعة الملك سعود (١٣).

(٤) تعريف و معنى مجتمع في معجم المعاني الجامع، "www.almaany.com"، و إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار، المعجم الوسيط: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية (١/١٣٦).

وهذا رد على من يعتقد أنها كلمة خاطئة ويقول إنه ينبغي استخدام كلمة جماعة بدلاً منها، ويُسمّى العلم الذي يُعنى بدراسة المجتمع من جميع نواحيه بعلم الاجتماع^(١)

والمجتمع المسلم معناه: مجموعة تلك الأسر التي تنتظم من أولئك الأفراد الذين رباهم الإسلام، فكوّنوا الأسرة المسلمة، وتكون من مجموع هذه الأسر المجتمع الإسلامي^(٢).

العلاقات الاجتماعية: هي أي اتصال أو تفاعل أو تجاوب يقوم بين شخصين أو أكثر لغرض إشباع الحاجات الأساسية والثانوية للأشخاص الذي يكونون العلاقة، ويدخلون ضمن حدودها^(٣).

وعُرفت العلاقات الاجتماعية بأنها: الروابط والآثار المتبادلة بين الأفراد في المجتمع، والتي تنشأ نتيجة اجتماعهم وتبادل مشاعرهم واحتكاكهم ببعضهم البعض ومن تفاعلهم في بوتقة المجتمع^(٤).

تُعدّ العلاقات الاجتماعية التي تتبلور بين الأفراد في مجتمع ما بناء على تفاعلهم مع بعضهم البعض - بغض النظر عن كونها علاقات إيجابية أو سلبية- من أهم ضرورات الحياة. وعليه فإن موضوع العلاقات الاجتماعية يحتل مكانة مهمة في العلوم الاجتماعية.

أهمية العلاقات الاجتماعية

لا أظن أن أحدًا من الناس يجادل في أهمية العلاقات الجيدة، ودورها الفعال في جميع مجالات الحياة على مستوى الشعوب والأفراد؛ ولذلك فالحديث عن أهمية العلاقات من الأمور المهمة التي يجب أن نتعرف عليها، وسندكر بعض الجوانب المهمة التي تبرز من خلالها أهمية العلاقات ومن أبرز هذه الجوانب ما يأتي:

أولاً: الحماية والنصرة؛ حيث تُشكّل العلاقات الجيدة حماية للفرد و المجتمع فيعيشون بسلام ويؤمنون على أنفسهم وأهليهم وكذلك يستطيعون نشر دعوته، وتبليغ رسالته، ولو بشكل محدود، ولعل أبرز ما يدل على ذلك من قصص أولي العزم من الرسل عليهم السلام قصة نوح مع قومه، فما استطاع أهل الإجمام منهم أن يصلوا إليه بأذى، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا

(١) حسن عبد الرازق منصور (٢٠١٣)، بناء الإنسان (الطبعة الثانية)، عمان- الأردن: أمواج للنشر والتوزيع، صفحة ١٨٧.

(٢) دروس الشيخ عبدالله الجاللي: (٣/٤).

(٣) الدكتور محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م، (٤٣٧).

(٤) مرتضى البشير الأمين، الاتصال في العلاقات العامة، مجلة المنهل ٢٠١٦م (٨٦).

بِعَزِيزٍ ﴿هُود: ٩١﴾، قال العلامة السعدي^(١) - رحمه الله. في معنى الآية: أي: " ليس لك . أي يا نوح . قَدْرٌ في صدورنا ولا احترام في أنفسنا، وإنما احترمنا قبيلتك بتركنا إياك "^(٢)، ومما يزيد هذا الجانب وضوحاً ذلك الدور الفعال الذي لعبته علاقة النسب بين النبي - ﷺ - وبين عمه أبي طالب؛ حيث أحاطته - ﷺ - بنوع من الطمأنينة والأمن استطاع من خلاله أن ينشر دعوته المباركة، وأن يبذر نواة الخير في مكة وما حولها، ولست بحاجة إلى أن أدلل على جودة تلك العلاقة؛ لأن السيرة قد شهدت بذلك لأبي طالب من خلال مواقفه الجيدة في التصدي لمحاولات صناديد قريش الآثمة التي كانت تستهدف النبي - ﷺ -، ودعوته المباركة، بل وسُطِرَتْ له تلك الأبواب التي تدل على شدة محبته لرسول الله - ﷺ -، وقوة دفاعه عنه، والتي منها قوله:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم * * حتى أُوسدَ في التراب دفينا

فاصدغْ بأمرِك ما عليك غضاضةً * * وابشر وقرِّ بذاك منك عيوننا^(٣)

فالعلاقات تحوط أصحابها ببعض الحماية التي تكون نافعة جداً، وبالذات في ظل الخلافات الشديدة التي قد تكون عائقاً كبيراً في طريق نشر الخير! وهنا أمر مهم جداً يحسن التنبيه إليه: وهو أن تلك العلاقة حظيت بنوع من التفاعل بين الطرفين، فالنبي - ﷺ - يحرص على برِّ عمه أبي طالب، ويتودد إليه بما لا يتعارض مع أمر الله، ويعرض عليه الدعوة إلى الخير، حتى في اللحظات الأخيرة من حياته، وكذا عمه أبو طالب يقابل ذلك المعروف بالحماية والعطف والحب والشفقة كما تقدم.

ثانياً: زيادة الإنتاج الدعوي؛ وذلك من خلال استثمار الأموال والطاقات والأوقات التي لا تُمنح لأحد في الغالب إلا بحسب العلاقات أو المصالح المشتركة، ومن هنا تبرز أهمية العلاقات، ويتحتم على الدعاة إلى الله السعي في بنائها، واستثمارها في مجالات الدعوة المختلفة، ولست بحاجة إلى الإسهاب في هذا الجانب؛ لأن جهد الواحد ليس كجهد الاثنين، وجهد الأفراد ليس كجهد المؤسسات؛ ولأن ما يُنجز من

(١) هو: عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، ولد في عنيزة في القصيم سنة (١٣٠٧هـ)، توفي والده وهو صبي ، فكفلته زوجة أبيه، وكانت تقدمه على أولادها، وأدخلته مدرسة تحفيظ القرآن، حفظ القرآن وهو في الرابعة عشرة من عمره، واشتغل في طلب العلم، فقرأ الكتاب وحفظ المتون ثم تصدى للتعليم ، ونشر العلم حتى ذاع صيته ، من مؤلفاته : (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، و (القواعد الحسان لتفسير القرآن)، و (المواهب الربانية من الآيات القرآنية)، و (التنبيهات اللطيفة في ما احتوت الواسطية من المباحث المنيفة) وغيرها، توفي في عنيزة سنة (١٣٧٩ هـ). ينظر: أصول التفسير ومناهجه للدكتور فهد الرومي ص (١٦٠ - ١٦١)

(٢) السعدي عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويح مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠، (١ / ٣٨٨)

(٣) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جَرْدِي الخراساني، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٠٥ هـ، باب وفاة أبي طالب عم الرسول (٢/٣٤١)

الأعمال الدعوية في ساعة ليس كما ينجز من الأعمال في ساعتين؛ ولأن ما يبذل من المال للدعوة من شخص واحد ليس كما يبذل من المال من شخصين، وهكذا يدرك الجميع أهمية العلاقات، وأنها بلا شك من أعظم روافد العمل الدعوي، وبالذات في هذا الزمن الذي تحتل فيه العلاقات مكانة مرموقة على مستوى الشعوب والأفراد؛ فهل يحرص الدعاة المصلحون على بناء العلاقات، واستثمارها في الدعوة إلى الله، أم يبقون نكرات في مجتمعاتهم، وأحيائهم، يتعللون بالخوف من بريق الشهرة، ويشعرون أن بروزهم ينافي كمال الإخلاص، وقد يفقدون بعض المصالح الراجعة: كحفظ الأوقات، وطلب العلم، ونحو ذلك؟ مع أن هذا الكلام وإن كان حقًا إلا أن التوازن أمر مطلوب في أمور الحياة، وسر عظيم من أسرار النجاح. (١)

إن الله -جلّ وعلا- افتتح وجود الكائن البشري افتتاحًا اجتماعيًا، فأدم لم يعيش في الجنة وحيدًا، وإنما مع حواء، وحين هبطا إلى الأرض، اتسعت دائرة حياتهما الاجتماعية بإنجاب الأولاد ووجود الأحفاد.

ومنذ ذلك اليوم، وإلى يوم الناس هذا ما فتئت الفضاءات التي تكتسبها العلاقات الاجتماعية في حالة من الاتساع الدائم، حيث إن من طبيعة التقدم الحضاري تعقيد كل شيء، والذي يقتضي من جهته المزيد من التداخل والتشابك، والمزيد من العلاقات الاجتماعية. (٢)

إنّ الأمداء . الآفاق . الفسيحة الشاسعة للارتقاء البشري مدينة للنظم الاجتماعية التي يحيا البشر داخلها ، بل يمكن القول: إن الحياة الاجتماعية تُسهم على نحو جوهري في تشكيل الطبيعة الأولى لنا؛ حيث إن كثيرًا من مفردات الطبيعة الإنسانية لا يورث من الأسلاف، بل هو ميراث على كل إنسان أن يستعيده من خلال العلاقات المربية والخبرات المكتسبة (٣).

إن العلاقة الاجتماعية تشبع مجموعة من الحاجات النفسية المهمة لدى الفرد مثل الحاجة للأمن والحب و الانتماء وبدونها لا يشعر بالمتعة والسعادة في صحبة الغير، وإن تلك العلاقة تربط بين الأفراد والجماعات ، مما يفرز نوعًا من الاهتمامات والأهداف العامة والمشاركة التي يتعاون الجميع من أجل تحقيقها. (٤)

(١) مجلة البيان، الربيع بن ابراهيم مليحي، العلاقات الاجتماعية بناؤها وتوظيفها في الدعوة إلى الله، العدد رقم (٢١٢) ذو الحجة - ١٤٠٦هـ - أغسطس - ١٩٨٦م ، (ص٦)

(٢) بكار عبدالكريم ، اكتشاف الذات (١٥٩)

(٣) بكار عبدالكريم ، عصرنا والعيش في زمانه الصعب ، دار القلم ، دمشق الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ (٢٦١)

(٤) فياض حسام الدين، العلاقات الاجتماعية: (٥).

بل وإن العلاقات الاجتماعية لها تأثير مباشر وجوهري في الأفراد والمجتمع، "وتتميز المؤثرات والعلاقات الاجتماعية داخل الأسرة بأنها مباشرة وقريبة ومستواها أولي وجوهري ويقوم على لقاء الأفراد بعضهم ببعض، وجهًا لوجه وصوتًا لصوت في أحاديثهم المتبادلة، فميولهم مشتركة، وأذواقهم قريبة، وصلتهم قوية وعميقة"^(١).

قال الدكتور عبدالكريم بكار: "إذا كانت العلاقات الاجتماعية على هذه الدرجة من الأهمية، فإن من واجبنا أن نسعى إلى رعايتها وتنميتها، وتحسين مستواها، وفهم الأساليب والأدوات التي تساعد في كل ذلك، وهذا ما أسأل الله-تعالى-أن يعينني على توضيحه في الصفحات القادمة."^(٢)

(١) السيد، فؤاد البهي، علم النفس الاجتماعي دار الفكر العربي الطبعة الأولى ١٩٥٤: (٩٢).

(٢) انظر بكار ، عصرنا والعيش في الزمان الصعب (٢٦١-٢٦٤).

المبحث الثاني

مقاصد وأسس العلاقات الاجتماعية ، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: مقاصد العلاقات الاجتماعية في الإسلام.
- المطلب الثاني: أسس العلاقات الاجتماعية

المطلب الأول: مقاصد^(١) العلاقات الاجتماعية في الإسلام

بعد أن تعرفنا على مفهوم العلاقات الاجتماعية وأهميتها لا بد من معرفة مقاصد النظام الاجتماعي وأهدافه حتى نتضح الغايات العامة والغايات الخاصة من كليات هذا النظام وجزئياته.

ومعرفة المقاصد لها أهمية بالغة في التطبيق والوقاية وفي المبادرة وفي الرعاية لكل المصالح التي تهدف إليها، الوقاية من كل المخاطر التي قد يتعرض لها المجتمع، والمبادرة إلى المقاصد التي عني بها الإسلام والرعاية لكل جزئيات المصالح التي قصدتها في تشريعه ومن أهمها ما يلي:

أولاً: تحقيق السكن^(٢)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم: ٢١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١]

هذا السكن الذي لا يتحقق أبداً في العلاقات المحرمة الممزوجة دائماً بالخوف والقلق وسوء العاقبة، فمشاعر الزنا والزواني متضاربة ساقطة، ومشاعر الأزواج ساكنة منسجمة سامية^(٣)، السكن الذي يلم شعث النفس، ويحقق لها الاستقرار، ويحقق لها الستر الكامل كستر اللباس للجسد قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ [النساء: ١٨٧]. قال سيد قطب^(٤) "فهي صلة النفس بالنفس، و صلة السكن والقرار، و صلة المودة والرحمة، و صلة الستر والتجمل"^(٥)، وتكون المرأة بالنسبة للرجل زينته ولصيقته وجماله وستره، ويكون الرجل للمرأة كذلك،

(١) المقاصد لغة: جمع مَقْصَد، من قصد الشيء، وقصد له، وقصد إليه قصدًا، من باب ضرب، بمعنى طلبه، وأتى إليه،

واكتنزه، وأثبتته.. والقصد: هو طلب الشيء، أو إثبات الشيء، أو الاكتناز في الشيء، أو العدل فيه. (القاموس المحيط)

(٢) السين والكاف والنون أصل واحد مطرد، يدل على خلاف الاضطراب والحركة. يقال سَكَنَ الشَّيْءُ يسْكُنُ سكوناً فهو ساكن. "وهو الأطمئنان". (معجم مقاييس اللغة، ٨٨/٣)

(٣) عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، الزواج في ظل الإسلام، دار السلفية، الكويت الطبعة: الثالثة، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) (٢٦).

(٤) هو: سيد بن الحاج قطب بن إبراهيم، ولد سنة (١٩٠٦م) في مصر، وتخرج في كلية دار العلوم سنة (١٩٣٣م)، فزاول مهنة التدريس سنوات ثم موظفاً في وزارة المعارف، ثم أوفد إلى أمريكا للاطلاع على مناهج التعليم فيها لتطبيقها في مصر، ثم عاد من أمريكا وقد زاد نشاطه وحماسه للدعوة، حيث انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين، وسجن فترة طويلة، ألف خلالها تفسيره (في ظلال القرآن)، وأفرج عنه عام (١٩٦٤م)، ثم حكم عليه بالإعدام سنة (١٩٦٦م)، له =

فليس ثمة صورة أقرب وأظهر في الامتزاج والتكامل والتجانس والمحبة والمودة من هذه الصورة، فحاجة النفس إلى الزواج كحاجتها إلى السكن واللباس الظاهر.

وبدون نظام الإسلام تتحقق الفوضى الجنسية التي تسبب القتل غالبًا، وتسبب التشرذم الأسري والاجتماعي، فتعم الفوضى في الحياة كلها. وبهذا السكن يكمل كل واحد من الزوجين الآخر، ويكمل في شطر دينه فليقت الله في الشطر الآخر، فالرجل لا يبلغ كماله الإنساني إلا في ظل الزواج وكذلك المرأة، "وأراد الله بالتقاء شطري النفس الواحدة - بعد ذلك - فيما أراد، أن يكون هذا اللقاء سكونًا للنفس، وهدوءًا للعصب، وطمأنينة للروح، وراحة للجسد .. ثم سترًا وإحصانًا وصيانة .. ثم مزرعة للنسل وامتداد الحياة، مع ترقيقها المستمر، في رعاية المحض الساكن الهادئ المطمئن المستور المصون"^(٢)

فلا ريب أن الزواج فيه من سكينه النفس إلى شريك الحياة ما يعين على العفة والحصانة الخلقية وما يتفق مع الفطرة ويحصنها ويقيها من مزلق الشهوات والشبهات.

ثانيًا: التعارف^(٣)

يعتبر التعارف بين الشعوب والقبائل ومد جسور التواصل والتعاون على البر . حتى مع من يخالف في الدين إذا رضي بذلك ولم يكد للإسلام والمسلمين . قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]، من أعظم المقاصد التي بها ينعم المجتمع، وأراد الله سبحانه لبني البشر التعارف والتعاون في المجتمعات وبين الشعوب قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣]، فليست هذه الشعوب والقبائل لتتفاخر وتتناكر وتتحارب وإنما لتتعرف وتتألف، قال السعدي: "يخبر تعالى أنه خلق بني آدم، من أصل واحد، وجنس واحد، وكلهم من ذكر وأنثى، ويرجعون جميعهم إلى آدم وحواء، ولكن الله بث منهما رجالا كثيرا ونساء، وفرقهم، وجعلهم شعوبًا وقبائل أي: قبائل صغارًا وكبارًا، وذلك لأجل أن يتعارفوا، فإنهم لو استقل كل واحد

= مؤلفات كثيرة منها : (معالم في الطريق) و (التصوير الفني في القرآن) ، و (مشاهد القيامة في القرآن) ، وغيرها .

انظر : أصول التفسير ومناهجه الفهد الرومي الناشر: مكتبة التوبة، سنة النشر: ١٤١٩ ص (١٩١)

(١) إبراهيم ، سيد قطب ، في ظلال القرآن: دار الشروق - بيروت - القاهرة، السابعة عشر - ١٤١٢ هـ (٣٥٩٥/٦).

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن: (٦٤٨/٢).

(٣) هو أن يعرف الناس بعضهم بعضا بحسب انتسابهم جميعا إلى أب واحد وأم واحدة ثم بحسب الدين والشعوب والقبائل، بحيث يكون ذلك مدعاة للشفقة والألفة والوئام لا إلى التنافر والعصبية (موسوعة نظرة النعيم، دار الوسيلة للنشر والتوزيع،

جدة الطبعة الرابعة (٣ / ١٠٠٤)

منهم بنفسه، لم يحصل بذلك التعارف الذي يترتب عليه التناصر والتعاون، والتوارث، والقيام بحقوق الأقارب، ولكن الله جعلهم شعوباً وقبائل، لأجل أن تحصل هذه الأمور وغيرها، مما يتوقف على التعارف، ولحوق الأنساب، ولكن الكرم بالتقوى، فأكرمهم عند الله، أتقاهم^(١).

والكرامة لها عند الله بتقواها لا فضل لأبيض على أحمر ولا لعربي على عجمي ولا لغني على فقير، وأول التقوى الإسلام لله وحده الذي ختم به رسالاته وهديه للبشر قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]، وأحد صور هذا التعارف تظهر في الحج ومنافعه العظيمة.

قال أبو الأعلى المودودي^(٢): "لم يعرض نظام الإسلام الاجتماعي الذي يضع البشر جميعاً على قدم سواء من حيث إنسانيتهم وبالتالي فهو يرتضي التمييز بينهم على أساس أمور لا دخل لهم بها ولا اختيار كالجنس واللون والوطن واللغة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، ومن ثم يفتح المجتمع الإسلامي نراعيه للبشر كافة ليكونوا أعضاء فيه بلا أدنى تفريق في الحقوق والواجبات، أي أنه مجتمع عالمي إنساني عقائدي^(٣).

ثالثاً: تحقيق المودة^(٤)

إن المودة تنمي في النفس مكارم الأخلاق، و تهئ المحضن السليم لتربية الأجيال، وهي التي تصنع الأبطال. فمن الأسر المؤمنة والنساء الصالحات تخرج الأفاضل في حضارة الإسلام الممتدة عبر الأزمان، وليس مثل الزواج والبناء في تحقيق هذه المودة بين الزوجين وبين العوائل وبين القبائل قال تعالى: ﴿وَمِنْ

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: (٨٠٢/١).

(٢) أبو الأعلى بن أحمد حسن المودودي ولد في مدينة أورانج آباد جنوبي الهند. انتخب عام ١٩٤١ م أول رئيس للجماعة الإسلامية. وقد حوكم وسجن. أسهم في إنشاء جمعية الجامعات الإسلامية كمنظمة دائمة. في عام ١٣٩٩ هـ منح جائزة الملك فيصل تقديراً لجهوده وتضحياته في خدمة الإسلام، بلغ عدد مؤلفات المودودي (٧٠) مصنفاً ما بين كتاب ورسالة، ومنها (الجهاد في الإسلام) (الحضارة الإسلامية أصولها ومبادئها) (نظرية الإسلام السياسية) (تجديد وإحياء الدين) توفي رحمة الله في (غرة ذي القعدة ١٣٩٩ هـ = ٢٢ من سبتمبر ١٩٧٩م) (يوسف، محمد خير بن رمضان بن إسماعيل، تكملة معجم المؤلفين: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م (٨٣/١)

(٣) انظر القطان، مناع نظام الأسرة في الإسلام، دار الثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى ١٩٦١م ص (١٢-١٣).

(٤) (المود) الكثير الحب (المؤدّة) المحبة والكتاب أو الكتب وبه فسر ما في التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ {تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ} (الود) يُقَالُ هُوَ وِدِي وَمَحِبَّتِي (يَسْتَوِي فِيهِ الْمُفْرَدُ وَغَيْرُهُ وَالْمَذْكَرُ وَغَيْرُهُ) وَيُقَالُ بُوْدِي لَوْ تَزَوَّجْتَنِي أَحَبُّ ذَلِكَ (الود) الْمُحِبُّ وَالْكَثِيرُ الْحَبِّ (المعجم الوسيط، ٢ / ١٠٢٠)، والمودة من الود وهو خالص الحب وألطفه وأرقه (ينظر سبيل الرشاد في هدي خير العباد، ٦ / ٣٦)

ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿[الروم: ٢١]﴾، "فالمودة وحدها أصرة عظيمة وهي أصرة الصداقة والأخوة وتقاريعهما، والرحمة وحدها أصرة منها الأبوة والبنوة، فما ظنكم بأصرة جمعت الأمرين وكانت بجعل الله تعالى، وما هو بجعل الله فهو في أقصى درجات الإلتقان" (١)

كما أن المودة بين جميع أفراد المجتمع المسلم هدف كريم كما قال ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد) (٢).

رابعاً: تحقيق الرحمة (٣)

الرحمة التي تتعطش لها النفس، الرحمة التي كتبها الله على نفسه سبحانه، الرحمة التي جمل بها الحياة كلها حياة الإنسان وحياة الحيوان، الرحمة التي اشتق منها الرحم الذي يتواصل به البشر، الرحمة التي لا غنى للفرد عنها من أمه الحنون في طفولته وصغره إلى الرحمة له في شيخوخته وكبره من كل من حوله من أبنائه وبناته وأحفاده، ومن فقد الرحمة فقد حرم شيئاً لا يعوض عنه غيره.

وتحقيق الرحمة بين المسلمين سبيل إلى رحمة الله الكبرى لهم يوم القيامة، كما جاء عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء). (٤)

الرحمة التي تكون بين الزوجين وتتفرع بعد ذلك في أبنائهم وشئون حياتهم، فمشاعر الزواج تورث الرحمة والحب وسمو النفس وحياة الضمير والقلب، فهي مشاعر فياضة في العطاء والنماء" و من تمام رحمته ببني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم، وجعل بينهم وبينهن مودة: وهي المحبة، والرحمة: وهي الرأفة، فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبتة لها، أو رحمة بها، بأن يكون لها منه ولد، أو محتاجة إليه في الإنفاق، أو للألفة بينهما، وغير ذلك" (٥). ومشاعر الأبوة والأمومة تورث الرحمة التي تفيض من الفطرة وتسقى الحياة كلها بالدفء والحنان للأجيال قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير: (٦٣٦/١).

(٢) صحيح مسلم، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، (٦٧٥١)، (٢٠/٨).

(٣) هي رقة في النفس، تبعث على سوق الخير لمن تتعدى إليه (ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٤/٢٦).

(٤) سنن الترمذي باب رحمة المسلمين، (٣٢٣/٤)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، قال الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة: صحيح. (٥٩٤/٢).

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: (٣٠٨/٦).

أَرْوَجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾
 [الروم: ٢١] (وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً)، أي وجعل بين الرجال والنساء أو بين أفراد الجنس مودة ورحمة بواسطة الزواج، بخلاف سائر الحيوانات، تنظيماً لأمر المعيشة، قال السدي: المودة: المحبة، والرحمة: الشفقة^(١) الرحمة التي تكسب الحياة بهجة وتمنحها انطلاقة وحيوية وسعادة.
 خامساً: تحقيق الحق^(٢)

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ٣:١]، وقد شمل النظام الاجتماعي في الإسلام جميع جوانب الحق وحث على جميع الوسائل الموصلة إليه، ومثال ذلك الحق بين الزوجين فعليه تقوم العشرة بالمعروف بين الزوجين كما نصت عليه الآية الكريمة قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَنَعُوذُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وفي هذه الآية "إثبات حقوق كل من الزوجين على صاحبه"^(٣)، قال ابن عثيمين "فكما أن على الزوجة أن تتقي الله تعالى في حقوق زوجها، وأن تقوم بما فرض الله عليها؛ فلها أيضاً مثل الذي له في أنه يجب على الزوج أن يعاشرها بالمعروف، وأن يقوم بحقوقها الذي أوجب الله عليه"^(٤)

وقوله جل وعلا: ﴿يَأْتِيهَا الذِّبْنَ ءَامِنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ

(١) الزحيلي وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : دار الفكر المعاصر - دمشق: الثانية، ١٤١٨ هـ: (٦٧/٢١).

(٢) الحق في اللغة خلاف الباطل، وهو مصدر حق الشيء، يحق إذا ثبت ووجب (لسان العرب ٤٩/١٠) ويطلق على العدل، والإسلام، والمال، والملك، والموجود الثابت والصدق (القاموس المحيط ١١٢٩) (لسان العرب ٥٠/١٠) الحق هو الثابت الذي لا يسوغ إنكاره، ومن معاني الحق في اللغة: النصيب، الواجب، اليقين، وحقوق العقار (الشريف علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٥، ص ٩٣).

(٣) الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م: (٢١٢/١).

(٤) العثيمين محمد بن صالح (المتوفى: ١٤٢١هـ): تفسير العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ: (١٠٠/٣).

أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ [النساء: ١٩]، فالحق والمعروف هو أساس العشرة في حياة المجتمع الحق ومجتمع التقوى، وعلى التقوى يكون البناء الأقوى قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ [التوبة: ١٠٩]، فالحق هو الحياة والباطل هو الهلاك.

سادسًا: تحقيق التكافل الاجتماعي^(١)

من خلال اللبنة الأسرية ومن خلال العلاقات القوية يتكون المجتمع، وأقوى رابط يربط هذه اللبنة هو التكافل والتعاون على البر كله، وعلى الخير كله، وعلى تحقيق غاية الخلق وهي تقوى الله وطاعته. فالتكافل الاجتماعي مقصد من مقاصد النظام الاجتماعي والاقتصادي في الإسلام، به تقوى العلاقات وتنمو الحياة، فهناك تكافل بين الفرد وأسرته، وبين الأسرة والأسرة غيرها، وبين الأسرة والجماعة، وتكافل بين الجماعات، وتكافل بين الشعوب والأمم، وكل ذلك في جهد تعبدي يرتقي بالفرد والجماعة. فالفرد حارس لمصلحته ومصلحة الجماعة، والجماعة حريصة على كل المصالح العامة والخاصة، فهم في سفينة واحدة، بل هم كالجسد الواحد، وقد جاءت تفصيلات ذلك مرتبة وموضحة في هذا النظام ومن ذلك جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: (السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينَ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ الْقَائِمِ اللَّيْلِ الصَّائِمِ النَّهَارِ)^(٢).

ومظاهر التكافل الاجتماعي في الإسلام كثيرة لا يتسع المجال هنا لتفصيلها ولكن من ذلك ركن الإسلام الثالث الزكاة ومصارفها الثمانية والنفقة الواجبة للوالدين والزوجة والأبناء، وحق ذوي القربى ورعاية الجار، وإكرام الضيف، وقد جاءت النصوص النبوية الكريمة مؤكدة على ذلك.

" إن بناء الأمجاد في الأمة، وطريق الحفاظ على استقلالها وعزتها وكرامتها يحتاج إلى تعاون أفرادها وتضامن أبنائها، فلا يتحقق تقدم ولا تسمو أمة من دون التضحية بالمال والنفس، والآخرة ميزان الأعمال الصالحة، وفيها رصيد خالد دائم لكل من يعمل خيراً أو يؤدي واجباً، ولكن الناس في التعاون وفعل الخير متفاوتون، فمنهم من يقدم على الخير لذاته حباً فيه، ومنهم من يفعل الخير خوفاً من العقاب

(١) التكافل الاجتماعي هو أن يتكفل المجتمع بشؤون كل فرد فيه من كل ناحية من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والصحية (روح الإسلام لمحمد عطية الإبراشي (٢٣٧).

(٢) صحيح البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، (٥٣٥٣) (٨٠/٧).

وطلباً للثواب، وهؤلاء هم المحتاجون للتذكير والخطاب الإلهي الأمر بالإنفاق في سبيل المصلحة العامة، وقوة الجماعة، وتحقيق التكافل الاجتماعي^(١)، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال : رَسُولُ اللَّهِ (مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَعَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَكَرَّهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ)^(٢).

والتكافل في النظام الاجتماعي والاقتصادي في الإسلام منه ما هو فرض وواجب، ومنه ما هو مستحب، وكل صورة تسر الناظر وتبهج خاطر وينطلق المسلم في رحابه وهو يحب لأخيه ما يحب لنفسه والجميع يجد نفع هذا التكافل الغني والفقير، الصغير والكبير، الراعي والرعية وكل فرد مسؤول عن هذا التكافل وحريص عليه لما يرجوه من فضل الله الذي أعده للمحسنين.

"إن التكافل الاجتماعي هو قاعدة المجتمع الإسلامي، والجماعة المسلمة مكلفة أن ترعى مصالح الضعفاء فيها"^(٣)، ومنافع هذا التكافل تصل إلى الفقير والمسكين والمريض والأرملة واليتيم ومن في حكمهم، وتصل أيضاً إلى الغني في حالات طارئة كسفر وغرم ونحوه، كما أن أجر عمله وعطائه نعمة من الله عليه، وسلامة أمواله وسط مجتمع طاهر مترابط متحاب لا تكلف كما تكلف وسط مجتمع الجريمة والشحناء، فما أروع الطهارة وما أجمل الأمن في مجتمع الإيمان والزكاة قَالَ تَعَالَى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ١٠٣].

سابعاً: حفظ الضروريات الخمس:

١. الدين: وبه تستقيم علاقة الإنسان مع ربه، وتتحقق به الغاية من وجوده.
٢. العقل: وهو مناط التكليف، ومحل التميز والتكريم.
٣. النفس: وبها استمرار الحياة للغاية العظيمة التي أرادها الله سبحانه.
٤. العرض والنسل: وبه تكاثر البشر وعفة وطهارة الأصل.
٥. المال: وبه قوام الحياة والعون على أداء الواجبات والطاعات.

(١) الزحيلي ، وهبة بن مصطفى ، التفسير الوسيط ، دار الفكر - دمشق، ١٤٢٢ هـ ، (١ / ١٤٤)

(٢) صحيح مسلم، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن (٢٦٩٩) (٤ / ٢٠٧٤)

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن: (٢٣٢/١).

والنظام الاجتماعي إلى جانب النظام الاقتصادي والسياسي في الإسلام قد اعتبر المحافظة على هذه الضرورات وصيانتها وتحريم كل ما يؤثر عليها مقصدًا من مقاصد التشريع وهدفًا من أهدافه.

وفي الزواج وبناء الأسرة على المنهج الإسلامي الكريم وعلى الميثاق الغليظ حفظ وتحقيق للمصالح الكبرى في الدين والعقل والنفس والنسل والعرض والمال، وذلك ما أثبتته الصادق المصدوق في قوله: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج)^(١)، وفي ذلك حفظ للدين من مزالق الشهوات، وحفظ للنفس والعقل من الشبهات، فما هناك فتن أشد من فتن النساء، وفي الزواج وقاية وعلاج.

فقد نظم العلاقة بين الرجل والمرأة ولم يمنعها ولم يُطلقها فترتب على إطلاقها مفسد وفوضى في نواحي الحياة، وهو خير عاصم للشباب في كل وقت، وفي وقتنا المعاصر من المآسي التي تعاني منها المجتمعات الفاجرة، وهو خير دافع إلى حياة الاستقرار والبناء.

ومن مقاصد الزواج وغاياته النسل والذرية الصالحة قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِمُتَّقِينَ إِمَامًا ۗ﴾ [الفرقان: ٧٤]

وقد حث النبي ﷺ أمته على ذلك في أحاديث كثيرة منها، (تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة)^(٢) وقد امتن الله علينا بذلك في قوله سبحانه وبحمده: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَلَيْسَ الْبَاطِلُ يُؤْمِنُونَ وَبِعَمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ۗ﴾ [النحل: ٧٢].

والنظام الاجتماعي في قيمه الاجتماعية وترابطه بين الأسر والمجتمعات يحافظ على هذه الضرورات ولا يحمل الأسرة وحدها ويترك الأمر بعدها فرطاً أو جهداً متضارباً متناقضاً؛ بل شرع من الآداب الاجتماعية ما يعين الأسرة على عفتها وكرامتها وما يقويها على رسالتها، ومن ذلك الأمر بالمعروف وإشاعته والنهي عن المنكر وأبوابه.

ومن ذلك تحريم المحرمات كلها التي تهدم الدين، وتهلك النفس، وتتلف العقل، وتهدر الشرف، وتهلك النسل، وتبذر المال، فهو نظام أخلاقي متكامل جاء بالخير الذي يحفظ المصالح ويمنع المفسد،

(١) صحيح البخاري بابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، لِأَنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ» وَهَلْ يَتَزَوَّجُ مَنْ لَا أَرَبَ لَهُ فِي النِّكَاحِ " (٥٠٦٥) (٣/٧).

(٢) مسند أحمد، مسند أنس بن مالك (١٢٦١٣) (٦٣/٢٠) وقال الألباني واسناده صحيح، السلسلة الصحيحة (٤٩٧/٥).

تتلاحم فيه قوة التشريع مع قوة التنفيذ، وسعادة الدنيا مع سعادة الآخرة، وتضافر فيه جهود كل أفراد الذين يعيشون في سفينته حتى لا تتخرم السفينة فيكون الهلاك. والإنسان لا يعيش وحده، بل حياته مع مجتمعه وبمجتمعه، وهذا المجتمع لا يملك الحياة كلها بل هو حلقة مترابطة في حركة الأجيال، فعليه أن يسلم الأمور سليمة لمن بعده ولا يظهر الفساد في الأرض، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٢٢]، والحفاظ على الضروريات الخمس وغيرها لا يأتي من باب الروادع والزواجر والنواهي فقط؛ بل يأتي من باب الإحسان الذي يتسابق فيه المؤمنون، فإن الله قد كتب الإحسان على كل شيء، والله يحب المحسنين^(١).

قال سيد قطب: "والإحسان والمعروف أساس في العشرة الزوجية وفي بناء اللبنة الأساسية في المجتمع ولا يخرج المعروف إلا معروفاً، ولا ينبت الطيب إلا طيباً، فالبشرية كلها بحاجة إلى الأسرة المسلمة والمجتمع المسلم والأمة المسلمة قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] قَالَ تَعَالَى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٧٠]، ندعو الناس إليه ونحن على ثقة من أن فيه الوقاية والعلاج لكل ما تعانیه المجتمعات من الأزمات، وفيه الرحمة المهداة من رب رحيم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]^(٢).

(١) ينظر، مصطفى عبدالواحد، المجتمع الاسلامي، مطبعة دار التأليف، ١٩٧٠.

(٢) ينظر إبراهيم، سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الاسلام، دار الشروق-١٩٩٥- (٣٣ - ٣٩).

المطلب الثاني: أسس العلاقات الاجتماعية

- الأسس لغة : جمع أساس ، والأساس لأصل البناء ، وجمع الأساس أسس^(١)، وهذه المادة من الهمزة والسين تدل على الاصل والشيء الوطيد الثابت^(٢) ، فالأس : أصل البناء ، وكذلك الأساس ، والأسس مقصور منه . وقد أسست البناء تأسيسًا . وأسَّ البناء يؤسسه أسًا ، وأسسه تأسيسًا ، وأسست دارا إذا بنيت حدودها ورفعت من قواعدها^(٣) ، فالأس ما يبنتى عليه .

فالأسس لغة ما يبنتى عليه الشيء بالجملة ، وهذا يصدق على الامور المعنوية ، فهي في كل شيء بحسبه^(٤) ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى ﴾ [التوبة : ١٠٨] ، وقوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ أَتَقَى ﴾ [التوبة : ١٠٩] ، وفي هاتين الآيتين شاهد على صدق الأساس على الأمر الحسي والأمر المعنوي ، فالبناء على التقوى معنوي والمشبه به وهو البناء على جرف هار امر حسي وفي كلا الحالتين يعتمد عليه البناء ، ولذا يقال الاساس اولاً ثم البناء^(٥) .
للمجتمع المسلم أسس ومقومات يقوم عليها منها ما يلي :
أولاً: الإيمان بالله وعبادته وحده لا شريك له (التوحيد).

إن أعظم الأسس والمقومات التي تقوم عليها العلاقات الاجتماعية هو أساس العقيدة والتوحيد وما يتضمنه من التحاكم إلى شرع الله، وما فرض الله -تبارك وتعالى- به مما جاءت به رسل الله الكرام، وإن مما يجب علينا أن نصرف همنا في الدعوة إليه هو توحيد الله وحده لا شريك له، فهذه أعظم ميزة وأعظم مقوم، وأول منازل الطريق التي لا يجوز ولا ينبغي بحالٍ من الأحوال أن نتجاوزها أبداً.

قال سيد قطب: "أن تكون التنظيمات الاجتماعية كلها في المجتمع- شأنها شأن الشعائر التعبدية- مرتكزة إلى هذا الأصل الكبير، مستندة إلى معنى الدين، وحد الإيمان، وشرط الإسلام، فهي ليست مجرد تنظيمات وتشريعات، إنما هي مقتضى الإيمان بالله والاعتراف بألوهيته، وإفراده بالألوهية، والتلقي من القيادة التي يحددها"^(٦).

(١) الازهري أبو منصور محمد بن أحمد -تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي- بيروت - ٢٠٠١م (١٣ / ٩٦)

(٢) ابن فارس - معجم مقاييس اللغة (١٤/١)

(٣) الجوهري - الصحاح : ٩٠٣/٣ ابن منظور - لسان العرب (٦/٦)

(٤) خادل بن عثمان السبتي - قواعد التفسير (٢٢/١)

(٥) الراغب - المفردات في غريب القرآن (٣٢/١)

(٦) سيد قطب، في ظلال القرآن (٥٦١/١).

يقيم الدين الإسلامي الحنيف بناء مجتمع إسلامي يتسم بالقوة والتعاون والتكامل والتقدم التربوي والاقتصادي والعلمي والتكنولوجي، ويتميز أعضاؤه بشخصية متميزة سوية قادرة على العمل البناء والإنتاج، وعلى الحب والعطاء، وتكوين علاقات راضية مرضية مع الذات والآخرين.

ويكمن مفتاح هذه الشخصية الإسلامية المتمتعة بالصحة النفسية من الإيمان -اليقين- الكامل بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والانسجام بالأخلاق الإسلامية التزاماً وليس إلزاماً، ومراقبة الله سرّاً وعلناً. يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج: ٧٧-٧٨]

فالمسلم عليه أن يعبد الله ركوعاً وسجوداً وصوماً وحجاً وزكاةً، وأن يوحدته ويشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، إلى جانب سلوك طريق الخير قولاً وسلوكاً ونيةً، وإلى جانب إقامة الصلاة، فالقرآن الكريم -في الآيات السابقة- يوجهنا إلى ضرورة إيتاء الزكاة تحقيقاً للعدالة الاقتصادية، وللتراحم والتكافل بين الناس، وللحيلولة دون ظهور الحقد الطبقي بين الأغنياء والفقراء، هذا إلى جانب الاعتصام بالله سبحانه.

ويمكن القول: إن الدين الإسلامي دين ودولة، عبادة وسيادة، اقتصاد وجهاد، مصحف وسيف، تربية فردية وتعاون جماعي^(١)

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُورِثُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] ويؤكد القرآن الكريم على الدلائل الساطعة الجلية التي بثها الله في الآفاق وفي النفس لإثبات وحدانيته الكاملة. يقول تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤]^(٢)

(١) ينظر، الزحيلي وهبة التفسير لمنير

(٢) السمالوطي نبيل، بناء المجتمع الإسلامي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، الثالثة ١٤١٨هـ-١٩٩٨م (٢١/١)

ثانياً: اتباع السنة وترك البدعة

إن أعظم وصية أوصى الله -تبارك وتعالى- بها، ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد توحيد الله، هو اتباع السنة وترك البدعة.

فقد تواترت الأدلة من الكتاب والسنة على اتباع السنة وترك البدعة قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. قال القرطبي: " آية عظيمة عطفها على ما تقدم ؛ فإنه لما نهى وأمر حذر هنا عن اتباع غير سبيله ، فأمر فيها باتباع طريقه على ما نبينه بالأحاديث الصحيحة وأقوال السلف^(١). و قال مجاهد في قوله : ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ قال : البدع. قال ابن شهاب : وهذا كقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام : ١٥٩]. فالهرب الهرب ، والنجاة النجاة، والتمسك بالطريق المستقيم والسنن القويم ، الذي سلكه السلف الصالح ، وفيه المتجر الرابع^(٢)، فالاتباع يكون لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافتترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستتفرق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة)^(٣) ولهذا أوصى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بها، وأوصى بها رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. وهذه وإن كانت تشمل كل أنواع التفرق، إلا أن أعظم وأشد أنواع التفرق جرماً هو التفرق في الدين، وهذا ما حذرنا الله - تبارك وتعالى- منه حتى لا نشابه المشركين الذين قال عنهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام : ١٥٩]. فالأمم قبلنا جميعاً، من اليهود والنصارى وغيرهم قد وقعوا في الشرك جميعاً، وفرقوا دينهم، وكانوا شيعاً، أما نحن فأمرنا باتباع سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي أوصى ووعظ بها صلوات الله وسلامه عليه، ونهى عن البدع والمحدثات، عن العُرباض بن سارية، قال: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً دَرَقْتُ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلْتُ مِنْهَا الْقُلُوبُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةٌ مُوَدِّعٌ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: (قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لِيُهَا كَنَاهَرُهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ، فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَدِّبِينَ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنْفِ حَيْثُمَا انْقَادَ)^(٤).

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٣٧/٧)

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٣٨/٧)

(٣) مسند أحمد، مسند أنس بن مالك (١٢٤٧٩) (٤٦٢/١٩) قال الألباني صحيح ، ينظر صحيح الجامع الصغير وزياداته، (٢٤٥/١)

(٤) مسند أحمد ، حديث العرياض بن سارية (٨٦٧/٢٨) قال الأرنبوط: حديث صحيح بطرقه وشواهد، وهذا إسناد حسن.

ثالثاً: الأخلاق الحسنة

إن من أعظم الأسس التي يمكن من خلالها توثيق العلاقة بين أفراد والمجتمع بدءاً من الأسرة ثم الجار وانتهاء بابن السبيل، أساس الأخلاق، قال ﷺ: (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتَّبِعِ السَّبِيلَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ) قَالَ وَكَيْعٌ: وَقَالَ سُفْيَانُ، مَرَّةً: عَنْ مُعَاذٍ، " فَوَجَدْتُ فِي كِتَابِي: عَنْ أَبِي ذَرٍّ وَهُوَ السَّمَاعُ الْأَوَّلُ " (١).

قال الماوردي: الأخلاق: غرائز كامنة، تظهر بالاختيار، وتقهر بالاضطرار (٢)، وقال الجرجاني: الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة يصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث يصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة سميت الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي مصدر ذلك خلقاً سيئاً، وإنما قلنا إنه هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل المال على التدور بحالة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه (٣).

فقد كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما وصفته أم المؤمنين عائشة: (كان خلقه القرآن) (٤)، وكما قال صلى الله عليه وسلم وكفى بذلك فضلاً: (إن الرجل ليبليغ درجة الصائم القائم بحسن خلقه) (٥) فبحسن الخلق مع الأخ، والزوجة، والابن، ومع الصديق، والعدو يبلغون تلك الدرجة العظيمة، حتى كان كثير من الناس من العصاة والفجار والفساق يرون من حسن خلق الصحابة رضوان الله تبارك وتعالى عليهم ما يجعل قلوبهم ترق وتلين ويتركون ما كانوا عليه من الفسق والفجور، وهذا كثير جداً في عهد الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

(١) مسند الامام أحمد حديث أبي ذر الغفاري (٥ / ١٥٣ و ١٥٨ و ١٧٧) واللفظ له في رواية، والدارمي (٢ / ٣٢٣) والترمذي (١ / ٣٥٩) وقال: " حديث حسن صحيح " وجملة القول أن حديث الترجمة صحيح بمجموع طرقه. والله أعلم ينظر: (السلسلة الصحيحة ٣/٣٦٢).

(٢) تسهيل النظر وتعجيل الظفر، للماوردي (٥).

(٣) التعريفات للجرجاني (١٠٤)، إحياء علوم الدين (٣ / ٥٨).

(٤) مسند أحمد، مسند الصديقة (٢٤٦٠١) (١٣٨/٤٢) قال الألباني في صحيح الجامع الصغير: (صحيح) [حم م د] عن عائشة. صحيح أبي داود ١/١٢١٣: ن، ابن نصر، أبو عوانة.

(٥) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى،

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م (٣١٣/١) وأخرجه أبو الشيخ في "طبقات الإصبهانيين" (٣ / ١٦٥ - ط العلمية) من طريق

إسماعيل به. وإسناده جيدٌ إن ثبت سماع عبد الملك من ابن عمر. وأخرجه أبو نعيم في "أخبار أصبهان" (٢ / ١٤٤) من طريق ابن أبي ليلى عن نافع عن ابن عمر بلفظ: "إن العبدَ لينال بحسن الخلق منزلة الصائم نهاره القائم ليله". وابن أبي ليلى سبىء الحفظ، وفي السند إليه من لا يُعرف. ينظر، الدوسري أبو سليمان جاسم بن سليمان حمد الفهيد، الروض البسام بترتيبٍ وتحريجٍ فوائدٍ تمام، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م (٣/٢٩٧).

قال الشاعر :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبوا أخلاقهم ذهبوا^(١)

ومن أعظم ذلك حسن الخلق مع المدعويين، ومقابلة إساءتهم بالإحسان، ومقابلة أذاهم بالصبر والتحمل كما أوصى العبد الحكيم ابنه قال تعالى: ﴿يَبْنَئِ أَقْرِبَ الصَّالَاةِ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۗ﴾ [لقمان: ١٧]. وعن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أتي الله بعبده آتاه الله مالا، فقال له: ماذا عملت في الدنيا؟ قال: وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا قَالَ: يَا رَبِّ أَتَيْتَنِي مَالِكًا، فَكُنْتُ أَبَايَعِ النَّاسِ، وَكَانَ مِنْ خَلْقِي الْجَوَازِ، فَكُنْتُ أَتَيْسِرَ عَلَى الْمَوْسِرِ وَأَنْظَرَ الْمَعْسِرَ. فقال الله: أنا أحقّ بذا منك، تجاوزوا عن عبيدي)^(٢).
فحسن الخلق يُسهم في تحقيق السعادة بين الناس، وذلك من خلال تحسين علاقة الآخرين مع بعضهم، حتى يُصبح المجتمع كله كالجسد الواحد، فعندما يشتكي عضو يتداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، فالأخلاق الحسنة تجعل الكبير يحنُّ على الصغير، ويرفق الغني على الفقير، وبالتالي فإنّ الأعراض، والأموال، والأنفس تُحفظ من خلال الخلق الحسن، ولا يكون ذلك إلا من خلال التأسي بالعقيدة الإسلاميّة السمحاء^(٣).

قال سيد قطب : "وفي تنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع المسلم كله وإقامتها على التكافل والتراحم والتناصح، والأمانة، والعدل، والسماحة والمودة، والإحسان.. تزد توجيهات وتشريعات شتى، نذكر منها هنا على سبيل المثال بضعة نماذج :

قال تعالى: ﴿وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۝﴾ [النساء: ٥] و قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۝﴾ [النساء: ٨] وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝﴾ [النساء: ٢٩] وقال تعالى: ﴿* وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ

(١)المجذوب، محمد مصطفى، شعر شوقي في ميزان النقدالناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة السابعة،

العدد الرابع- ربيع الآخر ١٣٩٥ هـ ابريل ١٩٧٥ م

(٢) صحيح البخاري، باب حديث الغار (٣٤٨٠) (١٧٦/٤)

(٣) ينظر مسعد حسين محمد، حسن الخلق، الطبعة: الثالثة ٢٠١٤م، (١/٥٣-٥٢).

مُخْتَلًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِيشَةَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ [النساء: ٣٦ - ٣٨]

إلى جانب ذلك الهدف الكبير في تنظيم المجتمع المسلم على أساس التكافل والتراحم والتناصح والتسامح، والأمانة والعدل والمودة والطهارة ومحو الرواسب المتخلفة فيه من الجاهلية وإنشاء وتثبيت الملامح الجديدة الوضيئة^(١).

رابعاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤٢﴾﴾ [الحج: ٤١] فلا تصلح حياة الأمة الإسلامية ولا تقوم أبداً ولن يستقيم المجتمع المسلم إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال سيد قطب: فدعوا إلى الخير والصلاح، ودفعوا إليه الناس.. « وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿٤٢﴾ .. فقاوموا الشر والفساد، وحققوا بهذا وذاك صفة الأمة المسلمة التي لا تبقى على منكر وهي قادرة على تغييره، ولا تقعد عن معروف وهي قادرة على تحقيقه.. هؤلاء هم الذين ينصرون الله، إذ ينصرون نهجه الذي أراده للناس في الحياة، معتزین بالله وحده دون سواه. وهؤلاء هم الذين يعدمهم الله بالنصر على وجه التحقيق واليقين، فهو النصر القائم على أسبابه ومقتضياته. المشروط بتكاليفه وأعبائه.. والأمر بعد ذلك لله، يصرفه كيف يشاء، فيبدل الهزيمة نصراً، والنصر هزيمة، عند ما تختل القوائم، أو تهمل التكاليف^(٢).

إن هذه الشعيرة العظمى يراد طمسها، وإذا طمست فلن يبق بين المجتمع المسلم وغيره من المجتمعات الكافرة أي فرق؛ بل تنتشر الضلالات والبدع والشركيات ويتحول المجتمع المسلم إلى مجتمع مشرك، أو متسم باسم الإسلام ظاهراً فقط، ولا فرق بينه وبين غيره، يعلن صاحب الإلحاد بإلحاده، وصاحب البدعة ببدعته، ويتنصر من تنصر، ويتهود من تهود، ويعبد الأصنام من يعبدها، فلا أحد ينكر على أحد، فلو تركت شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكان هذا هو المآل في النهاية عياداً بالله.

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن (١/٥٦١)

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن (٤/٢٤٢٧)

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤ - ١٠٥]

والواجبات الثلاث التي احتوتها الآية الأولى مطلقة وعامة المدى لتكون كما هو المتبادر متسقة مع جميع الظروف والأمكنة والأدوار والأطوار. وهي (الدعوة) إلى كل ما فيه برّ وعدل وحق وإحسان ونفع وتعاون وهذا ما تشمله كلمة الخير.

(والأمر) بكل ما عرف أن فيه صلاح المجتمع وقوامه وحياته وصلاح الأفراد وقوامهم وحياتهم. (والنهي) عن كل ما عرف أن فيه فساد المجتمع وضرره وفساد الأفراد وضررهم.

وواضح أن هذه الواجبات أو المبادئ من أجل المبادئ والواجبات التي من شأنها حفظ كيان المجتمع الذي يسير عليها قويا سعيدا صالحا متعاوننا على البرّ والتقوى والفضيلة ومكارم الأخلاق خاليا من الشرّ والبغي والظلم والإثم والفواحش. والمبادئ والواجبات المنطوية فيها واسعة المدى تتناول عشرات المواضيع الاجتماعية والأخلاقية والإنسانية والإصلاحية سلفا وإيجابا. وتكون الآيات بذلك منبع قوة لا ينضب للنشاط في شتى وجوه الإصلاح والاجتماع والأخلاق والتكافل.

ومن الجدير بالتنبيه أن هذه المبادئ والواجبات لا ترد في القرآن هنا لأول مرة^(١).

٥ . العدل: إن من أعظم وأهم أسس ومقومات المجتمع المسلم العدل؛ لأن السماوات والأرض إنما قامت بالعدل، وأمر الله تعالى به في القول، وأمر به في العمل، وأمر به في كل شيء، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَتْ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [المائدة: ٨]، وقال: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾ [الرحمن: ٧-٩]، وغير ذلك كثير، فهذه الأمة أمة العدل، قال ابن سعدي: 'كلما حرصتم على العدل واجتهدتم في العمل به، كان ذلك أقرب لتقوى قلوبكم، فإن تم العدل كملت التقوى'^(٢).

فالعدل مطلوب من هذه الأمة بالذات، بل من كل أحد، وهو محبب إلى النفوس جميعا، وتطلبه كل الفطر والعقول في المجتمعات كافة، الكافر منها والمؤمن، فكلها تريد العدل، وكلها تدّعيه، وتحبه وتنشده، ولكن الأمة التي تعرف الحق وهديت إلى الحق وبه يعدلون هي هذه الأمة والحمد لله، التي أعطاه الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - العدل لا مبادئ عامة - كما يزعمون - ولكن حقائق وأحكاما تفصيلية، مفصل لك كيف

(١) دروزة محمد عزت، التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، الطبعة: ١٣٨٣ هـ (٢٠٥/٧)

(٢) ابن سعدي، تيسير الكريم الرحمن (٢٣/٢)

تعدل في بيتك وكيف تعدل في عملك وكيف تعدل في ولايتك إذا كنت قاضياً أو أميراً؟ وكما قيل " إن الناس لم يتنازعو في أن عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة، ولهذا يقال: "إن الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة"^(١). وهذا يدل على أهمية العدل في بناء المجتمعات والأمم والشعوب.

ولذلك كان من سنة الخلفاء الراشدين ما أمر به عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه حين جعل مكان بعض العبارات التي لا تليق في خطب الجمعة هذه الآية الكريمة العظيمة الجامعة قال تعالى: ﴿ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠]. قال ابن عاشور: " وَقَدْ اهْتَدَى الْخَلِيفَةُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - إِلَى مَا جَمَعَتْهُ هَذِهِ الْآيَةُ مِنْ مَعَانِي الْخَيْرِ فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ سَنَةَ ٩٩ كَتَبَ يَأْمُرُ الْخُطَبَاءَ بِتِلَاوَةِ هَذِهِ الْآيَةِ فِي الْخُطْبَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ"^(٢)

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٦٣/٢٨)

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥٩/١٤)

الفصل الثاني

أولو العزم من الرسل والعلاقات الاجتماعية الخاصة

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: علاقة أولي العزم من الرسل بزوجاتهم وأولادهم.
- المبحث الثاني: علاقة أولي العزم من الرسل بآبائهم و إخوانهم .

المبحث الأول

علاقة أولي العزم من الرسل بزوجاتهم وأولادهم. وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: علاقة أولي العزم من الرسل بزوجاتهم
- المطلب الثاني: علاقة أولي العزم من الرسل بأولادهم

المبحث الأول: علاقة أولي العزم من الرسل بزوجاتهم وأولادهم

المطلب الأول: علاقة أولي العزم من الرسل بزوجاتهم

إن العلاقة بين الزوجين من أهم العلاقات داخل الأسرة، وقد كانت محل عناية في الشرائع كلها، إذ لم تخل شريعة من بيانها وضبطها بضوابط وتشريعات يتضح بها حق الرجل من حق المرأة.

ولارتباط الرجل بامرأته مقاصد جلية ومنافع عظيمة للمجتمع الذي يعيشان فيه، ويعد التقاهم بينهما أساس الاستقرار الأسري، وسبباً من أسباب صلاح الذرية، وذلك أن البيوت لا تصلح إلا بصلاح الزوجين، واستقامتهما على أمر الله، فهناك تقل المشكلات أوتتلاشى، وهناك تنزل السكينة، وتعم المودة والرحمة.

وقد كانت علاقة الزوج بزوجه في بيوت الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - على قسمين:

- علاقة الزوج بزوجه الطائفة.
- علاقة الزوج بزوجه العاصية.

المطلب الأول: علاقة النبي بزوجته:

لقد بنيت علاقة الرجل بالمرأة في الشريعة على أساس متين، وبنيان رصين، وهو الزواج، وكانت هذه العلاقة أساساً لتكوين الأسرة وتنظيم المجتمع، ولقد حددت هذه الشريعة حقوقاً للرجل، وأخرى للمرأة يعترف بها كل طرف، ويسعى في تحقيقها لشريكه ليسود التعاون والوفاق بينهما. ومن هذه الحقوق طاعة الزوجة لزوجها، وهي طاعة مقيدة بالمعروف قال ﷺ: (إنما الطاعة في المعروف)،^(١) ولكن واقع النساء مع الأزواج يدل على أن منهن الطائفة، ومنهن العاصية، وهذا أمر لم يخل منه بيت النبوة الطاهر، فلقد وجد فيه هذا وذاك ولكل منهما أسلوب في التعامل معها يناسبها وعلى هذا فقد قسّم القرآن الكريم علاقة الزوج بزوجته في بيت النبوة على قسمين:

الفرع الأول: علاقة النبي بزوجته الطائفة:

إن طاعة المرأة لزوجها أساس من أسس السعادة الزوجية، وطريق إلى الغايات المأمولة من النكاح، ولذا أمر الشرع المرأة بها ورتب عليها أجوراً عظيمة تحفيزاً لها قال ﷺ: (إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها أدخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت)^(٢).

ومن عظيم مكانة الطاعة في الشرع أن جعل النبي ﷺ عدم القيام بها كفراً. أصغر. عملياً، قال عليه الصلاة والسلام: (يا معشر النساء تصدقن فإني أريتنكن أكثر أهل النار). فقلن: ولم يا رسول الله؟ قال (تكثرن اللعن وتكفرن العشير)^(٣).

قال ابن حجر العسقلاني " فقرن حق الزوج على الزوجة بحق الله فإذا كفرت المرأة حق زوجها وقد بلغ من حقه عليها هذه الغاية كان ذلك دليلاً على تهاونها بحق الله فلذلك يطلق عليها الكفر لكنه كفر لا يخرج عن الملة"^(٤).

(١) صحيح البخاري، كتاب أخبار الأحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق (٧٢٦٧)، (٣١٩/٤)، ومسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، كتاب الأمانة، باب وجوب طاعة في غير معصية وتحريمها في المعصية، (١٨٤٠)، (٤٨٥).

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند عبدالرحمن بن عوف (١٦٦١)، (١٩٩/٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٠).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الحيض باب ترك الحائض الصوم: (٣٠٤)، (٧٧٠/١)، ومسلم، صحيح مسلم كتاب الإيمان باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات (٧٩)، ص (٨٦/١).

(٤) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري: (١١٤/١).

وتعد الطاعة أحد أسباب زرع الثقة بين الزوجين ذلك أن (المرأة التي تطيع زوجها وتحسن عشرته تكسب ثقته ودوام حبه وشعوره بالسعادة معها، فيعطئها أضعاف ما تعطئيه حتى يصل الأمر إلى أن الزوجة هي التي تجعل زوجها ملبئًا كل رغباتها)^(١).

وهذا ما حظيت به نساء بيت النبوة فقد كان نصيبهن من الإحسان أحسنه وأوفاه، ومن التعامل الحسن أرفعه وأسماه، وذلك بسبب طاعتهن للأزواج وأهم أساليب التعامل معهن ما يأتي:

الأسلوب الأول: اللطف و الموانسة^(٢):

لقد جعل الله حياة الزوجين حياة استقرار وثبات، تستمر لفترات طويلة وسنوات عديدة، يعانين فيها المصائب والمنغصات، ويتخلل ذلك الأفراح و المسرات، ولن تستمر المودة والألفة بينهما ما لم يحرصا على كل ما يقرب بينهما ويتبعدا عن كل ما من شأنه أن يبعث على الكراهية والفرقة.

والشرع قد وجههما لذلك "فأوجب الصحبة بالمعروف، والإحسان بين أفراد الأسرة الواحدة، وحرّم الإيذاء بالقول والفعل بينهم لما يسببه ذلك من الفرقة والوحشة والقطيعة"^(٣)، وهذه قواعد ومنطلقات ينبغي لكل زوجين الحرص عليها.

إن مما يديم الود ويشعر بالسعادة الزوجية ملاطفة الرجل أهله وموانسته لهم، وقد كان في بيت النبوة من ذلك نماذج مضيئة يسترشد بها كل من أراد الهداية والسعادة.

فمن ذلك أن إبراهيم عليه السلام وهو أبو الأنبياء لما وضع ابنه وزوجته بمكة كان "يأتي إليهم بين الحين والحين زائرًا مطمئنًا لأحوالهم ثم ينصرف عائدًا إلى حبرون"^(٤).

ومن ذلك موانسة موسى عليه السلام لزوجته في الطريق حينما رأى النار قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۖ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى الْآتَارِ هُدًى ۖ﴾ [طه: ٩ . ١٠] فلما وفى نبي الله موسى -عليه السلام- صاحبه المدة عشر سنين، وهي أكمل المدتين، وسار بأهله إلى «مصر» أبصر من جانب الطور نازًا، قال موسى لأهله: تمهلوا وانتظروا إنني أبصرت نازًا؛ لعلني آتيكم منها بنبأ، أو آتيكم بشعلة من النار لعلكم تستدفنون بها^(٥).

(١) عمر كوثر محمد، عوامل استقرار الأسرة في الكتاب والسنة: (٢١٠).

(٢) اللطف بضم أوله وسكون ثانيه وبفتحهما لغتان والمراد الرفق (فتح الباري ٨ / ٤٦٥)

(٣) الطرايرة، محمد محمود أحمد، الأحكام الخاصة بين الآباء والأبناء: (٤٤).

(٤) قطب، محمد على، زوجات الأنبياء وأمّهات المؤمنين (الطبعة الأولى)، القاهرة: الدار الثقافية للنشر، : (٤٥).

(٥) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية، الطبعة: الثانية،

مزيّدة ومنقّحة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م (٣٨٩)

وإذا أراد الزوجان تحصيل السعادة الأسرية فليكن " لهما في رسول الله أسوة حسنة، فقد كان ﷺ يلاطف أهل بيته صغيروهم وكبيرهم، ويلاعبهم، ويسابق أزواجه وهو الحاكم في دولة الإسلام"^(١).

وقد كان له مع أهله "نظام في الدخول عليهن يعرفنه جميعا، وكان يطوف عليهن كل صباح فيسلم عليهن ويدعو لهن"^(٢)، فعن عمر رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا صلى الصبح جلس في مصلاه وجلس الناس حوله حتى تطلع الشمس ثم دخل على نسائه امرأة امرأة يسلم عليهن ويدعو لهن، فإذا كان يوم إحداهن جلس عندها)^(٣).

وأما في المساء فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنون من إحداهن)^(٤)، وقد جمع ابن حجر بين فعليه فقال: "ويمكن الجمع بأن الذي كان يقع في أول النهار سلامًا ودعاء محضًا والذي في آخره معه جلوس واستئناس ومحادثة"^(٥).

ومما تقدم يظهر أثر أسلوب اللطف والمؤانسة في الاستقرار الأسري بين الزوجين، وتفريط الناس فيه جعلهم يعيشون واقعًا مريزًا داخل بيوتهم، ولا نجاة لهم إلا بالتمسك بالهدي النبوي.

الأسلوب الثاني: المشاورة:

تعدُّ المرأة شريكة للرجل في الحياة الأسرية ، وهي وإن كانت لا تلبي مسؤولية الإنفاق، ولا تكابد متاعب الحياة لأجل تأمين دخل للأسرة إلا أنها راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته.

وهذه الشركة التي بينهما هي في الإسلام أرقى من كونها مادية يتم فيها تبادل المنافع، لأن الإسلام "يسمو بالتفاعل الزوجي إلى مستوى أسمى من أن يكون شركة بين اثنين، لتحقيق مصالح دنيوية متبادلة بينهما، فالزواج نصف الدين، والثواب من الله للمتزوجين لا يتعارض مع الثواب المتبادل بين الزوجين، بل يكمله ويعضده ويزكيه، فالدافع الديني في الزواج يدعم الدوافع الدنيوية"^(٦).

(١) الشمري، غازي بن عبدالعزيز، تصافينا نحو بناء أسرة سعيدة، دار ابن الجوزي: ١٤٣١هـ. -الدمام الطبعة: ٢: (١٩٨).

(٢) الأنيس، عبدالسميع الأساليب النبوية في معالجة المشكلات الزوجية: دار ابن الجوزي ١٤٣٦هـ (٣٠).

(٣) الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد اللخمي، المعجم الأوسط، من أسمه مطلب (٨٧٥٩)، (٣٥٣-٣٤٩/٩)، قال ابن حجر: لكن المحفوظ من حديث عائشة ذكر العصر، ورواية حماد بن سلمة شاذة (يعني الذي فيها ذكر الفجر بدل العصر)، فتح الباري: (٤٧٠/٩).

(٤) مرسي، كمال إبراهيم، العلاقة الزوجية والصحة النفسية في الإسلام وعلم النفس: دار القلم للنشر والتوزيع؛ تاريخ النشر: ١٩٩٨ (١٠٧.١٠٦).

(٥) ابن حجر ، فتح الباري: (٤٧٠/٩).

(٦) مرسي، كمال إبراهيم، العلاقات الزوجية والصحة النفسية في الاسلام وعلم النفس: (١٠٧.١٠٦).

ولذا كانت البيوت التي قامت على استشعار هذه المعاني، يغلب عليها الاستقرار، لأن الكل يعمل ليجد الثواب عند الله.

والمرأة كانت في بيت النبوة تتولى المسؤوليات العظيمة، وتنتشر في المواقف الخطيرة، ولم يكن ينظر لها أنها دون الرجل، فهذا الرجل الصالح تشير عليه ابنته التي صارت فيما بعد زوجة لموسى عليه السلام في أمر متعلق بتدبير شؤون البيت على أن يزوجه إياها، فقبل مشورتها واستقهم عن الصفتين اللتين ذكرتهما وهما القوة والأمانة، لأنهما لا يعلمان من طريق النساء، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَتْ إِحَدَلُهُمَا يَا بَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، يقول ابن جرير: "تقول: إن خير من تستأجره للرعي القوي على حفظ ماشيتك والقيام عليها في إصلاحها وصلاحها، الأمين الذي لا تخاف خيانتة فيما تأمنه عليه، وقيل: إنها لما قالت ذلك لأبيها، استنكر أبوها ذلك من وصفها إياه فقال لها: وما علمك بذلك؟ فقالت: أما قوته فما رأيت من علاجه ما عالجه عند السقي على البئر، وأما الأمانة فما رأيت من غض البصر عني"^(١).

ومما تقدم يتضح أهمية مشاورة المرأة، وأن رأيها معتبر إذا بني على أساس من الصحة والواقعية، فهي لم تره إلا مرتين ومع ذلك كان رأيها صائبا وجيهاً حتى إنه قيل: إنها من أفرس الناس.^(٢)

فإهمال رأيها لكونها امرأة ظلم لا يقره الشرع، ومشاورتها لا تعني الأخذ برأيها دوماً، فالمرجع إلى العدل والتوسط في ذلك، ولا يعيب الرجل شيئاً إذا أخذ برأيها فيما تحسنه، وقد ثبت في حديث ابن عمر: (أمروا النساء في بناتهن)^(٣).

ولقد كان الرسول ﷺ يشاور نساءه فقد استشار أم سلمة رضي الله عنها يوم الحديبية عند عدم امتثال الصحابة لأمره، فعن المسور بن مخرمة ومروان قالوا في حديث طويل وفيه: (فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه (قوموا فأنحروا ثم احلقوا). قال فو الله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فنكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: (يا نبي الله أحب ذلك اخرج لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً

(١) الطبري، جامع البيان : (٧٥-٧٤/٢٠).

(٢) ينظر: الطبراني، المعجم الكبير(٩/١٦٧) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: (٣/٥٧٩).

(٣) أبو داؤود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داؤود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت كتاب النكاح، باب في الاستئثار: (٢٠٩٥)، ص(٣٦٣) وأحمد، أبو عبدالله بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، مسند عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: (٤٩٠٥)، (٥٠٥/٨) وقال عنه الأرنبوط: حديث حسن.

منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضًا حتى كاد بعضهم يقتل غما^(١).

فهل بعد هذا ينظر إلى المرأة أن رأيها قاصر، ومشورتها غير نافعة، وهذه الأحاديث وغيرها تدل على أن: "الزوجة في أغلب الأحيان مستشارة رائعة"^(٢)، وقد كان ﷺ يعمل في بعض الأوقات برأي زوجاته.

الأسلوب الثالث: الحوار^(٣) والإقناع:

لكل من الزوجين مكوناته النفسية والعضوية المختلفة عن الآخر، ولكل منهما اهتمام وميول مابين لصاحبه، ولذا فإن "العلاقة بينهما تقوم على التخالف، على المستويات العضوية، والعقلية والنفسية، وهذا التخالف هو الشرط الأساس لوجود ظاهرة التكامل والتعاون، حيث يظهر لكل واحد من الزوجين أن كمال البنية المشتركة بينهما وهو الأسرة لا يأتي منهما على انفراد، وإنما من خلال اللقاء الإيجابي بينهما وتكميل أحدهما للآخر"^(٤).

والحياة الزوجية حياة يشوبها تغير وتبدل، وقد تطرأ مشكلات تحتاج في حلها إلى تأن وروية وتقليب لوجهات نظر كل منهما لإيجاد الحلول لها، ولذا كان من المفيد للزوجين إذا حدثت مشكلة ما انتهاز المنهج الأمثل في ذلك بمعرفة المشكلة وتحديدها وعدم المبالغة في تحديد حجمها، ثم معرفة أسبابها، ثم محاولة حلها بالحوار، وذلك بتفهم وجهة نظر الآخر وتقديرها"^(٥)، وهذا أكبر دليل على احترام الطرف المحاور، وإنزاله منزلته.

والحوار مفيد حتى عند عدم وجود مشاكل ذلك أنه يقوي المودة والمحبة بين الزوجين، وقد كان أولو العزم من الرسل يحاورون زوجاتهم، ويحرصون على بيان الأمر وإيضاحه بشتى طرق الإقناع، فقد كان النبي ﷺ يحاور نساءه، وينوع في الحجج لإقناعهن فتارة يكون حوار مع إحدى زوجاته

وأحيانًا أخرى كان يقع التماور بحضرة بعض نساءه، فقد كان يجتمع بهن في حجرة إحداهن، فعن عائشة رضي الله عنها قالت حدث رسول الله ﷺ نساءه ذات ليلة حديثاً فقالت: امرأة منهن: يا رسول الله

(١) صحيح البخاري، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أصحاب الحروب وكتابة الشروط (٢٧٣١)(١٩٣/٣)

(٢) الاستانبولي، محمود مهدي، تحفة العروس (٢٤٣)

(٣) الحوار هو الكلام المتبادل بين طرفين في أسلوب لا يقصد به الخصومة (الحوار أصوله وآدابه السلوكية، أحمد الصويان، دار الوطن؛ سنة النشر: ١٤١٣ هـ (١٧)

(٤) بكار، عبد الكريم، في إشراق آية، دار هجر، مصر، الطبعة الثانية ١٤٣١ هـ (٣٩)

(٥) المغامسي، خالد محمد، الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٥ هـ (٢١٤).

كان الحديث حديث خرافة فقال: أتدرون ما خرافة؟ إن خرافة كان رجلاً من عذرة، أسرته الجن في الجاهلية، فمكث فيهن دهرًا طويلًا ثم رده إلى الإنس، فكان يحدث الناس بما رأى فيهم من الأعاجيب، فقال الناس: حديث خرافة^(١).

وقد كان له معهن أسلوب يظهر فيه تحمله ﷺ لما يقلن ولو كان فيه اعتراض عليه، ولم يكن يغضب كما هو حال كثير من الأزواج إذا عورض أو أخطأ، فقد كان ﷺ: "يستمتع لزوجاته، ويسمعن منه، وقد تتفق وجهات النظر وقد تختلف، وقد يغضب من إحداهن يومًا، وقد تغضب إحداهن منه يومًا، وهكذا هي الحياة في واقعها الصحيح، فللمرأة رأيها، وهي أهل لأن تناقش، وتدلي بدلوها، وبخاصة فيما يكون في دائرتها من شؤون بيته ﷺ"^(٢).

وبهذا يتضح أهمية الحوار داخل بيوتنا، وأن من خيرية الرجل أن يكون واسع الصدر مع أهله يحاورهم ويناقشهم، ويسمح لهم بإبداء آرائهم في جو من الاحترام المتبادل، ويتأكد هذا إذا علم أن القرآن قد نوع في ذكر نماذج من الحوار "القصصي الذي يدل على اهتمامه بتربية الأبناء قولًا وسلوكًا، تلك النماذج من الحوارات التي تحمل في طياتها دروسًا تربوية ينبغي أن يعيها الآباء والمربون في تربية النشء"^(٣)، فهذا منهج قرآني ينبغي للزوجين الحرص عليه، لما فيه من آثار طيبة على الحياة الزوجية، فالوظيفة الأساسية للحوار هي: البلاغ والبيان، وتوضيح رأي المحاور في موضوعية وأمانة، إذ إن هداية القلوب وتهيؤها لتقبل الحق والانتفاع به أمر بيد الله^(٤)، فلا يطالب أحد بضرورة إقناع الآخر ولكن يطالب بإيجاد قنوات للحوار، وذلك أن وجود الحوار في البيوت له أثر كبير على حياة الزوجين الأسرية لما فيه من تقريب وجهات النظر.

وفي فعله هذا تقدير لبذل هذه المرأة الصابرة المحتسبة، وكيف أنه رق لها، وهو نموذج لكل زوجين أن يقدر كل منهما ما يبذله صاحبه ويضحي فيه لأجله، فإن هذا من حسن العشرة.

(١) مسند أحمد في مسنده، الإمام أحمد بن حنبل، مسند عائشة رضي الله عنها، (٢٥٢٤٤)، (٤٢ / ١٤١)

قال الألباني حديث ضعيف جدًا. (السلسلة الضعيفة) (١٧١٣) (٢٠٣/٤)

(٢) الشامي صالح أحمد، سيرة النبي ﷺ في بيته، المكتب الإسلامي، الرياض للطباعة والنشر، ٢٠٠٧م (١٥)

(٣) القحطاني جواهر بنت ذيب، دور الأسرة السعودية في تنمية الحوار لدى الأبناء، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني ٢٠٠٩م، (٦٦)

(٤) ياسلوم مجدي، بنات الأفكار في أدب المناقشة والحوار، دار الكتب العلمية ٢٠٠٥م، القاهرة (٣٨)

الفرع الثاني: علاقة الزوج بزوجه العاصية:

إن عصيان المرأة لزوجها مؤثر في حياتهما الأسرية، ذلك أنه معوق من معوقات استمرارها، وسبب لوجود الفوضى والاضطراب فيها، بل ربما أدى إلى ضياع كثير من الحقوق.

ولذا نجد أن الشرع قد وضع تدابير وقائية وعلاجية لهذه الظاهرة في البيوت، فحذر النبي ﷺ الزوج من الانسياق وراء الوسواس التي تراوده تجاه زوجته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر أو قال غيره)^(١)

يقول القرطبي: "لا يبغضها بغضًا كليًا يحمله على فراقها؛ أي: لا ينبغي له ذلك، بل يغفر سيئتها لحسنها، ويتغاضى عما يكره لما يحب"^(٢).

وأرشد الله الزوج لثلاث مراتب في تأديبه لزوجته الناشز وهي: "المرتفعة على زوجها، المخالفة لأمره، التي لم ترض بالمنزلة التي وضعها الله فيها، فلم تسلم لقوامه الرجل"^(٣)، وقد وردت هذه المراتب في قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤]، قال السعدي: "فِعِظُوهُنَّ" أي: بيان حكم الله في طاعة الزوج ومعصيته والترغيب في الطاعة، والترهيب من معصيته، فإن انتهت فذلك المطلوب، وإلا فيهجرها الزوج في المضجع، بأن لا يضاجعها، ولا يجامعها بمقدار ما يحصل به المقصود، وإلا ضربها ضربا غير مبرح"^(٤).

(١) صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، (١٤٦٩)، (١٠٩١/٢).

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٩٨/٥)

(٣) الحمد، محمد إبراهيم، رسائل في الزواج والحياة الزوجية: دار ابن خزيمة، الرياض، سنة النشر: ١٤١٩- ١٩٩٩م (٢٥٨)

(٤) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (١٧٧)

وقد وجدت هذه الأساليب العلاجية الثلاثة في تعامل بعض الأنبياء مع زوجاتهم في حال العصيان وسيقتصر الباحث عليها وهي كالآتي:

الأسلوب الأول: الموعظة^(١):

تحتاج المرأة إلى التذكير بحقوق الله وحقوق خلقه من حين لآخر لما في ذلك من التوجيه الذي لا تستغني عنه الأسر المسلمة، وهي أحوج إلى التذكير في حال تنافر القلوب وحصول الشقاق بينها وبين الزوج.

وهذا التذكير يعد أول خطوة في طريق الإصلاح، ويراد بالوعظ: "التخويف بالله بحيث يذكرها بواجبها تجاه نفسه، وماله في الحقوق الواجبة التي يلزمها رعايتها، ويذكرها بالجنة والنار وغضب الله تعالى على الزوجة حينما تغضب زوجها، ويذكرها بمصير هذا الإنسان والعقاب والثواب"^(٢).

ويراعي الزوج في وعظه ما تتأثر به المرأة، ذلك أن "الوعظ يختلف باختلاف حال المرأة، فمنهن من يؤثر في نفسها التخويف من الله عز وجل وعقابه على النشوز، ومنهن من يؤثر في نفسها التهديد والتحذير من سوء العاقبة في الدنيا وشماتة الأعداء، والمنع من بعض الرغائب كالثياب الحسنة والحلي، والرجل العاقل لا يخفى عليه الوعظ الذي يؤثر في قلب امرأته"^(٣)، فخبرة الرجل بامرأته لا بد أن توظف في الوعظ ليأتي أكله ويكون مؤثرا في الزوجة.

ومن أولي العزم من ابتلي بزوجات عاصيات ، إما عصيانا يوصل إلى الكفر، وذلك بعدم الإيمان بدعوتهم كحال امرأة نوح وامرأة لوط، وإما بالإيمان به مع الوقوع في معاص ومخالفات تستوجب وعظهن أو هجرهن، لكن الذي يظهر منهن في حال بقائهن تحت عصمتهم هو النشوز والإعراض ولا يظهر الكفر، وفي بعض الشرائع كان نكاح المشركات سائغا وقد منعه الإسلام"^(٤).

وقد استعملت هذه الأساليب في بيت النبوة، سواء ظهر من المرأة النشوز أو الكفر، وقد وقف الباحث في سيرهم معهن أنهم استخدموا أسلوب الوعظ، من ذلك ما كان من نبي الله نوح مع امرأته فقد ابتلي بامرأة تمالي قومها عليه وتصفه بأنه مجنون قال ابن جرير: "ذكر أن خيانة امرأة نوح زوجها أنها كانت

(١) الوعظ هو التذكير بالخبر فيما يرق له القلب، وقال الراغب: الوعظ زجر مقترن بتخويف. (التعريفات للجرجاني (٢٧٥) المفردات للراغب (٥٢٧))

(٢) (الجلالي ، عبدالله الحمد ، العلاقات الاجتماعية في القرآن جامعة البنجاب، لاهور قسم اللغة العربية ١٤١٢ هـ (٧٠)

(٣) رضا محمد رشيد ، تفسير القرآن الحكيم ، (٥ / ٥٩)

(٤) القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم ، محاسن التأويل تحقيق: محمد باسل عيون السود: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ (٢٨٢/٩).

كافرة، وكانت تقول للناس: إنه مجنون^(١)، وذكر بعضهم أن خيانتها له: "أنها كانت على غير دينه، فكانت امرأة نوح تقول للناس: إنه مجنون، وإذا آمن به أحد أخبرت به الجابرة"^(٢)، فجمعت إلى جانب كفرها أنها كانت تخبر قومها بمن آمن به ليفتنوهم عن دينهم.

ولم يثن ذلك نوحاً على توجيه النصح لها فقد كان يدعو امرأته لترك سبيل القوم المجرمين، وينكرها بالله وبوحدانيته، لكنها كانت أول من أعرض عنه، وولى عنه بعيداً^(٣)، وهذا الإعراض لم يضر نوحاً عليه السلام فواصل دعوته إلى أن جاء الأمر الإلهي بعذابهم.

وبقاء مثل هذه الزوجات تحت أنبياء الله لا يعد قاذحاً فيهم ولذا يقول القاسمي: "ويستدل بقوله تعالى (امرأة نوح وامرأة لوط) إلى قوله: (فخانتاهما) على جواز استدامة الرجل الصالح نكاح امرأته الفاسقة العاصية، وعلى أن استبقاءها بدون مفارقة لا يعد من قلة التورع، وهو جلي"^(٤)؛ لأن الرجل لا يتأثر بالمرأة العاصية، فيصبر عليها لعل ذلك أن يردّها إلى الحق، وهذا ما كان من صنيعهما معهما.

وكان النبي ﷺ يعظ زوجاته إذا ظهر منهن عصيان، من ذلك ما كان من تعبير عائشة لصفية رضي الله عنهما قالت: قلتُ للنبي ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا، قال: تعني قصيرة فقال: (لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته)^(٥)، قال ابن عثيمين: لمزجته يعني لو خلطت بماء البحر على كبره وسعته لمزجته، أي أثرت فيه وهي كلمة يسيرة جداً لكنها عظيمة، حيث إنها في ضررتها، وحيث إنها قد يحدث من هذه الكلمة أن يكره النبي ﷺ صفية، فلعظمتها صار لها هذا الأثر العظيم^(٦).

ومن هنا كان على الزوج تنبيه أهله على مآخذ اللسان، وأن الشخص مسؤول عما يتقوه به، ولذا كان من حسن التربية تعويد أهله على عدم الكلام في الناس إلا لحاجة أباحها الشرع.

وحتى يكون وعظ الزوج لزوجته مؤثراً ينبغي أن "يكون التذكير في أوقات مناسبة، وبطريقة مؤثرة لا يكتفي بمرة واحدة فقط، بل يكرر ذلك مرات ومرات حسب الظروف والمناسبات"^(٧)، وذلك أن المرة الواحدة

(١) الطبري، جامع البيان: (١٩٠/٢٨).

(٢) البغوي، الحسين بن مسعود البغوي معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: حقه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م (١٧٠/٨).

(٣) الخطيب، عبدالفتاح، الحياة الزوجية في القرآن الكريم: (٣٤٢).

(٤) القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل: (٢٨٢/٩).

(٥) سنن أبو داؤود سليمان بن الأشعث السجستاني، كتاب الأدب، باب في الغيبة: (٤٨٧٥)، (٨٨٢).

(٦) ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين: (١٢٨/٦).

(٧) العك، خالد عبدالرحمن، بناء المرأة المسلمة: دار المعرفة للطباعة والنشر الطبعة السادسة (٣١٥).

لا تكفي، وقد ثبت عنه - ﷺ - أنه كان يكرر الوعظ تنبيهاً وتأكيدياً للأمر حتى لا يتكرر، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا نكر خديجة لم يكن يسأم من ثناء عليها، والاستغفار لها، فنكرها ذات يوم، واحتلمتني الغيرة إلى أن قلت، قد عوضك الله من كبيرة السن، قالت فرأيت رسول الله ﷺ غضب غضباً سقط في جلدي، فقلت في نفسي: اللهم إنك إن أذهبت عني غضب رسول الله ﷺ لم أذكرها بسوء ما بقيت، فلما رأى رسول الله صلى الله وسلم الذي قد لقيت، قال كيف قلت؟ والله لقد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، ورزقتني الولد إذ حرمتني مني، فغدا بها عليّ وراح شهر^(١)).

وهذا التكرار لم يكن ديدناً له ﷺ، بل كان أحياناً وبحسب الحاجة وذلك حتى يكون الوعظ مؤثراً، فعلى الزوج أن لا يكثر من ذلك حتى لا يقع في الخطأ، فيصير العلاج داء، وكما يشيع في بيئاتنا، ذلك الصنف من الرجال الذي يحرص على أن يعثر على خطأ من الزوجة يذكرها به كل مرة مبيئاً أنها خاطئة وتناسى أن البشر كلهم خطاؤون، وخير الخطائين التوابون.

الأسلوب الثاني: الهجر^(٢)

يستعمل الهجر دواءً لنشوز الزوجة بعد استنفاد الوعظ، وتكراره، وإحساس الزوج بأنه لم يفد، وفي "الهجر - لا سيما - في المضجع عقوبة نفسية بالغة، وليست عقوبة حسية تؤلم المرأة لما يفوتهما من سرور ومتعة، فإن فوات السرور والمتعة أيماً لا يؤلم المرأة هذا الإيلام الذي يجعل الهجر في المضجع من أصعب العقوبات دون الطلاق"^(٣).

وقد اختلف العلماء في معنى الهجر الشرعي على قولين: فقيل هو الهجر في المضجع، وفيه حديث معاوية بن حيدة^(٤) عن أبيه عن جده أنه قال قلت: يا رسول الله نسأؤنا ما نأتي منهن و ما نذر؟ قال:

(١) المعجم الكبير للطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد اللخمي، مناقب خديجة رضي الله عنها، (٢١)، (١٣/٢٣)، قال الألباني: وهو منقطع بين وائل - يعني بن داود - وابن مسعود، السلسلة الضعيفة: (٤٨٥/١٣).

(٢) وقال الزاغبي: المهاجرة في الأصل: مصارمة الغير ومشاركته، من قوله - عَزَّ وَجَلَّ - (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا) (البقرة/ ٢١٨) . والهجر والهجران مفارقة الإنسان غيره، إما بالبدن أو باللسان أو بالقلب قال تعالى: (وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ) (النساء/ ٣٤) وهذا كناية عن عدم قربه (مفارقة بالبدن) وقوله سبحانه: (إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) (الفرقان/ ٣٠) فهذا هجر بالقلب واللسان، أما قوله - عَزَّ وَجَلَّ - (وَاهْجُرُوهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا) (المزمل/ ١٠) فيحتمل الثلاثة، وقوله سبحانه: (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) (المدثر/ ٥) حتّى على المفارقة بالوجه كلها. انظر المفردات للراغب ص (٥٣٧) .

(٣) الأنييس، عبدالسميع، الأساليب النبوية في معالجة المشكلات الزوجية: (٢١٧).

(٤) معاوية بن حيدة بن معاوية بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة القشيري. من أهل البصرة، غزا خراسان ومات بها. وهو جد بهز بن حكيم بن معاوية. روى عنه ابنه حكيم بن معاوية. وسئل يحيى بن معين عن: «بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده». فقال: إسناده صحيح إذا كان من دون «بهز» ثقة. (أسد الغابة ٤/ ٤٣٢)

(حرتك أنت حرتك أنى شئت في أن لا تضرب الوجه ولا تقبح وأطعم إذا أطعمت واكس إذا اكتسيت ولا تهجر إلا في البيت)^(١).

وقيل: هو الهجر في خارج البيت وهو قول جمهور العلماء^(٢)، وفيه حديث أنس في إيلائه صلى الله عليه وسلم من نسائه وهو أصح، ولذا قال البخاري^(٣) في تبويبه على حديث أنس "باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم نسائه في غير بيوتهن، ويذكر عن معاوية بن حيدة رفعه (غير أن لا تهجر إلا في البيت) والأول أصح^(٤)، يعني حديث أنس وأم سلمة وغيرهما، وقد جمع ابن حجر بين الحديثين فقال: "والحق أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال فربما كان الهجران في البيوت أشد من الهجران في غيرها وبالعكس، بل الغالب أن الهجران في غير البيوت ألم للنفوس وخصوصا النساء لضعف نفوسهن"^(٥)، والعمل بالحديثين أولى من تقديم أحدهما على الآخر، وهو من الناحية النفسية أولى لاختلاف طبائع النساء، ففيه مراعاة لحال المرأة وحرص على معاملتها بحسب ما يناسب حالها، ومن هنا كان هذا التصرف بالنسبة للرجل هو عين الحكمة.

وقد استعمل الهجر كعلاج للعصيان في بيت النبوة، قَالَ تَعَالَى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِن دِيسَانِهِمْ تَرْصُصٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٦] فعن أم سلمة - رضي الله عنها - أن النبي صلى الله عليه وسلم آلى من نسائه شهراً، فلما مضى تسعة وعشرون يوماً غدا أو راح فقيل له إنك حلفت أن لا تدخل شهراً؟. فقال (إن الشهر يكون تسعة وعشرين يوماً)^(٦).

وكان هذا الإيلاء بترك حجرات أزواجه وجلوسه في مشربة^(٧)، وقد كان في الوقت نفسه يتداوى من أثر الجرح الذي سببه له سقوطه من على الفرس، فعن أنس (أن رسول الله ﷺ سقط عن فرسه فجحشت ساقه أو كتفه وآلى من نسائه شهراً، فجلس في مشربة له درجتها من جنوع فأتاه أصحابه يعودونه، فصلى بهم جالسا وهم قيام^(٨)).

(١) سنن أبي داود كتاب النكاح باب في حق المرأة على زوجها: (٢١٤٢)، (٢٤٤/٢) وقال الأرئؤوط: إسناده حسن.

(٢) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري : (٣٧٤/٩).

(٣) البخاري هو : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري ، أبو عبد الله ، حبر الإسلام ، والحافظ لحديث رسول الله ، ألف كتابه الصحيح من حديث رسول الله وهو أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى . الأعلام (٦ / ٣٤)

(٤) صحيح البخاري: بَابُ هِجْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءَهُ فِي غَيْرِ بُيُوتِهِنَّ (٣٢/٧).

(٥) ابن حجر ، فتح الباري : (٣٧٤/٩).

(٦) صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب من حلف الا يدخل على أهله، (٦٦٨٤)، (١٩٦/٤).

(٧) مشربة: بِضَمِّ الرَّاءِ وَفَتْحِهَا أَيُّ غَرْفَةٍ (فتح الباري ١/١٣٧)

(٨) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة، باب الصلاة على السطوح والمنبر والخشب: (٣٨٧)، (٩٦/١).

ومما سبق يتضح أهمية التحمل وسعة الصدر في تعامل الرجل مع أهله، حتى ولو كان الحامل على ذلك معصيته، فضلاً عن صغر من الأمور، فإن ذلك أدعى لرجوع الزوجة لعرين الطاعة، وأما التسرع إلى هجرها أو تغليظ القول الذي يصل عند كثير من الناس إلى الشتائم والسباب، فهذا مما يبعد الشقة بينهما ويوسع من دائرة الخلاف، والرجل العاقل يحرص على لم شمل الأسرة بكل سبيل، لا سيما مع وجود الأولاد.

الأسلوب الثالث: الضرب

إن الضرب أسلوب من أساليب التعامل مع الزوجة الناشز، وهذا إذا استنفذت الطرق الأخرى من وعظ وهجر في المضجع أو في غيره، وهذا الأسلوب وإن ورد في كتاب الله كأحد الأساليب العلاجية، فلا ينتقل به إلى أن يكون إهانة للمرأة وقهراً من الزوج لها؛ لأن طبيعة المرأة الضعف، والحاجة إلى غيرها لحمايتها، ولذا كان من الظلم: "أن يعامل الرجل زوجته وكأنها رجل أمامه، فعلينا أن نفهم هذا الفارق الهام في الطبيعة، أما أن نتجاهل هذا الفرق فهذا مثل الذي كسر الضلع، ويطلبه مستقيماً لا اعوجاج فيه"^(١).

والضرب أحياناً يكون أشبه بالتنبيه على الخطأ وليس مقصوداً منه الإيلام، ولذا روي عن عكرمة أنه قال: قلت لابن عباس: ما الضرب غير المبرح؟ قال: "بالسواك وشبهه يضربها به"^(٢)، وعليه يحمل صنيع نبي الله أيوب - عليه السلام - فقد حلف إن عوفي من مرضه أن يضرب زوجته مائة سوط لطاعتها للشيطان، يقول ابن كثير في سبب حلفه بضربها: "فقال: حلفه ذلك لبيعها ضفائرها، وقيل: لأنه عارضها الشيطان في صورة طبيب يصف لها دواء لأيوب، فأنته فأخبرته فعرف أنه الشيطان، فحلف ليضربنها مائة سوط"^(٣).

وفي فعلها من الإحسان لزوجها، والبقاء معه طيلة فترة المرض وعملها لأجل إطعامه موضع قدوة لجميع النساء، ولذا لم يجعل عقابها عسيراً، وذلك بأن كانت موضع عناية الله عز وجل في أن أوحى إلى نبيه ما يخلصها من هذه العقوبة، ففي هذا أكبر دليل على أن طاعة المرأة زوجها تكسبها أعلى الدرجات عند الله، وأعلى ذلك الجنة، ولذا قال ﷺ: (إذا صلت المرأة خمسة، وصامت شهرها، وحفظت فرجها،

(١) الشمري، غازي بن عبدالعزيز، تصافينا: (٤٧).

(٢) الطبري، جامع البيان: (٨٤/٥).

(٣) ابن كثير، قصص الأنبياء: (٣٤٢).

وأطاعت زوجها قيل لها ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت^(١)، فجعل طاعة الزوج سبباً لنيل مرضاته، وهذا يدل على عظم حق الزوج.

والنبي - ﷺ - استعمل أسلوب الدفع كعلاج، وهو يشعر الزوجة بالجدية وعدم الرضا، وليس فيه كبير أذى وإن كان موجعاً لها، وكان ﷺ يحذر من كثرة ضرب الرجل لزوجه لأنه ينافي الخيرية التي أمر الرجل أن يكون عليها مع أهله فقال عن أولئك الذين اشتكتهم زوجاتهم: (لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهنَّ ليس أولئك بخياركم)^(٢).

وكان دفعه لعائشة رضي الله عنها لما خرجت في إثره، عندما قام من فراشه ذات ليلة، وذلك أنها ظنت أنه ذهب لإحدى نساته، تقول - رضي الله عنها - واصفة ما وقع (ثم انحرف فانحرفت، فأسرعت، فأسرعت، فهورول فهورولت، فأحضر فأحضرت، . الاحضار العدو . فسبقته فدخلت فليس إلا أن اضطجعت فدخل فقال ما لك؟ يا عائش حشيا رابية^(٣)؟ قالت: قلت: لا شيء، قال: لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير، قالت: قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي فأخبرته قال فأنتِ السوادُ الذي رأيتُ أمامي؟ قلت: نعم، فلهديني في صدري لهدية أو جعتي^(٤)، ومعنى "فلهديني": هو بفتح الهاء والبدال المهملة وروى فلهزني بالزاي وهما متقاربان، قال أهل اللغة: لهده وحده بتخفيف الهاء وتشديدها أي دفعه، ويقال لهزه إذا ضربه بجمع كفه في صدره، ويقرب منهما لكزه ووكزه^(٥)، فهو نوع من الضرب إلا أنه غير مبرح.

وقد كان هذا الفعل منه ﷺ محتملاً للتأديب لها ومحتملاً للمؤانسة، وقد مال السندي إلى الأول فقال: "فلهديني بالبدال المهملة من اللهد وهو الدفع الشديد في الصدر وهذا كان تأديباً لها من سوء الظن^(٦)، وأيا ما كان فهو رد على صنيعها في اتهامها له بالسير إلى إحدى زوجاته، ولذا قال القاضي عياض:

(١) مسند أحمد، مسند عبدالرحمن بن عوف، (١٦٦١)، (١٩٩/٣)، قال الأرئوط: حديث حسن لغيره.

(٢) سنن أبو داود، كتاب النكاح، باب في ضرب النساء، (٢١٤٦)، (٣٧٢- ٣٧٣)،

وقال الألباني: صحيح.

(٣) قال النووي في شرح مسلم: الرَبْوُ وَالنَّهْيُ الَّذِي يَعْزُضُ لِلْمُسْرِعِ فِي مَشْيِهِ وَالْمُحْتَدِّ فِي كَلَامِهِ مِنْ ارْتِفَاعِ النَّفْسِ وَتَوَاتُرِهِ وَقَوْلُهُ رَابِيَةٌ أَي مُرْتَفِعَةٌ الْبَطْنِ (٤٣/٧)

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها، (٩٧٤)، (٦٦٩/٢).

(٥) النووي أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢، (٤٧/٧).

(٦) السندي، محمد بن عبد الهادي التتوي، حاشية السندي على سنن النسائي: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦. كتاب عشرة النساء (٧٤/٧)

"وخرجها خلفه، والظاهر من معنى الحديث أنها اتهمته أنه سار إلى بعض أزواجه بدليل لهده لها في صدرها وهو الضرب فيه"^(١).

ومما سبق يتضح أن الدفع والضرب غير المبرح وغيره من الأساليب العقابية التي يتصرف بهما الزوج تجاه زوجته، وإن عد أسلوبًا علاجيًا لبعض التصرفات التي لا تنبغي من الزوجة، إلا أنه "دواء ينبغي مراعاة وقته، ونوعه، وكيفيته ومقداره، وقابلية المحل"^(٢)، وفي التأمل في صنيع أنبياء الله - عليهم الصلاة والسلام - تبرز قاعدة تربوية مهمة يقررها الرازي في تفسيره فيقول: "الذي يدل عليه أنه تعالى ابتداء بالوعظ، ثم ترقى منه إلى الهجران في المضاجع، ثم ترقى منه إلى الضرب، وذلك تنبيه يجري مجرى التصريح في أنه مهما حصل الغرض بالطريق الأخف وجب الاكتفاء به، ولم يجز الإقدام على الطريق الأشق"^(٣).

(١) القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، (٤٩٩/٣).

(٢) الحمد، محمد بن إبراهيم، من أخطاء الأزواج، ابن خزيمة؛ سنة النشر: ١٤٢٠ - ١٩٩٩ (٧٨)

(٣) الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م الطبعة: الأولى (٧٣/١٠).

المطلب الثاني: علاقة أولي العزم من الرسل بأولادهم

يعد الوالدان قطبي العلاقة الأسرية ، إذ بارتباطهما بالزواج تتكون الأسرة ، و بإنجاب الأولاد تتكون روابط جديدة وعلاقات وطيدة تزداد بها الأسرة قوة وتماسكا ، وإن جاء في كتاب الله وصف الأولاد بأنهم نافلة ، فهو لبيان فضل والديهم عليهم ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۗ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٢]، قال ابن جرير : وقد بينا فيما مضى قبل أن النافلة الفضل من الشيء يصير إلى الرجل من أي شيء كان ذلك ، وكلا ولديه إسحاق ويعقوب كان فضلا من الله ، تفضل به على إبراهيم ، وهبة منه له "(١).

وهذا يدل على فضل الوالدين على الذرية، إذ كيف يرى لنفسه حقًا من هو في حق والديه نافلة، ومقتضى العدل أن يجعل لهم حقًا كما تقدم.

ومع كونها زيادة في الخير في حياة الوالدين إلا أن الشريعة قد اهتمت بعلاقاتهم لأن: "تنظيم العلاقات بين الزوجين يعد أساس البيت، فإن تنظيم علاقة الآباء بالأبناء يعد بمنزلة النتيجة من المقدمة فكما أولى الإسلام عنايته الخاصة بالتنظيم الأول، فقد اهتم بالتنظيم الثاني حتى تقوم الأسرة المسلمة مستقرة الدعائم قوية البنين"(٢).

إن الأولاد فلذة الأكباد وهم زينة الحياة الدنيا إذا استقاموا، ومنغص من المنغصات إذا انحرفوا، وأنبياء الله عليهم الصلاة والسلام كسائر البشر، لم يخصصوا في هذا الجانب بخصيصة فقد رزق أكثرهم بالصالحين، وابتلي بعضهم بالطالحين، ولعل في ذلك إظهارًا لحقيقة ينبغي أن يعيها كثير من الناس وهي أن الهداية بيد الله وحده، قال تعالى مخاطبا نبيه ﷺ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَئِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦]

(١) الطبري، جامع البيان (٦٠/١٧).

(٢) خيال، محمد عبدالحكيم، الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية دار السلام القاهرة للطباعة والنشر والتوزيع و الترجمة: (٤٠٠)

وعلاقة الأنبياء بأولادهم قد أخذت مظهرين اثنين هما:

أولاً: علاقة النبي بأولاده المسلمين:

أرسل الله الرسل لهداية الناس ودلالاتهم على الخير، وأولى الناس بهذه الهداية أقاربهم وأقرب الناس إليهم، ولذا نجد أن الله أمرهم بتبليغهم في أوائل ما نزل عليهم قال تعالى - حاثاً نبيه محمد ﷺ : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

ومن نتائج هذا التبليغ انقسام الناس إلى مؤمن مصدق، ومعرض مستكبر، وهذا وجد في بيوت أنبياء الله مع نرياتهم وفلذات أكبادهم فوجد منهم من استجاب وأتاب، ومنهم من شك وارتاب. إن استقامة الأولاد على طاعة الله يبعث في نفوس الأبوين الراحة والطمأنينة تجاه سلوكهم وتصرفاتهم، لما في الإيمان والعمل الصالح من أثر في ضبط السلوك وهداية الناس لما فيه خيرهم. وعند التأمل في هدي الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - نجد عدة أساليب تربوية تساعد في تقوية العلاقات واستمرارها أهمها ما يلي:

الأسلوب الأول: التعويد على الطاعة

يكتسب الإنسان جملة من المعارف في أوائل حياته، يغرسها فيه أبواه بالتكرار والتعويد عليها حتى تصير سلوكاً معتاداً لأهميتها لديهم، ذلك أن إعتياد فعل أو قول ما مما يمكن الطفل من تكراره وفعله ولو كان فيه مشقة عليه.

ولذا فإن " تحويل السلوك المطلوب إلى عادة من الوسائل المهمة في التربية، وهذا يحتاج إلى إصرار من المربي على تحويل السلوك المرغوب فيه إلى عادة، فيكرره كثيراً، ويتابع ذلك متابعة شديدة، ثم بعد فترة قصيرة يصير ذلك عادة لدى الطفل يفعلها عند حدوث دواعيه"^(١).

والتعويد على الأخلاق العالية والعبادات التي تركي النفوس وتقومها مما يساعد على قوة العلاقة بين الوالد وولده، وذلك لما للطاعة من أثر في النفوس، ولذا كان هذا الأسلوب دأباً للأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام داخل بيوتهم، فهذا نبي الله إبراهيم - عليه السلام - يعلم ابنه عبادة من العبادات وهو الدعاء أثناء رفعهما لقواعد البيت، والتعويد عليه بتكراره في حال البناء، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ

(١) الشريف، محمد بن شاکر، نحو تربية اسلامية راشدة: البيان ١٤٢٧ هـ (٥١).

مِنَ الْبَيْتِ وَاسْمَعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ [البقرة: ١٢٧]، قال ابن جرير: "فتأويل الكلام (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل) يقولان: ربنا تقبل منا عملنا وطاعتنا إياك وعبادتنا لك في انتهائنا إلى أمرك الذي أمرتنا به في بناء بيتك الذي أمرتنا ببنائه إنك أنت السميع العليم" (١).

وقد علم إبراهيم - عليه السلام - ولده أن يسأل من الله التعليم للمناسك، وأن يتوب عليهما، وكان يكرر ذلك وهو يبني البيت، وهو دليل واضح على تعويد ابنه وفلذة كبده على الطاعة، قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة: ١٢٨]، يقول السعدي في تفسير الآية: {وأرنا مناسكنا} أي: علمناها على وجه الإراءة والمشاهدة، ليكون أبلغ، ويحتمل أن يكون المراد بالمناسك: أعمال الحج كلها، كما يدل عليه السياق والمقام، ويحتمل أن يكون المراد ما هو أعم من ذلك وهو الدين كله، والعبادات كلها، كما يدل عليه عموم اللفظ، لأن النسك: التعب ولكن غلب على متعبات الحج، تغليباً عرفياً، فيكون حاصل دعائهما، يرجع إلى التوفيق للعلم النافع، والعمل الصالح، ولما كان العبد - مهما كان - لا بد أن يعتريه التقصير، ويحتاج إلى التوبة قالوا (وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم) (٢).

والتعويد على الخير مما يساعد على تثبيت الطفل على طريق الاستقامة، وإهمال ذلك سبب لطيشه وانحرافه يقول ابن القيم (٣): "ومما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج الاعتناء بأمر خلقه، فإنه ينشأ على ما عوده المربي في صغره من حرد وغضب ولجاج وعجلة وخفة مع هواه وطيش وحدة وجشع فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك، وتصير هذه الأخلاق صفات وهيئات راسخة، له فلو تحرز منها غاية التحرز فضحته ولا بد يوماً ما، ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم وذلك من قبل التربية التي نشأ عليها" (٤).

(١) الطبري، جامع البيان: (١/٦٣٨).

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: (٦٦).

(٣) هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، الملقب بشمس الدين، تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، وأحد كبار العلماء المصلحين، له مؤلفات كثيرة عظيمة، منها: (زاد المعاد في هدي خير العباد)، و (إعلام الموقعين عن رب العالمين) وغيرهما، توفي سنة (٧٥١ هـ). انظر: الأعلام (٦/٥٦).

(٤) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، تحفة المودود بأحكام المولود: تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط: مكتبة دار البيان - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٣٩١ - ١٩٧١ (٢٠٠).

ومن أكد ما يعود عليه الطفل تقوية علاقته مع إخوانه، وقد أكدت الدراسات المعاصرة هذا الجانب، يقول أحد الباحثين: "ومما ينبغي أن يعود الطفل عليه محبة إخوته وإيثارهم على نفسه، واحترامهم والتودد لهم، والأخذ بكل ما يوطد العلاقة الأخوية وتجنب كل ما يؤرقها ويهدمها"^(١).

وهو في كل هذا يبين لهم أهمية العلاقة بالأبناء، وبيان كيف يكون التعويد مفيداً، ولذا نجد أن هذه المبادئ والقيم تغرس في حال الصغر وتظهر آثارها في الكبر، فتجد الأخ يقطع المسافات الطوال ليزور أخاه ويطلع على حاله، ولا يحمل على تحمله هذه المشاق إلا أنه يكره بوالديهما، ويتنكران تلك الأيام التي عاشها في كنفهما.

وهذه المعاني الكريمة لا يمكن أن توجد في غياب التربية الصحيحة، وتكرار الزيارة بين أفراد الأسرة يرسخ هذا المعنى في نفوس الأبناء فيتحول هذا الأمر إلى سلوك لهم.

الأسلوب الثاني: الاستشارة وبث الثقة بالنفس

يحتاج الولد إلى ترسيخ الثقة بنفسه حتى تثبت قدمه على طريق الاستقامة، ومن الواجب على والديه السماح له بإبداء رأيه والتحدث عما في خاطره دون تعنيف أو تهميش. ومما يساعد على ذلك مصاحبة الوالد لابنه واصطحابه معه، "فإن من حق الطفل أن يصحب الكبار ليتعلم منهم، فتتهذب نفسه ويتلحح عقله، وتتحسن عاداته"^(٢). والمشاورة، من أهم الطرق لزرع الثقة في نفوس الأبناء.

إن المشاورة مسلك محمود، وطريقة موصلة إلى سداد الرأي، ما استمسك بها أحد إلا وفق قال تعالى
أَمْرًا نَبِيهِ ﷺ بِهَا: ﴿فِيمَا رَحِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ
وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [ال عمران: ١٥٩]، قال
ابن عباس: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: (أما إن الله ورسوله غنيان عنها، ولكن جعلها الله رحمة
لأمّتي، فمن شاور منهم لم يعدم رشداً، ومن ترك المشورة منهم لم يعدم غياً)^(٣).

(١) الحازمي، خالد بن حامد، مراحل النمو في ضوء التربية الإسلامية: دار الزمان سنة النشر: ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م الطبعة الثالثة (٢٣).

(٢) السيد، عبدالباسط محمد، المنهج النبوي في تربية الطفل: مكتبة ألفا القاهرة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م (١٠٩).

(٣) البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، شعب الإيمان، الحادي والخمسون من شعب الإيمان، وهو باب في الحكم بين الناس، (٧١٣٦)، (٤٢/١٠)، وقال عنه الألباني: ضعيف وتحسين السيوطي لإسناده في "الدرر المنثور" هو من تساهله الذي عرف به، الضعيفة: (٧٨٩/١٢).

وتعظم الحاجة إليها في المواطن الجليلة العظيمة، يقول الماوردي: "وينبغي أن تكثر من استشارة ذوي الألباب لاسيما في الأمر الجليل، فقلما يضلّ عن الجماعة رأي أو يذهب عنهم صواب، لإرسال الخواطر الثاقبة وإجالة الأفكار الصادقة، فلا يعزب عنها ممكن، ولا يخفى عنها جائز"^(١).

ومشاوره الرجل أهل بيته وولده قد لا تكون بهذه المرتبة، ولكنها قد احتوت مقاصد تربية عظيمة، كتعزيز الثقة في نفس الولد واختبار ما عنده من أفكار عن موضوع ما لتقويمها وتصحيحها، وقد يكون ذلك لمقصد آخر بعيد كما هو في قصة إبراهيم - عليه السلام - حيث شاور ابنه في أمر الله، وقد كانت استشارته له لتقر عينه بولده، وليزداد يقيناً أنه ممثّل لأمر الله لا يعصيه ولو كان في ذلك ذهاب روحه وانتهاء أجله يقول ابن كثير: "وإنما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه، وليختبر صبره وجلده وعزمه من صغره على طاعة الله تعالى وطاعة أبيه"^(٢).

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَأَنْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۗ قَالَ يَا بَتِ أَعْمَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۗ﴾ [الصفافات: ١٠٢]، وليس المقصود من استشارة الابن في تنفيذ الرؤيا الرجوع إلى رأي الابن، فهذه الرؤيا وحي من الله ولا تحتل الآراء، لكن ذكره الرؤيا لإسماعيل - عليه السلام - تجسير على احتمال تلك البلية العظيمة، ومشاورته إياه ليعلم ما عنده من تلقي هذا الامتحان العظيم، ويصبره إن جزع، ويوطن نفس ابنه على ملاقة هذا البلاء، فتسكن نفسه لما لا بد منه، إذ مفاجأة البلاء قبل الشعور به أصعب على النفس^(٣)، وينكر الإمام الألويسي^(٤) أن إبراهيم شاور ابنه إسماعيل عليهما السلام ليكتسب الأخير المثوبة بالانقياد لأمر الله تعالى قبل نزوله، وليكون سنة في المشاورة^(٥)، إذن، فقد سلم إبراهيم عليه السلام لحكم الله تعالى بذبح ابنه، وأراد بمشاوره ابنه أن يسلم هو الآخر ويتذوق حلاوة التسليم، إنه يحب لابنه أن يتذوق لذة الطاعة التي ذاقها، وأن ينال الخير الذي يراه أبقى من الحياة و أسمى^(٦).

(١) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري : أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة، الطبعة: بدون طبعة: ١٩٨٦م ، (٢٦٣).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: (٣٥١/٥).

(٣) ينظر: أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي البحر المحيط ، عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، الطبعة : الأولى ، (٣٥٥/٧).

(٤) الألويسي هو السيد محمد بن عبد الله الحسيني ، المفسر ، خاتمة المحققين ، توفي سنة (١٢٧٠هـ). انظر : التفسير والمفسرون للذهبي (١/ ٣٥٢) ، والأعلام (٧ / ١٦٧)

(٥) ينظر: الألويسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ ، (١٢٩/٣٢).

(٦) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن ، (٥/٢٩٩٥).

ومما سبق تتضح أهمية المشاورة فيوطن الولد نفسه على قبول الأمر، فلا يقع في مخالفة أمر والديه وتعينه على البر وبناء شخصية الولد والثقة بنفسه والثقة بوالديه.

الأسلوب الثالث: أسلوب الوصية^(١) التربوية

إن الوصية ذات دلالة صادقة على العلاقة التي تربط الآباء بالأبناء، وهي تبين قوة هذه العلاقة بينهم، وتدل على استمرارها، إذ أن الوالد يقدم لأبنائه تجاربه في الحياة ليستفيدوا منها في حياتهم.

والوصية التربوية تعرف بأنها: "التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترناً بالوعظ والإرشاد والتوجيه نحو ما هو واجب من فضائل النفس والسلوك"^(٢)، وينبع أثرها التربوي من خلال أهميتها، وعناية المنهج الإسلامي بها.

ونجد أن قائلها يحرص على أهم المهمات، فهي بكل اختصار نصح وإرشاد، وهي خطبة وجدانية هامسة يهمس فيها الموصي من قلبه إلى قلب الموصى، فهي وإن كانت لغة الحوار فيها هادئة إلا أنها صيحات منتهى الود والإشفاق.

وأسلوب الوصية قد عرفه الإنسان قديماً حيث اشتملت مصادر التربية الإسلامية على الكثير من الوصايا التي أوصى بها الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - أبناءهم وأقرب الناس إليهم، ووجدت وصايا من الأنبياء لأممهم، ومن أبرز الأمثلة على وجودها في بيوتهم ما يأتي:

أ - وصية نوح عليه السلام لابنه:

كان لنوح عليه السلام نرية بقي فيهم نسل البشر بعد الطوفان، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧]، وقد ذكر أن نبي الله نوحاً أوصى أحد أبنائه، ولم يذكر هذا الولد الذي وجهت له هذه الوصية.

وأما مضمونها فقد كان مشتملاً على الأمر بخصلتين والنهي عن خصلتين، ففي حديث عبد الله بن عمرو: (إن نبي الله نوحاً صلى الله عليه و سلم لما حضرته الوفاة قال لابنه إني قاص عليك الوصية أمرك باثنتين وأنهاك عن اثنتين أمرك بلا إله إلا الله، فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضع لا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السماوات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمه قصمتهن لا إله إلا الله وسبحان الله وبحمده، فإنها صلاة كل شيء وكما يرزق

(١) أن يوصي بعض الناس بعضاً بالعمل بكتاب الله وبطاعته وبالانتهاء عما نهى الله عنه. (نصرة النعيم ٨/٣٤٩١)

(٢) سعيد، محمود شاكر، وصايا الآباء إلى الأبناء: راجعه وخرّج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط : جمعية دار البر - الإمارات ١٤١٥ / ١٩٩٤م.

الخلق وأنهاك عن الشرك والكبر^(١)، وهي وصية قائمة على تحقيق التوحيد والنهي عن ضده وهو الشرك، وهو من أعظم ما يُوصى الأولاد به، فلا نجاة للعبد إلا بتحقيق التوحيد والبعد عن الشرك.

ونهاه عن صفة نميمة وهي الكبر والتي تدل على سوء خلق متأصل في النفس، وقد ورد فيها من الوعيد الشديد ما يخيف كل ذي عقل وبصيرة قال ﷺ: (قال الله عزوجل الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار)^(٢).

ب - وصية إبراهيم لبنيه: أوصى إبراهيم بنيه بوصية عظيمة، فيها نصح لهم وللناس بعدهم، وبلغ من محبتهم لها، وحرصهم عليها أن كان أولاده يوصون بها من بعدهم من الذرية، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٨]

وأول من فعل ذلك يعقوب عليه السلام حيث أوصى بها أبناءه، قال تعالى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ

وَيَعْقُوبَ يَبْنِي إِنْ أَلَّهَ أَصْطَفَى لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

يقول ابن جرير موضحا مضمون هذه الوصية: "يعني تعالى ذكره بقوله: "ووصى بهما"، ووصى بهذه الكلمة. عنى ب "الكلمة" قوله "أسلمت لرب العالمين"، وهي "الإسلام الذي أمر به نبيه صلى الله عليه وسلم، وهو إخلاص العبادة والتوحيد لله، وخضوع القلب والجوارح له، ويعني بقوله: "ووصى بها إبراهيم بنيه"، عهد إليهم بذلك وأمرهم به"^(٣)، فحثهم على لزوم الإسلام وهو الدين الذي ارتضاه لعباده، وهذا كله يبرز أهمية التوحيد وأن دعوة الرسل قامت عليه.

ومن حرصه على التوحيد أن جعله كلمة باقية في عقبه يوصي المتقدم بها المتأخر، يقول الشنقيطي^(٤) في تفسيره: " وإنما جعلها إبراهيم باقية فيهم لأنه تسبب لذلك بأمرين:

أحدهما: وصيته لأولاده بذلك وصاروا يتوارثون الوصية بذلك عنه، فيوصي به السلف منهم الخلف، كما أشار تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْمِ مَا لَكَ قَالَ أَسْمَتُ رَبِّي الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ

(١) مسند أحمد، مسند عبدالله بن عمرو بن العاص: (٦٥٨٣)، (١٥٠/١١)، قال الأرنؤوط إسناده صحيح، وصححه الألباني، الأدب المفرد: ص(١٩٧).

(٢) سنن أبي داود، كتاب اللباس باب ماجاء في الكبر: (٤٠٩٠)، (٧٣٢) وابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب البراءة من الكبر والتواضع: (٤١٧٥)، ص(٦٩٤)، وقال الألباني صحيح (صحيح الجامع الصغير وزياداته ٧٩٥/٢).

(٣) الطبري، جامع البيان: (٦٤٨/١).

(٤) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي: مفسر مدرّس من علماء شنقيط (موريتانيا). ولد وتعلم بها سنة ١٣٢٥هـ. وحج (١٣٦٧هـ) واستقر مدرسا في المدينة المنورة ثم الرياض، وتوفي بمكة سنة ١٣٩٣ هـ. له كتب، منها (أضواء البيان في تفسير القرآن) و (منع جواز المجاز) وغيرها (الاعلام للزركلي ٤٥/٦)

وَيَعْقُوبُ يَبْنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ [البقرة: ١٣١-١٣٢] ،
والأمر الثاني هو سؤاله ربه لذريته الإيمان والصلاح^(١).

ومن خلال ما تقدم يتبين لك حرصه عليه السلام على ذريته من أن تنحرف عن التوحيد إلى الشرك، مع أنه نبي مؤيد بالوحي، وتأمل حال كثير من الآباء و تضييعهم لأولادهم، وعدم القيام بأقل الواجب وهو الدعاء لهم بالثبات على الدين، وفعله هذا ينبئ عن عظيم مكانة التربية في حياة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وأنه من الواجب على الوالد والمربي أن يحرص على تربية الأبناء والطلاب على المعتقد الصحيح، وإزالة كل شبهة تضعفه.

وفي وصيته لولده دليل على أن الوصية من الأساليب التي حرص عليها خيار الناس وأفاضلهم؛ ليستمر الخير في ذريتهم، وصارت كالتقاليد المتوارثة فيهم، إذ أنه: "لما كان من شأن أهل الحق والحكمة أن يكونوا حريصين على صلاح أنفسهم وصلاح أمتهم كان من مكملات ذلك أن يحرصوا على دوام الحق في الناس متبعًا مشهورًا، فكان من سننهم التوصية لمن يظنونهم خلفًا عنهم في الناس بأن لا يحدوا عن طريق الحق ولا يفرطوا فيما حصل لهم منه، فإن حصوله بمجاهدة نفوس ومرور أزمان، فكان لذلك أمرًا نفيسًا يجدر أن يحتفظ به"^(٢).

وإذا كانت الوصية بهذه الأهمية فينبغي الاهتمام بها وتكرارها على الأولاد ، وما تقدم من وصايا في بيت النبوة الطاهر، يدل دلالة واضحة على أهمية هذا الأسلوب التربوي في حياة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام.

(١) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م : (٤/٤٥٣ - ٤٥٤).

(٢) ابن عاشور ، التحرير والتنوير (١ / ٧٢٧)

ثانياً: علاقة النبي بأولاده غير المسلمين:

إن صلاح الأولاد مفخرة للآباء، وهو أمر يدخل السرور عليهم، ومن لطف الله ببعض عباده أن أخبرهم أنه سيلطف بأبنائهم ويجعل منهم صالحين، كما حصل لإبراهيم عليه السلام قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

وليس كل الأنبياء كانوا كذلك، فمنهم من ابتلي في أبنائه بأن كان بعض أبنائه منحرفين عن الدين الذي اختاره الله لعباده، وهذا أمر لم يحملهم على قطيعتهم والتبرؤ منهم، ذلك أن المسؤولية تجاه الأولاد لا تنتهي بالتخلي عنهم، بل من الواجب إسداء النصح لهم، وتنويع الأساليب في عرض الحق والهدى عليهم، لعل ذلك أن يدفعهم إلى ترك الباطل، وأهم أسلوب سلكه من ابتلي بذلك منهم في التعامل هو:

أسلوب الحوار والتوجيه والارشاد

يحتاج الولد الذي يقع في الانحراف إلى أسلوب الحوار من خلال فتح المجال لتبادل الآراء ووجهات النظر، ذلك أن الولد تغيب عنه كثير من المفاهيم، إما لقصور في فهمه، وإما لتشبعه بقيم الانحراف حتى صار لا يأنس لغيرها، وهنا لا ينفع معه غير هذا الأسلوب الناجع.

والغاية من الحوار إقامة الحجة، ودفع الشبهة والفاسد من القول والرأي، فهو تعاون بين المتناظرين على معرفة الحقيقة والتوصل إليها؛ ليكشف كل طرف ما خفي على صاحبه منها، والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق^(١).

والحوار مع الأبناء قد لا يكون في درجة الحوارات التي تكون بين أهل العلم والفكر مما تقام فيه سوق الحجج والبراهين والحجج المنطقية المفحمة، فهو حوار أشبه بالنصيحة أو التوجيه إلا أن فيه حرية للولد حيث يفصح عما في نفسه حول موضوع ما؛ ليتم بعد ذلك تقويمه وتصحيح ما وقع من فهم مغلوط.

وقد لوحظ هذا الأسلوب جلياً في قصة نوح مع ابنه يام، فابنه كان منعزلاً عن قومه عندما داهمهم الطوفان ولم يكن مع الكافرين، وهذا ما دعى نوح إلى أن يحضه على الالتحاق بركب المؤمنين، وكان الذي بدأه هو نوح - عليه السلام - حيث ناداه بلفظ فيه رقة وشفقة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ

(١) ابن حميد، صالح بن عبدالله، رسائل في أدب الحوار وفقه الخلاف وفن الإنصاف: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨ هـ الطبعة الأولى (١٤).

كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْرَظٍ يَبْنِي أَرْكَبَ مَعْنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ [هود: ٤٢]، قال أبو حيان^(١): "وناداه بالتصغير خطاب تحزن ورأفة، والمعنى: اركب معنا في السفينة فتنجو، ولا تكن مع الكافرين فتهلك"^(٢).

وإظهار الرحمة والشفقة في الخطاب أدب من آداب الحوار، ذلك أن "الرحمة جسر بين المحاور والطرف الآخر، ومفتاح لقلبه وعقله، وخاصة عندما يشعر بها، ويلمسها، فتخرج ما في قلبه من أمراض الكبر والبطر والحقد والحسد ونحوها، فهي بذلك وسيلة لجمع القلوب وتأليف الأفتدة"^(٣).

وكان جواب ابنه نابغاً عن جهل، معرضاً عن نصيحة أبيه، ﴿قَالَ سَأُوِيَّ إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَأَعَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمَغْرِقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود: ٤٣]، قال ابن كثير: "اعتقد بجعله أن الطوفان لا يبلغ إلى رؤوس الجبال، وأنه لو تعلق في رأس جبل لنجاه ذلك من الغرق"^(٤).

وفعله هذا يدل على أنه كان كافراً إذ أنه لم يصدق أباه وهو يعلم أنه نبي يوحى إليه، قال أبو حيان: "وظن ابن نوح أن ذلك المطر والتفجير على العادة، فلذلك قال: سأوي إلى جبل يعصمني من الماء أي: من وصول الماء إليّ فلا أغرق، وهذا يدل على عادته في الكفر، وعدم وثوقه بأبيه فيما أخبر به"^(٥).

ومع هذا التكذيب كان الإيضاح له مرة ثانية لتتضح الفكرة أكثر قال تعالى: ﴿قَالَ لَأَعَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمَغْرِقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود: ٤٣]، فلم يكتف بالدعوة في المرة الأولى، بل زاد على ذلك أن بين أن الطوفان مغرق لكل من لم يستجب، وهذا أدب ثان من آداب الحوار وهو الحرص على بيان الحق بكل طريق حتى يصير واضحاً جلياً. يقول طنطاوي معدداً آداب الحوار في

(١) أبو حيان هو: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي الجياني، النفري، أثير الدين، أبو حيان، من كبار علماء العربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات، ولد في إحدى جهات غرناطة سنة (٦٥٤هـ)، ورحل إلى مالقة وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة، وتوفي بها بعد أن كف بصره، واشتهرت تصانيفه في حياته، وقرئت عليه، من كتبه: (البحر المحيط) و(تحفة الأريب) و(منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك) وغيرها، توفي سنة (٧٤٥هـ) انظر: الأعلام (١٥٢/٧)

(٢) أبو حيان، البحر المحيط، (٢٩٥/٥ - ٢٩٦).

(٣) زمزمي، يحيى بن محمد حسن، الحوار آدابه وضوابطه في الكتاب والسنة: دار التربية والتراث مكة - رمادي للنشر، ١٤١٤ - ١٩٩٤م الطبعة الأولى (٢٠٧).

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٥٣٦/٣).

(٥) أبو حيان، البحر المحيط: (٢٩٦/٥).

الإسلام: "أن يقصد كل طرف من أطراف الخلاف إظهار الحق والصواب في الموضوع الذي هو موضع الاختلاف"^(١).

يمر الطفل بعدة مراحل في نموه، ومن أخطر هذه المراحل مرحلة المراهقة، فيحتاج في هذه المرحلة من حياته إلى الإكثار من التوجيه والنصح لما يصلح حاله ومآله، " فكل طفل يحتاج إلى معرفة قواعد السلوك وحدوده، ومعرفة الصحيح من الخطأ، والطيب من الرديء، والحلال من الحرام، والمستحسن من المستهجن، وعلينا أن نوضح له ذلك"^(٢).

وترسيخ ذلك في نفوسهم يحتاج إلى تكرار النصح، وفي حال انحراف الطفل وبعده عن المنهج السوي يتأكد هذا الأمر، وهذا ما نلاحظه في قصة نوح - عليه السلام - أنه ما منعه من توجيه النصح وتوجيهه سوى حيلولة الطوفان بينهما ليرديه في جملة الكفرة المعذبين، يقول سيد قطب: "نوح الوالد الملهوف يبعث بالنداء تلو النداء، وابنه الفتى المغرور يأبى إجابة الدعاء، والموجة الغامرة تحسم الموقف في سرعة خاطفة راجفة، وينتهي كل شيء، وكأن لم يكن دعاء ولا جواب"^(٣).

وبذلك يبرز حرص نوح - عليه السلام - على ابنه، وأن الذي حال بينه وبين محاولة إنقاذ ولده هو الطوفان، وهذا من الرحمة التي حوتها قلوب أصفياء الله وأنبيائه، وهو موقف قريب من موقفه ﷺ لما أنقذ اليهودي من النار بأن أمره وهو على فراش الموت بالنطق بالشهادتين، فلما نطقهما حمد الله وقال: "الحمد لله الذي أنقذه بي من النار"^(٤).

ومما سبق يتبين أهمية الحوار والتوجيه ، لما له من آثار تربوية طيبة، فهو تقويم لأفكار الأولاد وترشيد لأفهامهم، وسماع وجهات نظرهم؛ رغبة في رجوعهم إلى الحق واستجابتهم، وهو أسلوب اعتنى به الأنبياء - عليهم السلام. والتربية عملية مشتركة بين الوالدين، ولكل منهما وظيفة تكمل دور الآخر وتعززه، ولا غنى للأولاد عن أحدهما.

والحوار والتوجيه لا يختص بمرحلة دون أخرى، ذلك أن: التربية عملية شاقة تصاحب الإنسان في مراحل حياته كلها، وتقتضي مراقبة دائمة، وتذكيراً مستمراً، وتنشئة على خصال الخير.

(١) طنطاوي، محمد سيد، أدب الحوار في الإسلام: نهضة مصر: ١٩٩٧ الطبعة الأولى (٢٨).

(٢) ديماس محمد، تشاجر الأشقاء: دار ابن حزم، الطبعة الثانية، (٨٩ - ٩٠).

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن: (١٢/١٨٧٨).

(٤) سنن أبي داوود، كتاب الجنائز، باب عيادة النمي: (٣٠٩٥)، (٥٧٧)، قال الألباني عنه صحيح.

المبحث الثاني

علاقة أولي العزم من الرسل بأبائهم وإخوانهم :

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: والدي رسول الله ﷺ
- المطلب الثاني علاقة أولي العزم من الرسل بأبائهم
- المطلب الثالث: علاقة أولي العزم من الرسل بإخوانهم

المطلب الأول والدي رسول الله

اختلف أهل العلم في مسألة نجاة والدي رسول الله ﷺ أو عدم نجاتهما على أقوال، فقد بوب الأمام مسلم في صحيحه (باب بَيَانِ أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ فَهُوَ فِي النَّارِ وَلَا تَنَالُهُ شَفَاعَةٌ وَلَا تَنْفَعُهُ قَرَابَةُ الْمُقَرَّبِينَ)^(١) ثم نكر حديث أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيْنَ أَبِي ؟ قَالَ : فِي النَّارِ . فَلَمَّا قَفَى دَعَاهُ ، فَقَالَ : إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ ^(٢) (فَلَمَّا قَفَى) أي انصرف.

قال النووي رحمه الله : فِيهِ : أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ فَهُوَ فِي النَّارِ ، وَلَا تَنْفَعُهُ قَرَابَةُ الْمُقَرَّبِينَ ، وَفِيهِ أَنَّ مَنْ مَاتَ فِي الْفِتْرَةِ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ الْعَرَبُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَلَيْسَ هَذَا مُوَاحِدَةً قَبْلَ بُلُوغِ الدَّعْوَةِ ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ كَانَتْ قَدْ بَلَغَتْهُمْ دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَسَلَامِهِ عَلَيْهِمْ اهـ ^(٣).

وروى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمَّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي ، وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أُزَوِّرَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي ^(٤).

قال في "عون المعبود" : (فَلَمْ يَأْذَنْ لِي) : لِأَنَّهَا كَافِرَةٌ وَالْإِسْتِغْفَارُ لِلْكَافِرِينَ لَا يَجُوزُ اهـ ^(٥).

وقال النووي رحمه الله : فِيهِ : النَّهْيُ عَنِ الْإِسْتِغْفَارِ لِلْكَفَّارِ اهـ ^(٦).

وقد نكر السيوطي في الحاوي أن الله سبحانه وتعالى أحيا له أبويه فأسلما على يديه ثم ماتا ^(٧).

وقد نقل السيوطي ذلك عن الخطيب البغدادي في اللاحق والسابق والسهيلي في الروض الأنف ^(٨)، والقرطبي في التنكرة ^(٩).

وهذا القول أنكره عامة أهل العلم ، وحكموا بأن الأحاديث الواردة في ذلك موضوعة أو ضعيفة جداً .

قال في "عون المعبود" : "وَكُلُّ مَا وَرَدَ بِإِحْيَاءِ وَالِدَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِيمَانِهِمَا وَنَجَاتِهِمَا أَكْثَرُهُ مَوْضُوعٌ مَكْذُوبٌ مُفْتَرَى ، وَبَعْضُهُ ضَعِيفٌ جِدًّا لَا يَصِحُّ بِحَالٍ لِاتِّفَاقِ أُمَّةِ الْحَدِيثِ عَلَى وَضْعِهِ

(١) صحيح مسلم (١٣٢/١)

(٢) أخرجه مسلم باب بَيَانِ أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ فَهُوَ فِي النَّارِ وَلَا تَنَالُهُ شَفَاعَةٌ وَلَا تَنْفَعُهُ قَرَابَةُ الْمُقَرَّبِينَ (١٣٢/١)

(٣) شرح مسلم (٧٩/٣)

(٤) أخرجه مسلم باب اسْتِئْذَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ (٦٥/٣)

(٥) عون المعبود (٢٢٠/٧)

(٦) شرح مسلم (٤٥/٧)

(٧) السيوطي، الحاوي للفتاوي (٣٥٣ / ٢).

(٨) السهيلي، الروض الأنف (١٨٥ / ٢).

(٩) القرطبي. التنكرة (١٤ / ١).

كَالذَّارِقُطْنِيِّ وَالْجُوزَقَانِيِّ وَابْنِ شَاهِينَ وَالْحَطِيبِ وَابْنِ عَسَاكِرِ وَابْنِ نَاصِرِ وَابْنِ الْجُوزِيِّ وَالسُّهَيْلِيِّ وَالْفَرَطِيِّ
وَالْمُحِبِّ الطَّبْرِيِّ وَفَتْحِ الدِّينِ بْنِ سَيِّدِ النَّاسِ وَإِبْرَاهِيمِ الْحَلْبِيِّ وَجَمَاعَةٍ . وَقَدْ بَسَطَ الْكَلَامَ فِي عَدَمِ نَجَاةِ
الْوَالِدِينَ الْعَلَمَةِ إِبْرَاهِيمِ الْحَلْبِيِّ فِي رِسَالَةٍ مُسْتَقَلَّةٍ ، وَالْعَلَامَةَ عَلِيِّ الْقَارِي فِي شَرْحِ الْفِقْهِ الْأَكْبَرِ وَفِي رِسَالَةٍ
مُسْتَقَلَّةٍ ، وَيَشْهَدُ لِصِحَّةِ هَذَا الْمَسْئَلِ هَذَا الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ (يعني حديث : إن أبي وأباك في النار) وَالشَّيْخُ
جَلالُ الدِّينِ السُّيُوطِيُّ قَدْ خَالَفَ الْحَفَازَ وَالْعُلَمَاءَ الْمُحَقِّقِينَ وَأَثَبَتْ لَهُمَا الْإِيمَانَ وَالنَّجَاةَ فَصَنَّفَ الرِّسَائِلَ
الْعَدِيدَةَ فِي ذَلِكَ ، مِنْهَا رِسَالَةُ التَّعْظِيمِ وَالْمِنَّةِ فِي أَنْ أَبَوَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجَنَّةِ^(١) .

وَسُئِلَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : هَلْ صَحَّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ : أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَحْيَا لَهُ أَبَوَيْهِ حَتَّى
أَسْلَمَا عَلَى يَدَيْهِ ثُمَّ مَاتَا بَعْدَ ذَلِكَ ؟

فَأَجَابَ : لَمْ يَصِحَّ ذَلِكَ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ ؛ بَلْ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ كَذِبٌ مُخْتَلَقٌ .
.. وَلَا يَزَالُ بَيْنَ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ أَنَّهُ مِنْ أَظْهَرِ الْمَوْضُوعَاتِ كَذِبًا كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي
الْكَتُبِ الْمُعْتَمَدَةِ فِي الْحَدِيثِ ؛ لَا فِي الصَّحِيحِ وَلَا فِي السُّنَنِ وَلَا فِي الْمَسَانِيدِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ كُتُبِ الْحَدِيثِ
الْمَعْرُوفَةِ وَلَا ذَكَرَهُ أَهْلُ كُتُبِ الْمَغَازِيِ وَالتَّفْسِيرِ وَإِنْ كَانُوا قَدْ يَرَوُونَ الضَّعِيفَ مَعَ الصَّحِيحِ . لِأَنَّ ظُهُورَ
كَذِبِ ذَلِكَ لَا يَخْفَى عَلَى مُتَدَبِّرِينَ قَانٍ مِثْلَ هَذَا لَوْ وَقَعَ لَكَانَ مِمَّا تَتَوَافَرُ الْهَمَمُ وَالذَّوَاعِي عَلَى تَقْلِهِ فَإِنَّهُ مِنْ
أَعْظَمِ الْأُمُورِ حَرْقًا لِلْعَادَةِ مِنْ وَجْهَيْنِ : مِنْ جِهَةِ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى ، وَمِنْ جِهَةِ الْإِيمَانِ بَعْدَ الْمَوْتِ . فَكَانَ نَقْلُ
مِثْلِ هَذَا أَوْلَى مِنْ نَقْلِ غَيْرِهِ ، فَلَمَّا لَمْ يَرَوْهُ أَحَدٌ مِنَ الثَّقَاتِ عَلِمَ أَنَّهُ كَذِبٌ . .

ثُمَّ هَذَا خِلَافُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ وَالْإِجْمَاعِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ
يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا ۝١٧﴾ وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي
تُبتُّ أَلَمَنَ وَلَا أَلِذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٨﴾ [النساء
١٧ . ١٨] . فَبَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى : أَنَّهُ لَا تَوْبَةَ لِمَنْ مَاتَ كَافِرًا ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا
بِأَسْنَأَ سُنَّتِ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ۝٨٥﴾ [غافر : ٨٥]

فَأَخْبَرَ أَنَّ سُنَّتَهُ فِي عِبَادِهِ أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ الْإِيمَانَ بَعْدَ رُؤْيَةِ النَّبَاسِ ؛ فَكَيْفَ بَعْدَ الْمَوْتِ ؟ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنْ
النُّصُوصِ ثم نكر الحديثين الذين تقدموا في أول الجواب اهـ . "مجموع الفتاوى"^(٢) .

قال ابن باز : "أهل الفترة ليس في القرآن ما يدل على أنهم ناجون أو هالكون، وإنما قال الله -جل وعلا- :
وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ، فالله -جل وعلا- من كمال عدله لا يعذب أحداً إلا بعد بعث الرسول،
فمن لم تبلغه الدعوة فليس بمعذب حتى تقام عليه الحجة وأخبر -سبحانه- أنه لا يعذبهم إلا بعد إقامة

(١) عون المعبود (١٢/٣٢٤)

(٢) ينظر ابن تيمية مجموع الفتاوى (٤/٣٢٥-٣٢٧) .

الحجة، والحجة قد تقوم عليهم حتى يوم القيامة كما جاء في السنة، لما تقام الحجة على أهل الفترات ويمتحنون يوم القيامة، ومن أجاب وامتثل نجا، ومن عصى دخل النار، والنبى - ﷺ - قال: (إن أباك وأباك في النار) لما سأله عن أبيه قال: (إن أباك في النار ، فلما رأى ما في وجهه من التغيير قال: إنني أبا وأباك في النار) حتى يتسلى بذلك وأنه ليس خاصاً بأبيه، ولعل هذين بلغتهما الحجة، لعل أبا الرجل وأبا النبى - ﷺ - بلغتهما الحجة، النبى - ﷺ - حين قال: (إن أباي وأباك في النار) إنما قاله عن علم - عليه الصلاة والسلام - وهو لا ينطق عن الهوى قال تعالى: ﴿وَلَلَّجِمَ إِذَا هَوَىٰ ۖ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۚ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ﴾ [النجم ١. ٣]، وإنما قال ذلك عن علم عن الله - عز وجل - فلولا أن عبد الله بن عبد المطلب والد النبى - ﷺ - قد قامت عليه الحجة لما قال في حقه النبى ما قال - عليه الصلاة والسلام -، فلعله بلغه ما يوجب عليه الحجة كدين إبراهيم - عليه الصلاة والسلام -، فإنهم كانوا على ملة إبراهيم حتى أحدث ما أحدث عمر بن لحي الخزاعي، وسرى في الناس ما أحدثه عمر من بث الأصنام ودعوتها من دون الله، فعمل عبد الله كان قد بلغه ما يدل على أن هذا باطل، وما عليه قريش من عبادة الأصنام باطل فتابعهم فهذا قامت عليه الحجة، وهكذا ما جاء في الحديث أنه - ﷺ - استأذن أن يستغفر لأمه فلم يؤذن له فاستأذن أن يزورها فأذن له فهو لم يؤذن له أن يستغفر لأمه ومن هذا الباب لعله أنه بلغها ما يقيم عليها الحجة، أو لأن هذا جاهلية يعاملون معاملة الكفرة في أحكام الدنيا، فلا يدعى لهم، ولا يستغفر لهم؛ لأنهم في ظاهرهم الكفر ظاهرهم مع الكفرة، فيعاملون معاملة الكفرة وأمرهم إلى الله في الآخرة، فالذي لم تقم عليه الحجة في الدنيا لا يعذب حتى يمحن يوم القيامة؛ لأن الله سبحانه - قال: وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا، فإذا علم أن أناساً كانوا في فترة لم تبلغهم دعوة نبى فإنهم يمحنون يوم القيامة، فإن أجابوا صاروا إلى الجنة، وإن عصوا صاروا إلى النار، وهكذا الشيخ الهرم الذي ما بلغته الدعوة، والمجانين الذين ما بلغتهم الدعوة وأشباههم، والأطفال يمحنون أطفال الكفار على الصحيح؛ لأن الرسول - ﷺ - لما سئل عنهم قال: (الله أعلم بما كانوا عاملين)، فأولاد الكفار يمحنون يوم القيامة كأهل الفترة، فإن أجابوا جواباً صحيحاً نجوا وإلا صاروا مع الهالكين، فليس بحمد الله في حق أبوي النبى ليس في ذلك إشكال على من عرف السنة وقاعدة الشرع. (١)

وذكر كثير من أهل أن والدي النبى ﷺ لم يموتا على الإسلام

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أنس، أن رجلاً قال: يا رسول الله! أين أبى؟ قال: " في النار " فلما قفى دعاه فقال: " إن أبى وأباك في النار " (٢) ورواه غيره .

بؤب الإمام النووي للحديث بقوله " باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين "

ثم قال: [فيه: أن من مات على الكفر فهو في النار، ولا تنفعه قرابة المقربين، وفيه أن من مات في

(١) ابن بلز، فتاوى نور على الدرب، عناية: أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار (١٢١)

(٢) أخرجه مسلم، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار، ولا تناله شفاعة، ولا تنفعه قرابة المقربين (١٩١/١)

الْفَتْرَةَ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ الْعَرَبُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَلَيْسَ هَذَا مُوَاحِدَةً قَبْلَ بُلُوغِ الدَّعْوَةِ ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ كَانَتْ قَدْ بَلَغَتْهُمْ دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ تَعَالَى وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ . وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ) هُوَ مِنْ حُسْنِ الْعِشْرَةِ لِلتَّسْلِيَةِ بِالِاشْتِرَاكِ فِي الْمُصِيبَةِ (١) وروى الإمام مسلم أيضا في صحيحه : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (اسْتَأذَنْتَ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمَّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي ، وَاسْتَأذَنْتَهُ أَنْ أُرْوَرَ قَبْرَهَا فَأَذَنْ لِي) (٢)

قال الإمام النووي (في تعليقه على حديث الاستئذان : " فِيهِ جَوَازُ زِيَارَةِ الْمُشْرِكِينَ فِي الْحَيَاةِ ، وَقُبُورِهِمْ بَعْدَ الْوَفَاةِ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا جَارَتْ زِيَارَتُهُمْ بَعْدَ الْوَفَاةِ فِي الْحَيَاةِ أَوْلَى ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [لقمان : ١٥] وَفِيهِ : النَّهْيُ عَنِ الْإِسْتِغْفَارِ لِلْكَفَّارِ . . . ثم قال : قَالَ الْقَاضِي : "بِكَأُوهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَا فَاتَهَا مِنْ إِذْرَاكِ أَيَّامِهِ ، وَالْإِيمَانَ بِهِ . " (٣) وتأمل قوله ﷺ ، الذي سبق ذكره في حديث الاستئذان ، وفيه : " اسْتَأذَنْتَ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمَّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي " ، تأمل في هذا الحديث وقوله تبارك وتعالى ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣]

فعدم الإذن بالاستغفار لها، لهو دليل واضح وصريح على أنها لم تكن على الحنيفية الخالصة والتوحيد، ولهذا نهي النبي ﷺ عن الاستغفار لها . وروى الإمام البخاري في صحيحه وبُوبَ لمثله بقوله : باب إذا قال المشرك عند الموت : لا إله إلا الله : أن أبا طالب لما حضرته الوفاة ، دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل ، فقال : " أي عم ، قل لا إله إلا الله ، كلمة أحاج لك بها عند الله " فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب، ترغب عن ملة عبد المطلب ، فلم يزلوا يكلمانه ، حتى قال آخر شيء كلمهم به : على ملة عبد المطلب ، فقال النبي ﷺ : " لأستغفرن لك ، ما لم أنه عنه " فنزلت ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (٤) قال الشيخ المفسر محمد رشيد رضا في تفسيره المنار، في معرض رده على السيوطي : "وَفِي حَدِيثِ عَرْضِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ عَلَى أَبِي طَالِبٍ مَا يُبْطَلُ دَعْوَاهُ [أي السيوطي] إِيْمَانًا جَمِيعَ آبَاءِ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ أَنَّ أَحَرَ مَا قَالَهُ أَبُو طَالِبٍ أَنَّهُ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مِلَّةَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ تُتَابَعُ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ الَّتِي هِيَ عُنْوَانُ الْإِسْلَامِ " (٥)

(١) النووي، شرح مسلم (٧٩/٣)

(٢) أخرجه مسلم ، باب استئذان النبي - صلى الله عليه وسلم - ربه عز وجل في زيارة قبر أمه . (٦٥/٣)

(٣) النووي، شرح مسلم (٤٥/٧)

(٤) أخرجه البخاري، باب إذا قال المشرك عند الموت : لا إله إلا الله ' (٩٥/٢)

(٥) رضا محمد رشيد، تفسير المنار (٤٥٣/٧)

قال الإمام البيهقي بعد أن ساق حديث (إن أبي وأباك في النار) في كتابه دلائل النبوة: "وكيف لا يكون أبواه وجده بهذه الصفة في الآخرة وكانوا يعبدون الوثن حتى ماتوا ولم يدينوا دين عيسى بن مريم عليه السلام وأمرهم (وكفرهم) لا يقدح في نسب رسول الله لأن أنكحه الكفار صحيحة" (١) وقال الإمام الطبري في تفسيره: ". . . . أَنَّ أَهْلَ الشِّرْكِ مِنْ أَهْلِ الْجَحِيمِ ، وَأَنَّ أَبَوَيْهِ كَانَا مِنْهُمْ . . ." (٢) وقال ابن كثير: في كتابه البداية والنهاية: " قلت: وإخباره ﷺ عن أبويه وجده عبد المطلب بأنهم من أهل النار لا ينافي الحديث الوارد عنه من طرق متعددة أن أهل الفترة والاطفال والمجانين والصم يمتحنون في العرصات يوم القيامة، كما بسطناه . . ." (٣)

وقال الإمام ابن الجوزي: في معرض كلامه عن حديث إحياء أبي النبي ﷺ، في كتابه الموضوعات: " هذا حديث موضوع بلا شك والذي وضعه قليل الفهم عديم العلم إذ لو كان له علم لعلم أن من مات كافراً لا ينفعه أن يؤمن بعد الرجعة لا بل لو آمن عند المعاينة لم ينتفع، ويكفي في رد هذا الحديث قوله تعالى: ﴿ فِيمَتَّ وَهُوَ كَافِرٌ ﴾ [البقرة: ٢١٧] وقوله في الصحيح: " استأذنت ربي أن أستغفر لامي فلم يأذن لي " (٤)

" وأما الإجماع فقد اتفق السلف والخلف من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وسائر المجتهدين على ذلك من غير إظهار خلاف لما هنالك والخلاف من اللاحق لا يقدح في الإجماع السابق سواء يكون من جنس المخالف أو صنف الموافق" (٥)

فهذه نُقول عن جمع من أئمة السلف، النووي، والبيهقي، والطبري، وابن كثير، وابن الجوزي، والقاري، كلّها تثبت وبالذليل أن أبوي المصطفى صلى الله عليه وسلم لم يكونا على الإسلام .

يقول الشيخ عبد الرحمن المعلمي اليماني رحمه الله: " كثيراً ما تجمع المحبة ببعض الناس، فيتخطى الحجة ويحاربها، ومن وفق علم أن ذلك مناف للمحبة المشروعة، والله المستعان" (٦)

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: " و اعلم أيها المسلم . . . أن هذه الأحاديث و نحوها مما فيه الإخبار بكفر أشخاص أو إيمانهم، إنما هو من الأمور الغيبية التي يجب الإيمان بها و تلقيها بالقبول، لقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَكُنْ لَكَ آيَاتٌ أَنْ تُبَيِّنَ لِلنَّاسِ أَلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكَيْفَ يُكْفَرُونَ ؟ وَلَمْ يُبَيِّنْ لِلنَّاسِ الْغَيْبَ الَّذِي يَكْفُرُونَ بِهِ وَلِلَّهِ الْغَيْبُ كُلُّهُ أَلَمْ تَكُنْ لَكَ آيَاتٌ أَنْ تُبَيِّنَ لِلنَّاسِ أَلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكَيْفَ يُكْفَرُونَ ؟ ﴾ [البقرة: ١٠٣]

يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ [البقرة: ١٠٣]

(١) البيهقي، دلائل النبوة (١٩٢)

(٢) تفسير الطبري (٥٦٠/٢)

(٣) البداية والنهاية (٣٤٢/٢)

(٤) ابن الجوزي، الموضوعات (٢٨٤/١)

(٥) القارئ علي بن (سلطان) محمد، أدلة معتقد أبي حنيفة في والدي الرسول، مكتبة الغرياء الأثرية - السعودية

الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣هـ (٨٤)

(٦) الشوكاني، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعية، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧، تحقيق: عبد الرحمن يحيى المعلمي.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ ﴿٣٦﴾ [الأحزاب: ٣٦]

فالإعراض عنها و عدم الإيمان بها يلزم منه أحد أمرين لا ثالث لهما - وأحلاهما مر - : إما تكذيب النبي ﷺ، وإما تكذيب رواتها الثقات كما تقدم.

وأنا حين أكتب هذا أعلم أن بعض الذين ينكرون هذه الأحاديث أو يتأولونها تأويلاً باطلاً كما فعل السيوطي - عفا الله عنا وعنه - في بعض رسائله، إنما يحملهم على ذلك غلوهم في تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم، وحبهم إياه، فينكرون أن يكون أبواه ﷺ كما أخبر هو نفسه عنهما، فكأنهم أشفق عليهما منه ﷺ . . . " (١)

وقد رجح الشيخ محمد الأمين لشنقيطي رحمه الله أن والدي رسول الله ﷺ من أهل الفترة في حوار دار بينه وبين الشيخ عبد الله الزاحم وسأنتقل الحوار من كتاب مجالس مع فضيلة الشيخ محمد الأمين الجنكي الشنقيطي

قال المؤلف وحدثني - عليه رحمة الله - أنه استدعاه سماحة الشيخ عبد الله الزاحم إلى منزله، فلما حضر رحب به وأوسع له في المجلس إلى جنبه، وكان مجلسه ذلك الوقت ليس به إلا المنتسبون للعلم، وكان بين أيديهم كتاب فيه مرجع.

قال الشيخ محمد الأمين: فلما انتهى التسليم ناولني الشيخ عبد الله الزاحم الكتاب، فإذا هو شرح النووي على صحيح مسلم والمرجع فيه عند حديث " إن أبي وأباك في النار ".
فقل: هذا الحديث كنت أعرفه!

قال سماحة الشيخ عبد الله الزاحم: إنك قبل أيام قلت في الدرس كذا، لما قرر من أنهما أهل فترة.
قال شيخنا: قلت: نعم، قلت ما قلت اعتماداً على نص من كتاب الله القطعي المتن وقطعي الدلالة، وما كنت لأرد نصاً قطعي المتن قطعي الدلالة، بنص ظني المتن وظني الدلالة عند الترجيح بينهما، فهذا الحديث خبر آحاد، ومثله حديث أبي هريرة عند مسلم: " استأذنت ربي لأزور أُمِّي فأذن لي، واستأذنته أن أستغفر لها فلم يأذن لي "، ولكن أخبار الآحاد ظنية المتن، فلا يرد بها نص قرآني قطعي المتن، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ﴿١٥﴾ [الإسراء: ١٥]؛ أي: ولا مثيبين.

وهذا النص قطعي الدلالة لا يحتمل غير ما يدل عليه لفظه بالمطابقة، بخلاف حديث: " إن أبي وأباك في النار "؛ فإنه ظني الدلالة؛ يحتمل أنه يعني بقوله: " إن أبي " عمه أبا طالب؛ لأن العرب تسمي العم: أبا، وجاء بذلك الاستعمال كتاب الله العزيز في موضعين:..

(١) السلسلة الصحيحة، تحت الحديث رقم ٢٥٩٢. (٩١/٦)

أحدهما: قطعي المتن قطعي الدلالة ، وهو قوله تعالى في البقرة: ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٣] ، وإسماعيل عمه قطعاً؛ فهو يعقوب بن سحاق بن إبراهيم.

والموضع الثاني: قطعي المتن لكنه ظني الدلالة ، وهو قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِلْيَاسَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٨٤-٨٦]؛ فهو نص قرآني على أن إبراهيم يطلق عليه أب للوط ، وهو عمه على ما وردت به الأخبار ، إلا أن هذا النص ظني الدلالة لأنه يحتمل أن يكون الضمير من قوله تعالى: (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ) يرجع إلى نوح ، لأنه قال في الآية من قبل ذلك: (وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ) ، ولكنه احتمال مرجوح ؛ لأن الكلام عن إبراهيم.

وإذا فإنه يحتمل أنه لما سأله الأعرابي بقوله: أين أبي؟ وقال له: إن أبك في النار وولّي والحزن باد عليه، فقال: " (ردوه علي) فلما رجع قال له: (إن أبي وأباك في النار) .
يحتمل أنه يعني بأبيه: أبا طالب ؛ لأن العرب تسمي العم أبا لا سيما إذا انضم إلى العمومية التريبة ، والعطف والدفاع عنه.

ثم قال: والتحقيق في أبوي رسول الله " أنهما من أهل الفترة ؛ لأن تعريف أهل الفترة أنهم القوم الذين لم يدركوا النذارة قبلهم ، ولم تتركهم الرسالة التي من بعدهم ، فإذا كان ذلك كذلك ، فإن والد النبي " التحقيق أنه مات والنبي - بأبي وأمي هو - حمل في بطن أمه ، وأمّه ماتت وهو ابن ستة أعوام بلا خلاف ؛ وإذا فإنهما من أهل الفترة.

فقال أحد الحضور: العرب كانوا على دين إسماعيل فعندهم نذارة أدركوها.
فقال له الشيخ الأمين: هل أنت على بصيرة مما تقول؟ فقال نعم.

فقال له الشيخ محمد الأمين: أين أنت من قوله تعالى في سورة يس: ﴿ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴾ [يس: ٦] وما هنا نافية على التحقيق بدليل الفاء في قوله: (فَهُمْ غَافِلُونَ)؛ أي: لعله عدم إنذارهم.

وأين أنت من قوله تعالى في سورة القصص: ﴿ وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص: ٤٦] .

وأين أنت من قوله تعالى في سورة سبأ: ﴿ وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَّذِيرٍ ﴾ [سبأ: ٤٤] .

وأين أنت من قوله تعالى في سورة السجدة: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [السجدة: ٣] .

قال شيخنا: إن التحقيق في أهل الفترة ، والبله ، وأولاد المشركين الذين ماتوا صغاراً أنهم تشب لهم نار يوم القيامة في عرصات المحشر فيؤمرون باقتحامها ، والله يعلم من خلقه منهم للجنة فيقتحمونها فتكون عليهم برداً ويذهب بهم ذات اليمين ، ويعلم من خلقه منهم للنار فيمتنعون من دخولها فيذهب بهم ذات الشمال ، نكر ذلك ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا

﴿ [الإسراء: ١٥]

وقال: إنه جاءت بذلك أحاديث منها الصحيح ، ومنها الحسن ، ومنها ما هو ضعيف يتقوى بالصحيح والحسن ؛ وإذا كانت أحاديث الباب متعاضدة على هذا النمط أفادت الحجة عند الناظر فيها. فقال أحد الحضور: هذا تكليف والآخرة دار جزاء فهي يوم الدين. فقال له شيخنا: هل أنت على بصيرة من قولك هذا ؟ قال : نعم.

قال الشيخ محمد الأمين: قال تعالى في سورة القلم: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [القلم: ٤٢] ، أي يوم هذا يا معشر الحضور ؟ وهل كان هذا تكليفاً في عرصات القيامة بنص كتاب الله ؟

وأيضاً ، قد ثبت في الصحيح أن المؤمن يسجد لله يوم القيامة ، وأن المنافق لا يستطيع السجود ، وتكون ظهور المنافقين مثل صياصي البقر ، أليس هذا بتكليف في عرصات القيامة ؟ قال أحد الحضور: أليس بالإمكان حمل الخاص على العام ؟ لأن الخاص يقضي على العام عند الجمهور ؛ فقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥] دليل عام، والأحاديث الواردة في أشخاص معينين دليل خاص ، فما أخرجه دليل خاص خرج من العموم ، وما لم يخرج به بقي على عمومته داخلًا فيه .

قال شيخنا: إن هذا التخصيص لو قلنا به لأبطل ذلك حكمة العام ؛ لأن الله تعالى تمدح بكمال الإنصاف ، وأنه لا يعذب أحداً حتى يقطع حجة المعذب بإنذار الرسل له في دار الدنيا ، فلو عذب أحداً من غير إنذار لاختلت تلك الحكمة التي تمدح الله بها ، ولثبتت لذلك المعذب الحجة على الله التي أرسل الرسل لقطعها كما بينه تعالى في سورة النساء: ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥] .

وهذه الحجة التي أرسل الرسل لقطعها بينها في آخر سورة طه بقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نَّذَلَ وَنُخْرَىٰ ﴾ [طه: ١٣٤] وقال تعالى في سورة القصص: ﴿ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص: ٤٧].

فيتعين بكل هذه الحجج عذر أهل الفترة بفترتهم في الدنيا ، وأنهم ممتحنون يوم القيامة ، ولا يعلم من

يقتحم منهم النار ممن يمتنع إلا الله الذي خلقهم ، والعلم عند الله تعالى هو حسبنا ونعم الوكيل. (١)
و حكاية الإجماع على أن أبوي النبي ﷺ في النار فيحتاج إلى مزيد تتبع
قال ابن تيمية: "وقد جاءت بذلك عدة آثار مرفوعة إلى النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين بأنه في الآخرة
يمتحن أطفال المشركين وغيرهم ممن لم تبلغه الرسالة في الدنيا وهذا تفسير قوله الله أعلم بما كانوا عاملين
وهذا هو الذي ذكره الأشعري في المقالات عن أهل السنة والحديث ونكر أنه يذهب إليه وهذا التفصيل
يذهب الخصومات التي كره الخوض فيه لأجلها من كرهه فإن من قطع لهم بالنار كلهم جاءت نصوص
تدفع قوله ومن قطع لهم بالجنة كلهم جاءت نصوص تدفع قوله .. إنتهى (٢)

(١) الشنقيطي أحمد بن محمد، مجالس مع فضيلة الشيخ محمد الأمين الجنكي الشنقيطي، مكتبة الشؤون الفنية ٢٠٠٧م الطبعة الأولى (٣٩-٤٧)

(٢) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل - (٨ / ٣٢٥)

المطلب الثاني: علاقة أولي العزم من الرسل بأبائهم

إن من أعظم الأمور التي حثت عليها جميع الشرائع واهتم بها جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام الاهتمام بالوالدين وبرهما، بل ربط الله عبادته بالبر والاحسان إلى الوالدين، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٨] وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال: سألت النبي - ﷺ - أي العمل أحب إلى الله؟ قال: (الصلاة على وقتها) قال: قلت: ثم أي؟ قال: (ثم بر الوالدين)^(١). وجعلت الطاعة واجبة لهما ما داما أمرين بالمعروف، قال ﷺ (إنما الطاعة في المعروف)^(٢)، قال الشيخ ابن عثيمين: "يعني فيما يقره الشرع وأما ما ينكره الشرع فلا طاعة لأحد فيه حتى لو كان الأب أو الأم أو الأمير العام أو الخاص فإنه لا طاعة له"^(٣).

وهذه الأسس الواضحة البينة هي التي ينبغي أن تقوم عليها علاقة الولد بوالديه، وعند النظر في سير الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - نجد أن علاقة الولد بولده قد أخذت شكلين اثنين، علاقة الولد بأبيه المؤمن، وعلاقة الولد بأبيه الكافر.

أولاً: علاقة الولد بوالديه :

إن علاقة الآباء بالأبناء علاقة متميزة عن غيرها من العلاقات، ذلك أنه " بقدر ما ينشأ بين الناس من علاقات وروابط فإن علاقة الآباء بالأبناء هي أقوى هذه العلاقات، وأعمقها، وأكثرها تأثيراً، فهي ليست علاقة التقاء، وإنما هي علاقة اشتقاق أو هي ما يعبر عنه الفقهاء بعلاقة البعضية أو الجزئية، فالولد هو بعض الأب أو هو جزء منه، أي أن الأب أصل والابن فرع، وليس بين علاقات البشر ما هو مثل علاقة الأصول والفروع بما تحويه من جوانب نفسية، ومظاهر اجتماعية، وتبادل الحقوق والواجبات^(٤).

ومن هنا كان من نعم الله التي يمن بها على الأبناء صلاح الوالدين واستقامتهما، لما لهما من تأثير في الولد، وصلاحهما خطوة أولى في طريق الاستقامة، ذلك أن "ما يحمله الأبوان من فكرة واعتقاد عن

(١) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها: (٥٢٧)، (١٣٦/١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب أخبار الأحاد، باب ما جاء في خير الواحد الصدوق: (٧٢٥٧)، (٣١٩/٤).

(٣) العثيمين، شرح رياض الصالحين: (٢٧٧/٢ - ٢٧٨).

(٤) صالح، سعاد إبراهيم، علاقة الآباء بالأبناء في الشريعة الإسلامية: تهامة جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠١ هـ. (٨).

مبدع الكون، ومن قيم ومفاهيم عن الحياة يؤثر في عقل الطفل، وينتقل إليه بصورة تلقائية أو غير تلقائية" (١).

ومن شكر هذه النعمة أن يحافظ الولد على برهما، و أهم الأساليب التي تقوي العلاقات بين الولد ووالديه وتساعد على المحافظة على برهما ما يأتي:

الأسلوب الأول: البر بهما و خفض الجناح

أمر الله عز وجل الولد ببر والديه و كرر ذلك في مواضع من كتابه؛ رعاية لحقهما، وتعريفًا للولد بعظيم قدرهما، وفي مقابل ذلك لم يرد الأمر بالإحسان إلى الولد إلا ما كان من قبيل التحذير من الانجرار خلف تقاليد جاهلية كان فيها الآباء أشبه بالوحوش، يندون البنات خشية العار، ويئدون الأبناء خشية الفقر: (ذلك أن الفطرة وحدها تتكفل برعاية الوالدين للأولاد رعاية تلقائية مندفة بذاتها لا تحتاج إلى مثير، وبالتضحية النبيلة الكاملة العجيبة التي كثيرًا ما تصل إلى حد الموت - فضلا عن الألم - بدون انتظار عوض ودون من، ولا رغبة حتى في الشكران) (٢).

وهذا يدل على عظيم بذلها وشدة ما يلاقينه من العنت والمشقة في جميع أطوار التربية المختلفة ولذا كان من رد الجميل لهما خفض الجناح لهما، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤] والمراد بخفض الجناح أحد معنيين بينهما القفال بقوله: "في تقريره وجهان:

أحدهما: أن الطائر إذا ضم فرخه إليه للتربية خفض له جناحه، فخفض الجناح كناية عن حسن التدبير، وكأنه قيل للولد اكفل والديك بأن تضمهما إلى نفسك كما فعلا ذلك بك حال صغرك. الثاني: أن الطائر إذا أراد الطيران والارتفاع نشر جناحه، وإذا أراد ترك الطيران وترك الارتفاع خفض جناحه، فصار خفض الجناح كناية عن فعل التواضع من هذا الوجه" (٣).

وورد عن أئمة التابعين تمثيل على خفض الجناح يوضح المعنى ويقربه قال: عروة" تلين لهما حتى لا يمتنعا من شيء أحباه" وقيل عنه أيضا: "إن أغضباك، فلا تنتظر إليهما شزرا، فإنه أول ما يعرف

(١) الندوي، محمد الرابع الحسني، التربية والمجتمع: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع (٤٠).

(٢) فائز أحمد، دستور الأسرة في ظلال القرآن مؤسسة الرسالة الطبعة: السادسة ١٩٩٢: (٣٣٩).

(٣) أبو حيان، البحر المحيط، (٣٤/٦).

غضب المرء بشده نظره إلى من غضب عليه"، وقال سعيد بن جبير: "أخضع لوالديك كما يخضع العبد للسيد الفظ الغليظ"، وقال عطاء بن أبي رباح: "لا ترفع يديك عليهما إذا كلمتهما"^(١).

وفي قصص الأنبياء نماذج كثيرة لحسن التعامل والتواضع مع الوالدين مما له أبلغ الأثر في العلاقة داخل الأسرة، قال تعالى حاكياً عن عيسى عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢] قال الشنقيطي: "وكذلك الحالة الاجتماعية ماثلة في الوصية بالوالدين والأولاد، لترابط الأسرة، ففي الوالدين قوله تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَدَّهُ بِمَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٤ - ١٥]، وفي الأبناء قال: قَالَ تَعَالَى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]"^(٢) ومن صور البر خفض الجناح قال تعالى: ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]

وتقلب الولد في أنواع البر علامة صلاحه، وصلاح الولد فيه نفع للوالدين في حال حياتهما بالإحسان إليهما، وفي حال وفاتهما بالدعاء لهما وزيارة قبرهما، ولذا ورد في الحديث: (إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول يا رب أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك)^(٣) وهذا من أعظم ما يتم به التواصل بين الولد وأبويه، ذلك أن: "حق الوالدين لا ينقطع بالموت، بل يبقى قائماً دائماً كما كان في حال حياتهما، لا سيما الدعاء لهما"^(٤).

ومما سبق تظهر أهمية البر بالوالدين وخفض الجناح في التعامل معهما، وبه يتبين أن ما يفعله كثير من الأولاد من الغلظة في التعامل والتأفف وعدم الاستجابة لتوجيهات الوالدين دليل على أنهم في حاجة ماسة إلى مزيد من العناية والتوجيه التربوي الهادف الذي قد يكون سببا في نجاتهم من مغبة العقوق.

(١) أبي حيان: البحر المحيط (١٠٨/٦ - ١٠٩).

(٢) الشنقيطي، أضواء البيان (٩٥/٩).

(٣) سنن ابن ماجه، باب بر الوالدين (٣٦٦٠) (٦٣١/٤) صححه الألباني في "السلسلة الصحيحة": (١٢٩/٤).

قال الأرنؤوط: إسناده حسن. وهو في "مصنف ابن أبي شيبة" ٣/٣٨٧، وأخرجه أحمد (١٠٦١٠).

(٤) رمضان، منظور بن محمد، بر الوالدين في القرآن الكريم: (٥٥).

الأسلوب الثاني: الدعاء للوالدين:

إن من رحمة الله بعباده أن جعل العلاقة بين الولد وأبويه علاقة رحم وتواصل لا تنتهي بالموت ولا تنقضي بالافتراق، بل تدوم وتجعل الوالد يبلغ درجة عظيمة في الجنة بسبب دعاء ولده له، قال - عليه الصلاة والسلام - (إن الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول أنى هذا؟ فيقال باستغفار ولدك لك)^(١).

قال تعالى: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ [نوح: ٢٨] قال سيد قطب: "ودعاء نوح النبي لربه أن يغفر له.. هو الأدب النبوي الكريم في حضرة الله العلي العظيم.. أدب العبد في حضرة الرب. العبد الذي لا ينسى أنه بشر، وأنه يخطئ، وأنه يقصر، مهما يطع ويعبد، وأنه لا يدخل الجنة بعمله إلا أن يتغمده الله بفضله، كما قال أخوه النبي الكريم محمد - صلى الله عليه وسلم - وهذا هو الاستغفار الذي دعا قومه العصاة الخاطئين إليه، فاستكبروا عليه.. وهو هو النبي يستغفر بعد كل هذا الجهد وكل هذا العناء. يستغفر وهو يقدم لربه سجل الحساب! ودعاؤه لوالديه.. هو بر النبوة بالوالدين المؤمنين - كما نفهم من هذا الدعاء - ولو لم يكونا مؤمنين لروجع فيهما كما روجع في شأن ولده الكافر الذي أغرق مع المغرقين (كما جاء في سورة هود). ودعاؤه الخاص لمن دخل بيته مؤمناً.. هو بر المؤمن بالمؤمن وحب الخير لأخيه كما يحبه لنفسه، وتخصيص الذي يدخل بيته مؤمناً، لأن هذه كانت علامة النجاة، وحصر المؤمنين الذين سيصحبهم معه في السفينة. ودعاؤه العام بعد ذلك للمؤمنين والمؤمنات.. هو بر المؤمن بالمؤمنين كافة في كل زمان ومكان. وشعوره بأصرة القربى على مدار الزمن واختلاف السكن. وهو السر العجيب في هذه العقيدة التي تربط بين أصحابها برباط الحب الوثيق، والشوق العميق، على تباعد الزمان والمكان. السر الذي أودعه الله هذه العقيدة، وأودعه هذه القلوب المربوطة برباط العقيدة.. وفي مقابل هذا الحب للمؤمنين، كان الكره للمظالمين^(٢).

قال السعدي: خص المذكورين لتأكد حقهم وتقديم برهم، ثم عمم الدعاء، فقال: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ أي: خساراً ودماراً وهلاكاً^(٣).

ولما كانت العلاقة بهذه المنزلة العظيمة كان على الولد الحرص على ما يقويها ويؤدي إلى استمرارها، ومن ذلك الدعاء لهما فبالدعاء يبلغا درجة عظيمة في الجنة، قال - عليه الصلاة والسلام - : "إن الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول أنى هذا؟ فيقال باستغفار ولدك لك"^(١).

(١) سنن ابن ماجه: باب بر الوالدين (٣٦٦٠) (١٢٠٧/٢)

صححه الألباني في " السلسلة الصحيحة: (١٢٩/٤).

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن (٣٧١٧/٦)

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٨٨٩)

وهذه أهم الأساليب التي ظهر للباحث أثرها في علاقة الولد بأبيه المسلم في بيوت النبوة، والواجب على الولد أن يجعل البر ديدنه في كل وقت، فهذا هو المأمور به شرعاً، ومن تمام الإحسان الاهتمام بعلاقات أبويه مع الآخرين بعد موتهما، "فلا ينسى ذلك الود القديم، ولا يغفل عن تلك الوشيحة الإنسانية النبيلة التي أحكم نسجها والداه الحبيبان"^(٢)، فهذا الصنيع زيادة على البر فهو بر من كان له علاقة بالوالدين.

(١) سنن ابن ماجه: باب بر الوالدين (٣٦٦٠) (١٢٠٧/٢)

صححه الألباني في " السلسلة الصحيحة: (١٢٩/٤).

(٢) الهاشمي، محمد علي، شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة : دار البشائر الإسلامية، الطبعة: العاشرة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م: (٦٦).

ثانياً: علاقة الولد بأبيه غير المسلم:

إن صلاح الآباء وسيلة لصلاح الأبناء، ذلك أن الولد يسير على خطى والديه، ويتأثر بهما، وليس هذا الأمر مطردًا ولا قاعدة ثابتة في البشر، فالذي خلقهم ورزقهم شاء سبحانه فيما قدر على عباده أن يكون الوالد صالحًا، والولد عاصيًا أحيانًا، وفي أحيان أخرى يكون الولد طائعًا، والوالد عاصيًا، وذلك حتى يدرك الناس أن الهداية بيده، وأن "ما يبذلونه في مجال التربية إنما هي أسباب يؤخذ بها، وطرق تسلك، ومسالك تلتمس"^(١)

ولما كان للآباء الأثر الواضح في تسيير البيت وتوجيه أفراد الأسرة بما أعطاه الشرع من قوامة كان عدم استقامته إشكالية كبرى ومحنة عظيمة، والتعامل معها يحتاج إلى الرجوع إلى المنبع الصافي ألا وهو الوحي للاسترشاد إلى ما ينبغي فعله، والاهتداء إلى الطرق الكفيلة ببقاء معاني الأبوة والبنوة في محيط الأسرة.

والعلاقة بين الأب والابن لا تتمحي آثارها ولو كان هناك خلاف عقائدي، ذلك أنها مبنية على جملة ركائز ووشائج يحددها الماوردي فيقول: "فأما الوالدون فهم الآباء والأمهات والأجداد والجداث وهم موسومون مع سلامة أحوالهم بخلقين: أحدهما: لازم للطبع، والثاني: حادث باكتساب.

فأما ما كان لازماً بالطبع فهو الحذر والإشفاق، وذلك لا ينتقل عن الوالد بحال، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: (الولد مبخلة مجهلة مجبنة محزنة)^(٢)، فأخبر أن الحذر عليه يكسب هذه الأوصاف، ويحدث هذه الأخلاق، وأما ما كان حادثاً بالاكتساب فهي المحبة التي تنمي مع الأوقات، وتتغير مع تغير الحالات، روي عن النبي ﷺ أنه قال: (الولد ألوط)^(٣)،...، فإذا انصرف الوالد عن حب الولد فليس ذلك لبغض منه، ولكن لسلوة حدثت من عقوق أو تقصير، مع بقاء الحذر والإشفاق الذي لا يزول عنه ولا ينتقل منه"^(٤).

(١) العدوي، مصطفى، فقه تربية الأبناء وطائفة من نصائح الأطباء: دار ماجد عسيري، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ (١١).

(٢) سنن ابن ماجه ، باب الولد والإحسان إلى البنات (٣٦٦٦) (٤/٦٣٣)

قال الأرئوط، حسن لغیره، وهذا إسناد ضعيف لجهالة سعيد بن أبي راشد، فقد انفرد بالرواية عنه ابن خثيم ولم يؤثر توثيقه عن غير ابن حبان، وهيب: هو ابن خالد بن عجلان، ويعلى العامري: هو يعلى بن مرة بن وهب، من الصحابة. وهو في "مصنف ابن أبي شيبة" ٩٧/١٢.

(٣) (لوط) اللام والواو والطاء كلمة تدل على اللصوق. يقال: لاط الشيء بقلبي، إذا لصق. وفي بعض الحديث: "الولد ألوط بالقلب (١٣)"، أي ألصق. ويقولون: هذا أمر لا يلتأط بصرّي، أي لا يلصق بقلبي. ولطت الحوض لوطاً، إذا مدّرتّه بالطين. (معجم مقاييس اللغة ٥/٢٢١)

(٤) البخاري، الأدب المفرد، باب الولد مبخلة مجبنة، (٨٤)، (٥٢)، قال الألباني في صحيح الأدب المفرد: حسن الاسناد.

(٥) الماوردي ، أدب الدنيا والدين: (١٢٦).

من أولي العزم من الرسل - عليهم السلام - من ابتلي بأب كافر، وفي أحيان أخر بعم كافر، والعم بمنزلة الأب لأنه ورد في الحديث (عم الرجل صنو أبيه)^(١)، وقد كان من أساليب تعاملهم مع والديهم ما يأتي :

الأسلوب الأول: حسن الخطاب

من توفيق الله للعبد أن يعرفه بالحق، ويبسر له طرق الاهتداء إليه، وتعظم المنة بذلك في أمور الاعتقاد التي لا تحتل أكثر من أمرين، حق وباطل، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ أَحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ أَحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢]، يقول السعدي: "وفي هذه الآية وما بعدها دليل على قاعدة شريفة وهو أن ما قامت الأدلة على أنه حق وجزم به العبد من مسائل العقائد وغيرها، فإنه يجب أن يجزم بأن كل ما عارضه فهو باطل"^(٢)، ومعرفة ذلك لا توجب أن يهمل الشخص سائر الحقوق، فإن معرفة الحق لا تحمل الشخص على الاغترار به بقدر ما تحمله على الرحمة بالخلق، ومعرفة الولد للحق دون أبويه توجب عليه أن يعرفهما به، وأن له ذلك إذا كان تعامله فظاً غليظاً لا يترك مجالاً لمحاور، ولا مسلماً لمناظر.

ومن هنا كان من أولى ما يتعامل به الولد عند الاختلاف العقائدي مع والده أن يحسن الخطاب، وأن يستعمل الألفاظ التي فيها رقة وتحبب، ولنا في نبي الله إبراهيم أسوة، فقد ثبت أنه حاور أباه وكان في كل ذلك ملتزماً بالأدب الواجب له: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [٤١] إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ [مريم: ٤١ . ٤٥]، ومن خلال دراسة هذا الحوار الأسري من جميع جوانبه يتبين أن الحق وإن كانت تحيط به جوانب القوة والمنعة لما فيه من الحجج والبراهين إلا أنه إذا لم يقدم بالأسلوب الحسن والألفاظ التي فيها احترام للمحاور وإنزاله منزلته، فلن يجدي ذلك شيئاً، لذا كان أسلوب إبراهيم - عليه السلام - في كل العبارات التي وجهها إلى أبيه لم تخل واحدة منها من قوله: يا

(١) أي مثله وقريبه وأصله النخلتان تخرجان عن أصل واحد ومنه صنوان (فتح الباري ١/٤٦٦)

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزكاة باب في تقديم الزكاة ومنعها: (٩٨٣)، (٦٧٦/٢).

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: (١٣٣).

أبت، وهذه العبارة فيها تلمظ وتحبب يقول ابن عاشور، إعادة ندائه بوصف الأبوة تأكيد لإحضار الذهن، ولإمحاء النصيحة المستفاد من النداء الأول^(١).

ومثله هذا الفعل كان من رسول الله - ﷺ - في دعوته لعمه، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن سعيد بن المسيب عن أبيه أنه أخبره: أنه "لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ لأبي طالب: (يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله)^(٢)....

ثم إن إبراهيم عليه السلام راعى في عرضه للحجج خطابه لأبيه الذي رباه، وكان مستحضراً لمشاعر الأبوة والنظرة التي تكون في أذهان الآباء عن الأولاد، فلا يزال يتردد بين عينيه صور ولده وهو صغير ضعيف محتاج إلى الرحمة والشفقة يقول الزمخشري: "ثم ثنى بدعوته إلى الحق مترففاً به متلطفاً فلم يسم أباه بالجهل المفرط، ولا نفسه بالعلم الفائق، ولكنه قال: إن معي طائفة من العلم وشيئاً منه ليس معك، وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستتكف، وهب أني وإياك في مسير، وعندني معرفة بالهداية دونك، فاتبعني أنجك من أن تضل وتتيه"^(٣).

ثم إنه نوع في الحجج التي كان يعرضها، وهذا نوع آخر من حسن الخطاب، لما فيه من فسح المجال للذهن لتقليب النظر، والتعقل والتفكر ومراعاة العواقب والمآلات لعل ذلك أن يكون راداً له إلى الحق فبعد أن: "قرر أن عبادته الأصنام اتباع لأمر الشيطان عصيان للرحمن انتقل إلى توقع حرمانه من رحمة الله بأن يحل به عذاب من الله، فحذره من عاقبة أن يصير من أولياء الشيطان الذين لا يختلف البشر في مذمتهم وسوء عاقبتهم، ولكنهم يندمجون فيهم عن ضلال بمآل حالهم"^(٤).

ومما سبق يتبين أن حسن الخطاب خطوة مهمة في التقريب بين وجهات النظر، وسبيل توصل إلى الاطلاع على الحق والافتناع به، وهو فوق ذلك من جملة الإحسان الذي أمر به الولد نحو والديه ولو كانا مشركين، وهذا كله ما دام المجال مفتوحاً للنقاش، والأخذ والعطاء.

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير: (١١٥/١٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله: (١٣٦٠)، (٢٩٢/١)، و مسلم، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت: (٣٩) (٥٤/١).

(٣) لزمخشري، الكشاف: (٢٤/٤)

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١١٧/١٦).

الأسلوب الثاني: بيان الحق

إن النفوس جبلت على ما تألفه وما نشأت عليه من العقائد والعادات، ولذا كان تحويلها عن ذلك وتغييرها عنه صعب وعسير، ويعظم بلاء الولد بوالديه إن كان الأب مصرا على معتقده لا يرضى أن ينتازل عنه تعصبا وسيرا على طريق الآباء والأجداد.

ولذا كان من الحكمة في هذا المقام التنويع في الحجج والتدرج معه في البيان، ذلك أن ترتيب موضوعات الحوار، ومعرفة الأهم فالأهم، وتحديد بوضوح يسهل كثيرا من مهمة المحاور، فينتقل به من المتفق عليه إلى المختلف فيه، حتى تتحدد نقاط الاختلاف، فيسهل عرضها وبيانها، وهذا ما نلاحظه جليا في دعوات الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام.

فهذا إبراهيم عليه السلام - قص الله علينا خبره مع أبيه، فيلحظ في محاورته تدرجا في العرض، وبدأ بالمهم فالأهم قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۗ﴾ [مريم: ٤٢]، "وقد وصف الأوثان بثلاث صفات ليبين لأبيه عدم صلاحيتها للألوهية، وعدم استحقاقها للعبادة، وهذه الأوصاف القادحة هي:

١. عجزها عن السمع، فهي صماء لا تسمع من يناديها (لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ)، وهذه صفة نقص في المعبود.

٢. عجزها عن الإبصار، إذ لا تبصر حال عابديها (وَلَا يُبْصِرُ): وهذه صفة نقص في المعبود.

٣. عجزها عن إجابة الدعاء، و كشف الكروب، وتفريج الهم، (وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا) وهذه صفة تقدر في صلاحية المعبود للعبادة^(١).

وهذه الحجج الثلاث كافية له؛ لما فيها من البراهين الحسية ولكنه انتقل من ذلك أيضا إلى بيان حجج أخرى يصورها لنا الطاهر ابن عاشور، ويبرز جانب التدرج فيها فيقول: "علم إبراهيم أن في طبع أهل الجهالة تحقيرهم للصغير كيفما بلغ حاله في الحذق وبخاصة الآباء مع أبنائهم، فتوجه إلى أبيه بخطابه بوصف الأبوة إيماء إلى أنه مخلص له النصيحة، وألقى إليه حجة فساد عبادته فيصوره الاستفهام عن سبب عبادته وعمله المخطيء، منبها على خطئه عندما يتأمل في عمله، فإنه إن سمع ذلك وحاول بيان سبب عبادة أصنامهم لم يجد لنفسه مقالا، ففطن بخلط^(٢) رأيه وسفاهة حلمه، فإنه لو عبد حيا مميزا

(١) الزين، محمد بسام رشدي، مدرسة الأنبياء عبر وأضواء: دار الفكر المعاصر، ٢٠٠٠ (٦٥).

(٢) الخَطْل: الأضطراب، والمنطقُ الفاسد. (معجم مقاييس اللغة ١٩٧/٢)

لكانت له شبهة ما. وابتدأ بالحجة الراجعة إلى الحس: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾، فتلك حجة محسوسة، ثم أتبعها بقوله: ﴿وَلَا يُعْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾، ثم انتقل إلى دفع ما يخالج عقل أبيه من النفور عن تلقي الإرشاد من ابنه بقوله: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعَالَمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ ﴿٤٣﴾ [مريم: ٤٣]، فلما قضى حق ذلك انتقل إلى تنبيهه على أن ما هو فيه أثر من وساوس الشيطان، ثم ألقى إليه حجة لائقة بالمتصلين في الضلال بقوله: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ ﴿٤٥﴾ [مريم: ٤٥]، أي أن الله أبلغ إليك الوعيد على لساني، فإن كنت لا تجزم بذلك فافرض وقوعه، فإن أصنامك لم تتوعدك على أن تفارق عبادهما^(١).

ومثل هذا الموقف كان من النبي - ﷺ - لعمه فقد أنذره فيمن أنذر لما أمر بإبلاغ قومه وأقربائه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، ورهطك^(٢) منهم المخلصين، خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى صعد الصفا فهتف (يا صباحاه). فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه فقال: (أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي)، قالوا: ما جربنا عليك كذبا، قال: (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)، قال أبو لهب: تبأ لك، ما جمعنا إلا لهذا، ثم قام، فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]^(٣).

وفي هذا بيان لأهمية هذا الأسلوب التربوي المفيد للكبير والصغير، وقد استعمله - ﷺ - مع عقلاء حكماء، وهو أسلوب مفيد للصغار في الجانب التربوي، ذلك أن للتدرج في الخطوات أثرا في نفسية الطفل واستجابته، لأنه مازال غضا يافعا، فلا بد من التدرج معه، ونقله من مرحلة لأخرى^(٤)، وبذلك يتحقق كثير من المقاصد التربوية، لأن الانتقال بالعقل من الأصغر إلى الأكبر، ومن المختلف فيه إلى المتفق عليه مفيد للعقل إذ أنه أساس من أسس التربية العقلية.

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير: (١١٤-١١٣/١٦).

(٢) العصابة من ثلاثة إلى عشرة. قال الخليل: ما دون السبعة إلى الثلاثة نفر. (معجم مقاييس اللغة ٤٥٠/٢)

(٣) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب سورة تبت يدا أبي لهب وتب: (٤٩٧١)، (٢٧٦/٣)

(٤) السيد، المنهج النبوي في تربية الطفل: (١٢٣).

الأسلوب الثالث: الهجر والتبرأ :

إن من واجب المسلم التسليم للحق، والإذعان له من أي شخص صدر، ومن أي جهة كان، والمطلوب أحياناً أكثر من ذلك، وهو التواصي على لزومه، ولذا كان من جملة صفات المتقين التي عرفوا بها أنهم كانوا يتواصون على عدم التخلي عنه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١ - ٣]، قال السعدي: "والتواصي بالحق، الذي هو الإيمان والعمل الصالح، أي: يوصي بعضهم بعضاً بذلك، ويحثه عليه، ويرغبه فيه"^(١). وإذا كانت طاعة الوالدين واجبة فإنها ليست طاعة مطلقة، بل هي تابعة لطاعة الله ورسوله، وذلك حماية لجناب الربوبية، فإن الذي تجب له الطاعة المطلقة هو الله سبحانه.

ومن نماذج الهجر والتبرأ من الولد على والده ما جاء في قصة الخليل إبراهيم عليه السلام مع أبيه فقد وجه له النصح وبين له بشتى الأساليب الممكنة ثم لما ظهر أنه عدو الله - ومعرفته بذلك طريقها الوحي - تبرأ منه، وهذا الأسلوب صوراً متعددة وهي كالآتي:

١- التخليط له في الموعظة: إن الوعظ أسلوب دعوي تربوي يقصد منه ملامسة خبايا القلب وتحريكها، ذلك أن "في القلوب شغافية عجيبة، تظهر وتتأثر بالكلمات الرقيقة وبالمواقف المؤلمة التي تستعطف العواطف، فتعدو بها نحو الخير"^(٢).

وهذا ما كان من إبراهيم في موقف من مواقفه مع أبيه قال تعالى: ﴿ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَا زَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَأَيْتَ إِنْ أَرَادَكَ وَ قَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنعام: ٧٤]، يقول ابن كثير: "والمقصود أن إبراهيم - عليه السلام - وعظ أباه في عبادة الأصنام، وزجره عنها، ونهاه فلم ينته، كما قال: ﴿ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَا زَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ..، أي: أتأله لصنم تعبد من دون الله ﴿ * إِنِّي أَرَأَيْتَ إِنْ أَرَادَكَ وَ قَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾، أي: السالكين مسلكك ﴿ * فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾، أي: تائهين لا يهتدون أين يسلكون، بل في حيرة وجهل، وأمركم في الجهالة والضلال بين واضح لكل ذي عقل صحيح"^(٣).

وهذه الموعظة التي وعظها بها، ووصفه لأبيه وقومه بأنهم في ضلال مبين، هو من جملة الوعظ والاحتساب الذي وجب عليه تجاه والده المعرض عن الحق.

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: (٩٣٤).

(٢) الحازمي، أصول التربية الإسلامية: (٣٩٧).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: (٤٨/٣).

٢ - اعتزاله واعتزال من معه من المشركين:

إن العزلة عن الشخص المنحرف حماية له من الوقوع في الانحراف، لذلك ينبغي فعلها عند استحكام الباطل في قلبه، وعدم إفادة النصيح والتوجيه فيه.

وقد كان هذا أسلوباً من أساليب إبراهيم مع أبيه المعرض عن الحق قال تعالى: ﴿وَأَعْتَرَلَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيحًا ۝٤٨﴾ [مريم: ٤٨]، فلما اعتزلهم كافأه الله بأن رزقه ما يزيل وحشته وهم الأولاد، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۝٤٩﴾ [مريم: ٤٩].

يقول ابن عاشور: "أظهر إبراهيم العزم على اعتزالهم وأنه لا يتوانى في ذلك ولا يأسف له إذا كان في ذات الله تعالى، وهو المحكي بقوله ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٩٩﴾ [الصافات: ٩٩]، وقد خرج من بلد الكلدان عازماً على اللحاق بالشام حسب أمر الله تعالى^(١)، وهذه العزلة مطلوبة من الموحد عند ظهور الشرك وانتشاره، وهو نوع من أنواع الوقاية المطلوبة حفاظاً على الدين والمعتقد.

ومن هنا كان على المرابين الحرص على اجتناب البيئات التربوية التي تعج بالمفاسد؛ لما لها من أثر في إعاقة الوالدين على تنشئة أولادهم التنشئة الصحيحة، وذلك يكون إما بالهجرة من هذه البيئات، أو الحرص على الصحبة الصالحة، ولزوم مجالس أهل العلم والفضل؛ حتى يبتعدوا عن الشر وأهله.

٣- التبرؤ منه: إن الحفاظ على الدين مقصد من مقاصد الشريعة، وهو مقدم على غيره لما للدين من أهمية بالغة في حياة الإنسان، ولذا كانت رابطة القرابة والنسب لا تجدي شيئاً إذا كان المعتقد فاسداً، ذلك أن من عقائد المؤمن التي ينبغي اعتقادها، عقيدة الولاء والبراء، ومن هنا تجد أن خليل الرحمن تيراً من أبيه الذي تربطه معه وشائج لا تصل إليها أي وشيجة أخرى، لما ظهر منه الكفر، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيسَاءً ۖ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ۝١١٤﴾ [التوبة: ١١٤]، قال الشنقيطي: "ولكن الله بين له أنه عدو لله تبرأ منه، ولم يستغفر له بعد ذلك كما قال تعالى: (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ)، والموعدة المذكورة هي قوله هنا (إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيسَاءً)، ولما اقتدى المؤمنون بإبراهيم، فاستغفروا لموتاهم المشركين، واستغفروا

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٦/١٢٢).

النبي - صلى الله عليه - وسلم لعنه أبي طالب فأُنزل الله فيهم ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة: ١١٣] ^(١).

ومما تقدم يتضح أهمية المعتقد الصحيح في تربية الأبناء، وأن العقيدة الصحيحة هي الأساس والمحرك لجميع أعمالنا، " وأي تربية لا ترجع إلى أصول وجذور الأمة الإسلامية فهي تربية سطحية فاشلة، ولهذا يجب ربط الأمة، وخاصة الوسائل المباشرة في التربية بالعقيدة وعلى رأسها قطاعات التعليم، ووسائل الإعلام والأسرة" ^(٢).

وهذه الأساليب التي ورد نكرها هي فيمن كان عند والده خلل عقدي واضح، وأما إن كان الوالد دون ذلك ولكنه على شيء من التقصير، بأن كان واقعا في المحرمات فالواجب على الولد الحرص على توجيه النصح و استعمال كل خلق فاضل مراعيًا مقام الأبوة حريصًا على إرضاء والده بكل طريق؛ لأنه من مقتضيات البر التي أمره الله ورسوله بها.

(١) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: (٤٨٦/٢).

(٢) المحمود، عبدالرحمن بن صالح، قضايا منهجية ودعوية: (٣٥٧ - ٣٥٨).

المطلب الثالث: علاقة أولي العزم من الرسل بإخوانهم

إن الأسرة هي الوعاء الاجتماعي الذي يجتمع فيه الإنسان بوالديه وإخوته بشكل مستمر، لقضائه فترة طويلة من عمره فيه، ويتميز هذا الوعاء بأنه مكان: "فيه يتلقون عن بعضهم البعض الخبرات المختلفة من خلال معيشتهم المشتركة... وخلال حياة الطفل جميعها سواء في المنزل، أو خلال زيارته للأسر الأخرى، أو في المدرسة، وغيرها من المؤسسات يمر بخبرة الحياة مع أشخاص آخرين"^(١).

ولذا ندب الشرع الوالدين إلى مراقبة الأولاد في احتكاكهم مع بعضهم البعض قال - عليه الصلاة والسلام -: (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع)^(٢)، وقد: "جمع بين الأمر بالصلاة والتفرق بينهم في المضاجع في الطفولية تأديباً ومحافظاً لأمر الله كله وتعليماً لهم المعاشرة بين الخلق وأن لا يقفوا مواقف التهم فيجتنبوا المحارم"^(٣).

وهذه المراقبة تكون مقرونة بغرس القيم التي ينبغي أن تسود عند اختلاطهم ببعضهم البعض: "فليغرس في الصغير احترام الكبير، وليغرس في الكبير العطف على الصغير وذلك لحديث رسول الله ﷺ: (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا)^(٤)، وليعلموا جميعاً الأدب مع بعضهم البعض لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَمْرُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّقَابِ ۚ بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ۗ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ [الحجرات: ١١] ^(٥).

وعلاقة الأخ مع أخيه في الأسرة هي على ضربين اثنين:

- إما علاقة مع أخ مؤمن ناصح قائم بحق أخوته معه.
- وإما علاقته مع أخ عاص فاسق متتكب لأمر الله، معرض عن شرعه، وقد وجد كلا الصنفين في بيوت الأنبياء ولكل منهما طريقة في التعامل، سيأتي بيانها.

(١) حسن، محمود، الأسرة ومشكلاتها: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى (٢٤٦).

(٢) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة: (٤٩٥)، ص(٩١)،

قال عنه الألباني: حسن صحيح.

(٣) الحدادي، محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين فيض القدير شرح الجامع الصغير: المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦: (٦٦٥/٥).

(٤) الترمذي، سنن الترمذي كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في رحمة الصبيان، (١٩٢٠)، (٣/٣٨٦)، وقال: هذا حديث غريب، وصححه الألباني.

(٥) العدوي، فقه تربية الأبناء وطائفة من نصائح الأطباء: (١٤٥).

أولاً : علاقة النبي بأخيه المؤمن:

تتميز علاقة الإخوة فيما بينهم بمميزات وخصائص تتفرد بها عن غيرها من العلاقات داخل الأسرة، ويرجع ذلك إلى أن الإخوة يتصلون مع بعضهم البعض بشكل مستمر ويومي، وهذه الكثافة في الاتصال تؤدي إلى الارتباط الوثيق في العلاقات، والتي تشمل كل جوانب حياتهم، وإلى جانب ذلك نلاحظ أن علاقتهم تتسم بالوضوح والصراحة، وذلك أنها تخلو من المواربة، ونجد أنهم يعرفون بعضهم البعض جيداً نتيجة اشتراكهم في معيشة واحدة^(١).

وهذه الخصائص وإن كانت عامة في كل علاقة بين أخوين، فإنها بين الأخوين المستقيمين على طاعة الله وشرعه تبين على أساسها الصحيح؛ لأنها تكتسي صفة الشرعية، فيصير التزاور بينهما في ذات الله، ويصير الإنفاق من الأخ لأخيه يحتسب فيه الأجر من الله، فتتحول من أخوة رحمية إلى أخوة شرعية. وقد عرفت الأخوة الشرعية بأنها: "رابطة نفسية تورث الشعور العميق بالعاطفة والمحبة والاحترام، مع كل من تربطه وإياه من أواصر العقيدة ووشائج الإيمان والتقوى"^(٢)، فالمحرك الأساس فيها هو العقيدة التي يعتقدونها الشخص، وهذا هو الذي كان سائداً في بيوت الأنبياء الطاهر، فأساس العلاقات فيه مبني على المعتقد، وأي وشيجة أخرى فهي تالية لوشيجة العقيدة.

وإذا كان الأخ على استقامة كان حقه أعظم، والعناية بأمره ألزم، وأهم الأساليب في التعامل معه في بيوت الأنبياء ما يأتي:

الأسلوب الأول : الصبر والتحمل

إن من الصفات التي يجمل بالإنسان الاتصاف بها مع الناس جميعاً أن يكون صبوراً، واسع الصدر لما يصدر منهم من تصرفات وأفعال، وأقارب الرجل وذوو رحمه أولى بذلك، ولذا مدح الشرع من كان حريصاً على مقابلة إساءة قرابته بالإحسان، قال رجل للنبي - ﷺ - (إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم، ويسبئون إليّ، وأحلم عنهم، ويجهلون علي فقال لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك)^(٣)، ومعنى ذلك: أن إحسانك إليهم مع إساءتهم لك، ينتزل في قلوبهم منزلة النار المحرقة، لما يجدون من ألم الخزي، والفضيحة، والعار الناشئ في قلب من قابل الإحسان بالإساءة"^(٤).

(١) حسن، الأسرة ومشكلاتها، (٢٦٧-٢٦٨).

(٢) الخدش، جاد الله بن حسن، المذهب المستفاد لتربية الأولاد: المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠٠م (١٧٤).

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، (٢٥٥٨)، (١٩٨٢/٤).

(٤) ابن إبراهيم، أحمد بن عمر، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، (٥٢٩/٩).

وليس المراد من الحديث التشفي منهم كما قد يفهم من ظاهر العبارة، بل المراد بيان ما يلحقهم من العار بسبب القطيعة، ولذا كان من جملة الصبر عليهم عدم الانتصار للنفس منهم، وتقويض أمرهم لله تعالى، يقول ابن حجر الهيتمي^(١) "ينبغي لك إذا ظلمت فيما يتعلق بك لا سيما من رحمك أن لا تنتصر لنفسك أبداً، بل أوكل أمرهم إلى الله تعالى، وادعه أن يصلحهم لك حتى يرجعوا عما هم عليه"^(٢).

ومقابلة إساءتهم بالإحسان مما يبقي على الود، ويحفظ ما بين الأقارب من العهد، ويهون على الإنسان ما يلقاه من شراسة أقاربه وإساءتهم^(٣)، وقد ابتلي بعض أنبياء الله بأذى إخوانهم وأقاربهم فصبروا، ومن ذلك ما وقع لنبي الله يوسف - عليه السلام - من إخوته لما رموه في الجب وباعوه، وبالغوا في قطع رحمهم، فكان جزاؤه لهم لما تمكن منهم أن أكرم وفادهم، وأحسن إليهم غاية الإحسان، وعفا عما بدر منهم وكان من كرم نفسه وكمال خلقه - عليه السلام - أنه لم ينسب الخطيئة لهم بل جعل سببها نزغ الشيطان، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبْتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رُبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف: ١٠٠]، يقول السعدي: "وهذا من لطفه وحسن خطابه عليه السلام، حيث ذكر حاله في السجن، ولم ينكر حاله في الجب، لتمام عفوهِ عن إخوته، وأنه لا ينكر ذلك الذنب، وأن إتيانكم من البادية من إحسان الله إلي فلم يقل: جاء بكم من الجوع والنصب، ولا قال: أحسن بكم" بل قال {أَحْسَنَ بِي} جعل الإحسان عائداً إليه، فتبارك من يختص برحمته من يشاء من عباده، ويهب لهم من لدنه رحمة إنه هو الوهاب، (مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي)، فلم يقل "نزغ الشيطان إخوتي" بل كأن الذنب والجهل، صدر من الطرفين، فالحمد لله الذي أخزى الشيطان ودحره، وجمعنا بعد تلك الفرقة الشاقة"^(٤)

وجعله عليه السلام الذنب مشتركا بينهما رعاية لحقهم وإظهارا لكمال صبره عليهم، وتمام عفوهِ عنهم، وهذه الأخلاق الحسنة باتت مهمة في العلاقة بين الإخوة والأخوات.

(١) أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الانصاري، شهاب الدين فقيه باحث مصري، مولده في محلة أبي الهيتم سنة (٩٠٩هـ) تلقى العلم في الأزهر، ومات بمكة سنة (٩٧٤هـ)، له تصانيف كثيرة، منها: مبلغ الارب في فضائل العرب - تحفة المحتاج لشرح المنهاج، الأعلام: (١/٢٣٤).

(٢) أحمد بن محمد بن علي، أسنى المطالب في صلة الأقارب: دار ابن كثير. سنة النشر: ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م الطبعة: الأولى (١٨٩).

(٣) الحمد، رسائل في التربية والأخلاق والسلوك: (٨٢).

(٤) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: (٤٠٥).

وسبب الوقية والقطيعة بين الأرحام، هو الشيطان، ولذا كان على المربي والوالد وغيرهم تعويد الولد على الاستعاذة من شره؛ ليسلم له دينه وتسلم له علاقته بإخوانه، فإن "الاستعاذة من وسوسة الشيطان عند الشعور بما من شأنها أن تدفع الأذى الشيطاني عن العبد عند كل باب من أبوابه، وتمنع عنه ضرره في كل أحيانه"^(١) ولا يمكن دفع ضرره إلا بذلك.

ومن مظاهر الصبر على الإخوة، الصبر على بعض الأخلاق التي تظهر منهم عرضاً كالغضب وغيرها، ذلك أن الإنسان تعتريه حالات قد يقسو فيها على أخيه، ثم لا يلبث أن يزول عنه الغضب فيعترف بخطئه، فهذا نبي الله هارون جعله موسى - عليه السلام - خليفة له في بني إسرائيل، فلما وقعوا في الشرك ظن موسى أنه سكت عما بدر منهم، فعاقبه على ذلك يقول تعالى في خبرهما: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُمُ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَيْتُمُ الْأَوْحَادَ وَأَخَذْتُمْ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَكْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠]، يقول الشوكاني: "أي أخذ برأس أخيه هارون، أو بشعر رأسه حال كونه يجره إليه فعل به ذلك لكونه لم ينكر على السامري"^(٢)، ولا غيره ما رآه من عبادة بني إسرائيل للعجل، فقال: هارون معتدراً منه (إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَكْتُلُونِي) أي إنني لم أطق تغيير ما فعلوه لهذين الأمرين، استضعافهم لي، ومقاربتهم لقتلي، وإنما قال: (ابن أم) مع كونه أخاه من أبيه وأمه، لأنها كلمة لين وعطف، ولأنها كانت كما قيل مؤمنة"^(٣)، وقد كان صنيعه هذا لما خاف عليه من أنه قد فرط في الإنكار، فلما علم عذره في ذلك دعا له.

وما تقدم من مواقف نبي الله هارون عليه السلام وتعامله مع هذا الموقف الذي كان من موسى دليل واضح على أهمية الصبر وسعة الصدر في التعامل مع الإخوة والأخوات، فبدون ذلك لا يمكن أن يبقى للشخص ود مع أقاربه وذوي رحمه.

والصبر خلق عظيم ومنة من الله على عباده، ولذا قال عمر بن ذر فيما نقله ابن أبي الدنيا عنه: "واعلم أن الصبر مواهب، ولن يعطاه إلا من كرم على سيده، فاغتنمه ما قدرت عليه؛ لأنك ستجد

(١) هندي، محمد بن زيلعي، المستعاذ منه في ضوء القرآن الكريم: مجلة البحوث والدراسات القرآنية العدد الخامس العدد الثالث (٩٨).

(٢) قال ابن عباس: كان السامري رجلاً من أهل بَاجَزْمَا، وكان من قوم يعبدون البقر، وكان حُبُّ عبادة البقر في نفسه، وكان قد أظهر الإسلام مع بني إسرائيل. وكان اسم السامري: موسى بن ظفر. (تفسير ابن كثير ٥/٣١٣)

(٣) الشوكاني، فتح القدير: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ (٢/٢٨٣).

عاقبته عاجلاً وأجلاً^(١)، وعلى الوالدين مسؤولية تعويد الأبناء على الدعاء أن يرزقهم الله هذا الخلق، كما أن من مسؤولياتهم تقليل المشاحنات بين الإخوة وتعويدهم الصبر على بعضهم البعض، لأن الأذية إذا كانت أحياناً كانت محتملة، وإذا كانت باستمرار صعب تحملها.

ولذا كان من التوجيهات التربوية المفيدة في التقليل من النزاع بين الإخوة أن لا يبقوهم آباؤهم مع بعضهم مدة طويلة إذ أنه: " ليس من المستحسن أن يبقى الأولاد طول الوقت مع بعضهم البعض في مكان واحد، فإن هذا بلا شك يزيد من منازعاتهم ومشاكلهم، بل الأفضل تفريقهم في بعض الأوقات ليشتاقوا إلى بعضهم البعض"^(٢)، وهذه التوجيهات الإرشادية والنصائح التربوية مما ينبغي للأبوين العناية بها، والحرص على تفعيلها في الأسرة لتدوم المحبة والألفة بين الإخوة.

الأسلوب الثاني: التعاون

الإنسان بطبعه اجتماعي يأنس بغيره، ويستفيد منه الخبرات والتجارب، ولا يتمتع بجمال الحياة ونعيمها إذا انفرد وحده، وبقدر ما ينعزل عن الجماعة فإنه يحرم نفسه من تلك المتع ويضيق من الحياة، ويشعر بالوحشة، والحاجة إلى الموائمة^(٣).

وأفراد الأسرة أكثر الناس حاجة إلى هذا الأسلوب، لما في العلاقات بينهم من البساطة والتقارب والتجانس، ذلك أن الفرد يشترك مع إخوانه في بعض الصفات الموروثة عن الأسرة، وربما يختلف عن البعض الآخر، ولا شك أن وجود الإخوة والأخوات يلعب الدور الاجتماعي في نمو الأفراد .

ومن هنا كانت عوامل اتحادهم وتعاونهم قائمة ظاهرة، وفي بيوت الأنبياء التي عرف أهلها أحسن الأخلاق وأعلاها وجد هذا الأسلوب وعاشه الإخوة فيما بينهم، فهذا نبي الله موسى عليه السلام يتعاون مع أخيه هارون في دعوة قومه، وهدايتهم لدين الله، وما كان لهارون أن يكون نبياً لولا دعوة موسى ربه أن يجعله له وزيراً وظهيراً قال تعالى: ﴿وَجَعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ هَرُونَ أَخِي ﴿طه: ٢٩ . ٣٠﴾.

ولقد كان موسى يعلم الصفات التي يتصف بها هارون مما يؤهله أن يتحمل الدعوة معه، فقد قال الله على لسانه: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِخِي هَرُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ إِنِّي أَخَافُ أَنْ

(١) ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي، الصبر والثواب عليه، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف: دار ابن حزم، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م (١١٤).

(٢) باحارث، عدنان حسن صالح، مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة: دار المجتمع للنشر والتوزيع بجدة (٢٢٠).

(٣) يالجن، مقداد، التربية الإسلامية والطبيعة الإنسانية: دار عالم الكتب ٢٠٠٢م، الطبعة الأولى (١٠٢).

يُكَذِّبُونَ ﴿٣٤﴾ [القصص: ٣٤]، ومعنى ردة: وزيراً ومعيناً ومقوياً لأمرى، يصدقني فيما أقول، وأخبر به عن الله عز وجل؛ لأن خبر اثنين أنجع في النفوس من خبر واحد، وجاء في تفسير آخر عن محمد بن إسحاق أنه قال: "يبين لهم عني ما أكلمهم به، فإنه يفهم عني"^(١).

والتعاون بين الإخوة في أمور عظيمة كهذه أمر مطلوب شرعاً، ذلك أن شد الأزر في الدعوة إلى الله تعالى، وتوزيع الأدوار، والتعاون على القيام بها، من الأسباب التي تجعل العمل ناجحاً، وتجعل النفوس وثابة إلى المعالي كلما حققت شيئاً من أهدافها وغاياتها، وخير شاهد على ذلك قصة موسى وطلبه من ربه أن يشد أزره بأخيه هارون - عليهما السلام -^(٢).

وكان من تعاونهما أيضاً أن موسى - عليه السلام - يجعل هارون نائباً له إذا غاب فلقد تركه لما ذهب إلى الطور لملاقة ربه قال الله تعالى: ﴿وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا وَعْدَنَا فَتَمَّرَ بِمِيقَاتِ رَبِّهِ ۚ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأعراف: ١٤٢]، واعتباراً لغيره، وتأكيداً ومصلحة للجميع^(٣)، ولما رجع ووجد قومه قد عبدوا العجل اشتد نكيره عليه أكثر من غيره لكونه كان خليفته فيهم، ولم يتركه إلا لما ذكر له من عذره ما برأ ساحته. ومن كل ذلك تعلم أن توجيه النصح والعتاب للإخوة مطلوب في مواضع؛ لما فيه من التوجيه والإرشاد إلى الأصح، وهو غاية النصح إذا استعمل في موضعه، وعلى من نصح من الإخوة: "أن يتقبل النصح، وأن يأخذ به، حتى يكمل سؤده، وتتم مروءته، ويتناهى فضله"^(٤).

ومن صور التعاون بين الإخوة في بيوت الأنبياء كذلك ما كان من تعاون بين يوسف وإخوته للم شمل أسرته، فبعد أن دخلوا عليه وعرفوه و طلبوا منه العفو عما صدر منهم، عفا عنهم وكلفهم باللقاء ثيابه على وجه أبيهم ليزول عنه ما كان يجده من بياض في عينيه بسبب فقد أبنائه، وطلب منهم أن يأتوا بأهلهم أجمعين قال تعالى: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَاَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي﴾

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: (١٩/٥).

(٢) الزهراني، أحمد بن عبد الله العماري، تأملات قرآنية: من نبأ موسى وفرعون، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية - العدد ١، سنة النشر: ١٤٢٧ (٦٢).

(٣) القاسمي، محاسن التأويل: (١٧٨/٥).

(٤) الحمد، محمد بن إبراهيم، سوء الخلق مظاهره وأسبابه وعلاجه: وزارة الشؤون الإسلامية والوقف والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ (١٢١).

بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ [يوسف: ٩٣]، وفعلوا ما طلب منهم فذهبوا إلى أبيهم وأخبروه الخبر، فزال عنه ما كان يجد ثم جاءوا بأهلهم وتم اللقاء بينهم بعد فراقهم ليوسف عليه السلام لسنوات عديدة.

وقد ذكر الله هذا اللقاء في كتابه فقال: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ

إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ [يوسف: ٩٩]، فكان الاجتماع بعد الفرقة، واللقاء بعد الغربة.

هذه بعض صور التعاون بين الإخوة في بيوت الأنبياء، والبيوت اليوم أحوج ما تكون إلى هذا التعاون المثمر على الأعمال الجليلة كالدعوة إلى الله، ونشر الخير والإحسان إلى الخلق، ولا شك أن أساس ذلك والمساعد عليه هو تعاون الأبوين، وحسن تعاملهم، ذلك أن "معاملة الأبوين لبعضهما ولأولادهم هو خير طريقة لتربيتهم؛ لأن المعاملة القاسية والإحباط الدائم بالتوبيخ والضرب والإهانة والسخرية تؤدي إلى نتائج أهمها فقدان الثقة بالنفس"^(١).

ومن هنا كان على الأسر أن تعتني بتربية الأولاد على هذه المعاني النبيلة بالكلمة الطيبة والتوجيه السديد، ويحسن بالأبوين أن يشبعا نفسية الأولاد في الجانب العاطفي، وذلك بمحاورة الأولاد وملاعبتهم، وإدخال السرور عليهم، وفي أثناء ذلك يشربونهم المفاهيم التي يريدون تربيتهم عليها ليقبلوها عن رضى وتتثبت لديهم وتبقى^(٢)، وليكن العقاب آخر هذه الأساليب استخداماً وأبعدها عن البيئة الأسرية مكاناً، وتكفي فيه الإشارة عن الفعل تعليق العصا أو السوط ونحوه.

(١) محجوب، عباس، أصول الفكر التربوي في الإسلام: (٢٠٩).

(٢) الأسمر أحمد رجب، النبي المرئي: دار الفرقان للنشر والتوزيع - عمان سنة النشر: ١٤٢٢ (١٩٨-١٩٩).

ثانيًا: علاقة النبي بأخيه العاصي:

لقد جاء القرآن الكريم ليحدد القيم الأساسية في تصور الإسلام للحياة، وهذه القيم التي ينبغي أن تجد ترجمتها الحية في بيوت الأنبياء وحياتهم الخاصة، وأن تتحقق في أدق صورة وأوضحها في هذه البيوت التي كانت وستبقى منارة للمسلمين^(١)، ولذا نجد ذلك النوع في بيوتهم فتجد فيها الصالح والطالح، والمستقيم و العاصي، ليجد كل مقتدٍ أسوته، ويحصل لكل مبتل سلوته.

ومن هنا كانت العلاقة الأخوية كذلك، فقد ابتلي بعض البيوت بانحراف الإخوة إما الانحراف الكلي وذلك بتتكب هدي الله عز وجل، وإما الانحراف الجزئي باقتراف الذنوب والمعاصي. وهذا البلاء الذي وقع في بيوت الأنبياء لا يمس مكانة هذا البيت الطاهر، بل هو تأكيد لحقيقة كبرى، وهو أن أهل ذلك البيت وإن عايشوا الأنبياء وساكنوهم في البيوت إلا أن ذلك لا يقتضي عصمتهم، فهم بشر يخطئون ويصيبون، ويعتريهم ما يعتري البشر، ولذا كان تعاملهم مع المخطيء تعاملًا ملؤه الحكمة والموعظة الحسنة لعل ذلك أن يرده إلى جادة الصواب، وأهم أساليبهم في التعامل مع الأخ العاصي ما يلي:

الأسلوب الأول: النصح و البيان

إن النصيحة من حقوق الأخوة الإسلامية، وهذا الحق مكفول للمسلم قريبًا كان أو بعيدًا، ذكرًا كان أو أنثى، قال جرير بن عبد الله (بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم^(٢)، وفي رواية قال: قلت: أبايعك على الإسلام فشرط عليّ: والنصح لكل مسلم^(٣)).

وأحق الناس بمزيد نصح المخطيء الواقع في زلة أو معصية، وإذا كان هذا المخطيء قريبًا عظم حقه لما له من حق الصلة والبر، بل لا يسقط حقه ولو كان فاسقًا أو كافرًا، ولذا كان من آداب الصلة التي حضت عليها الشرائع صلة الفاسق والكافر بالعظة والتذكير والدعوة إلى الخير، واستفراغ الجهد في ذلك، فإذا رأى منهم عنادا ومكابرة واستمروا في ذلك فإن الهجران في الله سيكون نصيبهم، وعندها يكون الهجران في الله تعالى صلة لهم^(٤).

(١) فائز أحمد، دستور الأسرة في ظلال القرآن: ص(٤٠٦).

(٢) صحيح البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ (الدين النصيحة)، (٥٧)، (٢٤/١)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، (٥٦)، ص(٢٧).

(٣) صحيح البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ (الدين النصيحة)، (٥٨)، (٢٤/١).

(٤) الصاغري، أسعد محمد سعيد، بر الوالدين وصلوة الرحم، مؤسسة بدران للنشر ١٩٩٦م (٨٤-٨٥).

وفي قصة موسى مع أخيه هارون - عليهما السلام - أوضح الأمثلة على النصح للأخ والعتاب له وذلك لما عبد بنو إسرائيل العجل نهاهم نبي الله هارون عليه السلام عن ذلك أشد النهي ، وبين لهم أن هذا العجل جعله الله فتنة بينهم ، وأمرهم باتباع أمره بتوحيد الله وترك عبادة ما سواه ، ولا ينبغي أن يظن بنبي الله غير ذلك ، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿٩١﴾ [طه: ٩٠-٩١] قال ابن كثير رحمه الله : " يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا كَانَ مِنْ نَهْيِ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ ، وَإِخْبَارِهِ إِيَّاهُمْ : إِنَّمَا هَذَا فِتْنَةٌ لَكُمْ (وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ) الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ، نُورَ الْعَرْشِ الْمَجِيدِ ، الْفَعَالُ لِمَا يُرِيدُ (فَاتَّبِعُونِي) أَي: فِيمَا أَمْرُكُمْ بِهِ، وَاتْرَكُوا مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ " (١)

لما رجع موسى عليه السلام إلى قومه وقد أخبره ربه أنهم فتنوا بالعجل قام على أخيه غضبان أسفا وأخذ برأسه يجره إليه من شدة الغضب لله ؛ خوفا أن يكون قد قصر في نهيمهم عن عبادة العجل ، وفيما أمره به في قوله : ﴿ أَحْلَفُنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ [الأعراف: ١٤٢]

وهكذا أهل العلم يتهمون أنفسهم وذويهم وأتباعهم بالتقصير إذا رأوا مخالفة لأمر الله ، قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِسْمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ [الأعراف: ١٥٠] قال ابن كثير رحمه الله : " وَقَوْلُهُ (وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ) خَوْفًا أَنْ يَكُونَ قَدْ قَصَرَ فِي نَهْيِهِمْ ؛ كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى : (قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي * قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي) " (٢).

فلما علم براءة ساحته ، وأنه أمرهم ونهاهم قال : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوَتِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ [الأعراف: ١٥١]

ومما تقدم من نصح وعتاب موسى عليه السلام لأخيه بيان لما يجب بين الإخوة من درء طرق الشر بالنصيحة المقنعة، والموعظة التي تحرك القلوب، ومما يساعد على التأثير في المنصوح التدرج في بيان الحق، وهذا ما كان من موسى عليه السلام حينما اعتقد أن أخاه قصر في النصح لبني إسرائيل، فبدأ بعتاب أخيه ونصحه، لكن لما تبين له أن أخاه قد نهى بني عن عبادة العجل، دعاء لأخيه واستغفر له، وهذا مما يتوجب على الآباء أنه مع النصح والتوجيه للأبناء يجب عليهم أمر مهم لا يقل أهمية عن النصيحة الا وهو الدعاء في صلاح الابناء والأخوة والاقارب.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥/ ٣١٢) .

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٢٨) .

الأسلوب الثاني: عدم مقابلة الإساءة بمثلها

إن مما يقلل من انتشار الشر ويحد من شيعه في المجتمع الحرص على تجفيف منابعه، وذلك بإشاعة الأخلاق التي لها أثر في إزالة الضغينة والحسد من القلوب كالتسامح والعفو والتغافل، ولذا كان مما تضمنته أجمع آية في الأخلاق، الحث على التسامح والعفو **قَالَ تَعَالَى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾** [الأعراف: ١٩٩].

وقد كان أنبياء الله ورسله من أكثر الناس تخلقًا بخلق العفو، وذلك لما لهذا الخلق من أثر في الدعوة وتبليغ الخير للناس، ومن الأمثلة في القرآن الكريم قصة يوسف - عليه السلام - وإن كان ليس من أولي العزم إلا أنه يمكن الاستشهاد به، فنجده يعفو عن إخوته بعد ما كادوا له أشد الكيد وأعلاه، وذلك حين دبروا لقتله، ثم عدلوا عن ذلك إلى رميه في قاع البئر، فلما تمكن منهم وصار ملكًا قال لهم: **﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾** [يوسف: ٩٢]، ومعنى "لا تتريب" أي: "لا تعير عليكم ولا إفساد لما بيني وبينكم من الحرمة وحق الأخوة، ولكن لكم عندي الصفح والعفو"^(١). فلم يقابل إساءتهم الصادرة منهم بإساءة مثلها، بل قابلها بعفو منه على ما بدر منهم وهذا الموقف الذي كان من يوسف - عليه السلام - يدل على علو مكانة أنبياء الله ورسله في جانب الأخلاق، والتعامل مع ذوي القربى.

ومثل هذا الموقف كان من نبينا محمد ﷺ حين تمكن من قريش يقول ابن هشام: "ثم قال يا معشر قريش ما تروني أني فاعل فيكم؟ قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء"^(٢)، وفي رواية أنه قال لهم: "وقد قدرتُ فقال: أقول كما قال أخي يوسف "لا تتريب عليكم اليوم" وفي لفظ: فإنني أقول كما قال أخي يوسف: "لا تتريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين" اذهبوا فأنتم الطلقاء"^(٣)، فكان فعله تأسياً بفعل نبي من الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -، وعلى هذا فالواجب على الآباء والمربين ربط الأبناء بهذه المواقف العظيمة التي خلدها الله في كتابه؛ ليكون ذلك أدعى إلى الاقتداء والتأسي، فإن قصص الأنبياء إنما تذكر للتأسي والاقتداء بهم، والابتعاد عن محاذيرهم، والوقوف معهم، وتعزيزهم، وتأبيدهم ونصرتهم.

(١) الطبري، جامع البيان (٦٩/١٣).

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: (٣٢/٤).

(٣) الحلبي: علي بن إبراهيم بن أحمد، أبو الفرج، السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية - ١٤٢٧هـ: (٢٢٢/٢).

والتصريح بعدم مقابلة الإساءة بإساءة مثلها مما يقلل شر الحاقده ويذهب ما في قلبه من ضغينة وحسد، وهو دليل على حسن الخلق وسداد الرأي.

وبهذا كانت مقابلة الإساءة بالإحسان من أفضل الطرق في تجنب شر الآخرين، وهو لا يعني الذلة والإهانة؛ "لأن الذلة احتمال الأذى على وجه يذهب الكرامة، وأما العفو فهو إسقاط حقدك جوداً وكرماً وإحساناً مع قدرتك على الانتقام، فتؤثر الترك، رغبة في الإحسان ومكارم الأخلاق"^(١)، وهو في حق ذوي القرابة أولى لما تقرر في الشرع من الحقوق لهم ولو كانوا على معصية أو فسق، وذلك لعظيم مكانة الرحم، فقد قال ﷺ: (خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَعَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّجْمُ، فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ لَهُ: مَهْ، قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ، قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَذَلِكَ)^(٢).

هذه أهم الأساليب في التعامل بين الإخوة في بيوت الأنبياء وهي تدل على أن الواجب على المسلم أن يغلب جانب الإحسان مع ذوي القربى؛ لما في ذلك من عظيم الثواب وجزيل الأجر.

(١) الحمد، محمد بن إبراهيم، سوء الخلق: مظاهره، أسبابه، علاجه: (١١٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (و تقطعوا أرحامكم)، (٤٨٣٠)، (٢٣١/٣).

الفصل الثالث: أولو العزم من الرسل والعلاقات الاجتماعية

العامة، وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: علاقة أولي العزم من الرسل بقومهم وبالجار والضيف وفيه مطلبان :
- المطلب الأول: علاقة أولي العزم من الرسل بقومهم .
- المطلب الثاني: علاقة أولي العزم من الرسل بالجار والضيف.
- المبحث الثاني : علاقة أولي العزم من الرسل بالراعي والرعية

وفيه مطلبان

- المطلب الأول علاقة أولي العزم من الرسل بالراعي
- المطلب الثاني علاقة أولي العزم من الرسل بالرعية

المبحث الأول

علاقة أولي العزم من الرسل بقومهم وبالجار والضيف

وفيه مطلبان :

- المطلب الأول: علاقة أولي العزم من الرسل بقومهم .
- المطلب الثاني: علاقة أولي العزم من الرسل بالجار والضيف.

المطلب الأول : علاقة أولى العزم من الرسل بقومهم

القوم: الجماعة من الرجال، والجمع أقوام وتطلق على الجماعة من الناس عموماً، وقوم النبي من بعث فيهم، وقوم الرجل أقرباؤه يجمعه معهم جد واحد.

قال ابن الأثير: القوم في الأصل مصدر قام، ثم غلب على الرجال دون النساء، وسموا بذلك لأنهم قوامون على النساء بالأمر التي ليس للنساء أن يقمن بها.

وعند الجوهري: القوم: الرجال دون النساء لا واحد له من لفظه، قال: وربما دخل النساء فيه على سبيل التبعية لأن قوم كل نبي رجال ونساء، والقوم يذكر ويؤنث.^(١)

سمي القوم لقيامهم بالعظائم والمهمات، قال الخليل: وسموا بذلك لأنهم قوامون على النساء بالأمر التي ليست للنساء أن يقمن بها؛ وسميت النساء نساءً لتأخرهن عن منازل الرجال؛ من نساته: أخرته، أو نسيته: تركته وقيل القوم في الأصل مصدر قام، فوصف به، ثم غلب على الرجال لقيامهم بأمر النساء، وهي صفة غالبية اه.^(٢)

وقال القرطبي: القوم؛ يحمل ذلك على الرجال خاصة من العصابة دون النساء. والقوم يشمل الرجال والنساء؛ وإن كان الشاعر قد قال:

وما أدري وسوف إخال أدري ... أقوم آل حصن أم نساء

ولكنه أراد أن الرجل إذا دعا قومه للنصرة عنى الرجال، وإذا دعاهم للحرمة دخل فيهم الرجال والنساء؛ فتعممه الصفة وتخصصه القرينة.^(٣)

وقال الألويسي: والقوم جماعة الرجال ولذلك قال سبحانه: وَلَا نِسَاءً أَيْ وَلَا يَسْخِرُ نِسَاءً مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ مِنْ نِسَاءٍ مِنْهُنَّ "عسى أن يكُنَّ" أي المسخورات "خَيْرًا مِنْهُنَّ" أي: من الساخرات، وعلى هذا جاء قول زهير:

وما أدري وسوف إخال أدري ... أقوم آل حصن أم نساء

(١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفيقي المصري، لسان العرب، طبعة دار صادر، بيروت، دار الفكر. حرف القاف مادة قوم (٥٠٥/١٢).

(٢) ينظر: الأصبهاني محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد المدني، المغيث في غريب القرآن والحديث دار الكتب العلمية - بيروت، سنة النشر ٢٠١٠م، (٣٤٠/٢).

(٣) القرطبي الجامع لأحكام القرآن: (٨٢/١٦).

وهو إما مصدر كما في قول بعض العرب: إذا أكلت طعاماً أحببت نومًا وأبغضت قومًا أي قياماً، نعت به فشاخ في جماعة الرجال، وإما اسم جمع لقائم كصوم لصائم وزور لزائر، وأطلق عليه بعضهم الجمع مريدًا به المعنى اللغوي، وإلا ففعل ليس من أبنية الجموع لغلبته في المفردات، ووجه الاختصاص بالرجال أن القيام بالأمر وظيفتهم كما قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٤]، وقد يراد به الرجال والنساء تغليباً كما قيل في قوم عاد وقوم فرعون أن المراد بهم الذكور والإناث وقيل: المراد بهم الذكور أيضاً، ودل عليهن بالالتزام العادي لعدم الانفكاك عادة^(١).

إذا تأملت الأقوال السابقة تجد أن العلماء وإن كانوا قد اختلفوا في دخول النساء في لفظ قوم من الناحية اللغوية فإنهم أجمعوا أنهن داخلات في الخطاب تبعاً أو تغليباً أو لعدم الانفكاك أو مجازاً، وتخرج النساء فقط إذا كان الخطاب في الأمور التي تخص الرجال دونهن كالجهاد وإعفاء الحية والقضاء والقومة وغيرها، ومن أهم الأساليب التي تخلق بها أولو العزم من الرسل عليهم السلام مع أقوامهم ما يأتي:

أولاً : الحرص على هدايتهم إلى الحق

لم يُسدِّ قريب لقرابه خيراً من هدايته إلى الحق، بأن يدعوهم إلى الإيمان بالله تعالى والدخول في الإسلام إن لم يكن من أهله، أو بدعوته إلى الثبات على الإيمان بالله وملازمة الطاعات، والبعد عن الشرك وذرائعه وترك المعاصي وعدم القرب منها إن كان من أهل الإسلام.

ولذلك مدح الله نبيه إسماعيل بأمر أهله بالصلاة والزكاة، فقال: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۗ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۝﴾ [مريم: ٥٤]. [٥٥] ولما بعث الله نبيه محمداً - ﷺ - إلى الناس أجمعين أمره سبحانه في الدعوة و النذارة بقومه وبعشيرته الأقربين، قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله: "عشيرة الرجل هم بنو أبيه الأذنون، وأوقيلته، لأنهم أحق الناس ببرك وإحسانك الديني والدنيوي ..."^(٢)

(١) الألويسي، روح المعاني: (٣٠٤/١٣).

(٢) التميمي، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر الطبعة السابعة، ١٣٧٧هـ-١٩٥٧م، (١/١٨٩).

فلما نزلت هذه الآية نهض رسول الله لدعوة أقاربه وتبشيرهم بما جاء به من عند الله من التوحيد ونبذ عبادة الأصنام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ - حين أنزل الله عز وجل ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قال: (يا معشر قريش (أو كلمة نحوها)، اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سليمان ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئاً).^(١)

هكذا عم ثم خص في دعوة أقاربه، ولم يترك منهم أحداً، امتثالاً لأمر ربه سبحانه وحرصاً على هدايتهم إلى الحق الذي لا نجاة في الدنيا ولا في الآخرة إلا بقبوله.

قال الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله -: "وأوضح لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصلة بينه وبينهم، وأن عصبية القرابة التي يقوم عليها العرب ذابت في حرارة هذا الإنذار الآتي من عند الله"^(٢).

قال القرطبي في التفسير عند قول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١]، الرحم اسم لكافة الأقارب من غير فرق بين المحرم وغيره.^(٣)

ووجه تخصيص عشيرته الأقربين بالذكر مع عموم رسالته ﷺ: "دفع توهم المحاباة، وأن الاهتمام بشأنهم أهم، وأن البداءة تكون بمن يلي ثم من بعده"^(٤) أي أن هذه الآية الكريمة، لا تتعارض مع عموم رسالته ﷺ للناس جميعاً، لأن المقصود بها: "البدء بإنذار عشيرته الأقربين، ليكونوا أسوة لغيرهم"^(٥).

ثانياً: الثناء على الأهل والقرابة والعشيرة، ومعرفة حقهم وقدرهم

فقد كان النبي - ﷺ - يثني على قرابته، ويعرف لهم حقهم وقدره، ففي الحديث أن العباس جاء إلى رسول الله - ﷺ - فكأنه سمع شيئاً؛ فقام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر، فقال: (من أنا؟). فقالوا: أنت رسول الله عليك السلام، قال: (أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق، فجعلني في خيرهم فرقةً، ثم جعلهم فرقتين، فجعلني في خيرهم فرقةً، ثم جعلهم قبائل، فجعلني في خيرهم قبيلةً، ثم

(١) صحيح البخاري، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب، (٤٧٧١)، (١٠١٢/٣).

(٢) الغزالي، فقه السيرة: (١٠٤).

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: (٧/٥).

(٤) الألويسي، روح المعاني: (١٠، ١٣٢).

(٥) طنطاوي محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة الأولى، (٢٨٧/١٠).

جعلهم بُيُوتًا، فجعلني في خيرهم بيتًا، وخيرهم نسبًا^(١)، (وكأنه سمع شيئًا) أي: من الطعن في نسبه، أوحسبه، والمعنى: جاء العباس غضبان بسبب ما سمع، طعنًا من الكفار في رسول الله ﷺ وهذا من تمام الثناء على قرابته - ﷺ^(٢).

وعن سعد بن أبي وقاص قال قال رسول الله ﷺ للعباس: (هذا العباس بن عبدالمطلب أجود فريش كفا وأوصلها)^(٣).

ثالثًا: الرحمة:

مفهوم الرحمة قال الراغب^(٤): "الرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة"^(٥).

قال ابن عاشور: "هي رقة في النفس، تبعث على سوق الخير لمن تتعدى إليه"^(٦).

وهي رقة في القلب، يلامسها الألم حينما تترك الحواس أو تترك بالحواس أو يتصور الفكر وجود الألم عند شخص آخر، أو يلامسها السرور حينما تترك الحواس، أو تترك بالحواس، أو يتصور الفكر وجود المسرة عند شخص آخر"^(٧).

وخلق الرحمة من أعظم الأخلاق التي كان لها الأثر العظيم في قلوب الناس، وقد اهتم أولو العزم من الرسل - عليهم السلام - بهذا الخلق وجعلوه منهجًا يقتدى به في حياتهم، فنجد أن الله سبحانه قد امتدح نبينا - ﷺ - بكمال شفقتة ورحمته بأتمته فقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا

(١) سنن الترمذي ، باب فضل النبي ﷺ [٣٦٠٨]، (٨/٦) وقال حديث حسن، وصححه الألباني في صحيح الجامع: [١٤٧٢].

(٢) المنجد محمد صالح، كيف عاملهم، مجموعة زاد للنشر، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ، ص(١٦٠).

(٣) مسند أحمد ، مسند أبي اسحاق سعد بن أبي وقاص، (١٦١٠)، (١٦١/٣). قال الأرنؤوط إسناده حسن، رجاله ثقات رجال الصحيح غير محمد بن طلحة الثيمي - وهو محمد بن طلحة بن عبد الرحمن بن عبد الله، المعروف بابن الطويل - فمن رجال ابن ماجه والنسائي، وهو صدوق، وعلي بن عبد الله: هو ابن المدني.

(٤) الراغب الأصفهاني هو: الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني أو (الأصبهاني)، المعروف بالراغب، أديب، من الحكماء العلماء، من أهل أصبهان، سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرب بالإمام الغزالي، من كتبه: (محاضرات الأدباء)، و(الذريعة إلى مكارم الشريعة)، و(الأخلاق). انظر: الأعلام: (٢/٢٥٥).

(٥) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق وضبط: محمد خليل عيتاني - الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، دار المعرفة، بيروت (١/٣٤٧).

(٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير: (٢٦/٢١).

(٧) الميداني عبد الرحمن، الأخلاق الإسلامية وأسسها: (٣/٢).

عَنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿التوبة: ١٢٨﴾، وقال تعالى في موضع آخر ما يؤكد هذا المعنى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

عن عائشة رضي الله عنها - زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: (هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يوم أحد؟) قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشدَّ ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت. وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت، فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال فسلم عليّ، ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً) (١).

قال ابن حجر: (وفي هذا الحديث بيان شفقة النبي صلى الله عليه وسلم على قومه، ومزيد صبره وحلمه، وهو موافق لقوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ صَبْرًا﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] (٢).

وقال تعالى: «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ»: أيها الناس هذا الرسول منكم فكل ما يحصل له من العز والشرف في الدنيا عائد إليكم، إنه محمد - ﷺ - أكثركم طاعة لله، أشرفكم نسباً، أفضلكم خلقاً (٣) قوله تعالى: (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) من عظيم رحمته وشفقته وعطفه بأمته أنه - ﷺ - يعز عليه مشقتكم، ويشق عليه ضرركم، بل ويخاف على المؤمنين من دخول النار، فهو ﷺ لا يهمله إلا شأنكم، وهو القائم بالشفاعة لكم فلا تهتموا بما عنتم ما دتم قائمين على سنته، متبعين هديه، فإنه - صلى الله عليه وسلم - لا يرضيه إلا دخولكم جنة ربكم. (٤)

(١) البخاري، باب إذا قال أحدكم آمين (٣٢٣١/٤) (١١٥)، ومسلم، باب ما لقي النبي ﷺ (١٧٩٥) (٣/٤٢٠).

(٢) ابن حجر، فتح الباري (٣١٦/٦).

(٣) ينظر: المارودي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، النكت والعيون: تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم دار الكتب العلمية - بيروت، (٤١٧/٢).

(٤) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: (٣٠٢/٨).

وقوله تعالى: «حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ» فمن كمال حرصه ﷺ وحبه لأمته ورقة قلبه عليهم أن علم الناس أجمعين أركان الإسلام وشرائعه وفرائضه ونوافله، فكان بالناس رؤوفًا رحيماً، وعلى تعليمهم حريصاً أميناً^(١).

فهو الذي أرشدهم إلى أفضل الأعمال، وهداهم إلى أحسن الأخلاق، وألزمهم ما فيه النجاة في الآخرة، والأجر والثواب في الدنيا^(٢).

فهو حريص على هداية الناس أجمعين ووصول النفع والخير الدنيوي والآخروي إليهم، حريص على ضالهم أن يهديه الله، حريص على من لم يسلم أن يسلم، فتعظم رغبته في أن تؤمن أمته كلها وتدخل جنة ربها^(٣).

وكل هذه الرحمة والعطف والشفقة والرأفة المتناهية في الإحسان عنده - ﷺ - إلا أنه أشد الناس غضبا إذا انتهكت محارم الله وطعن في دينه.

وقد كان لهذا الخلق الجليل أثر كبير في هداية الناس وتربيتهم وإرشادهم إلى الخير والصواب.

ونجد الرحمة في قصة نبي الله إبراهيم - عليه السلام - فقد كان رحيماً بالناس، وكان يجادل عن قوم لوط، حتى لا يأتيهم العذاب، وذلك لغلبة الشفقة عليه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾ [هود: ٧٤-٧٦].

قال ابن عجيبة: "ظاهر قوله تعالى: يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ أَنَّ مجادلته كانت عن قومه فقط، لغلبة الشفقة عليه، كما هو شأنه، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ حتى قال له تعالى: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ لَمَّا تَحَتَّمْ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ"^(٤).

(١) ينظر: ابن الوزير، محمد بن إبراهيم، الرُّوضُ الباسمُ في الدِّبِّ عَنْ سُنَّةِ أَبِي الْقَاسِمِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تقديم: فضيلة الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد اعتنى به: علي بن محمد العمران، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، (٥/١).

(٢) ينظر: ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير (المتوفى: ٨٤٠هـ)، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، حققه وضبط نصه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، (١٧٤-١٠٧/١).

(٣) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن: (٩٨/١٢).

(٤) نظر البحر المديد لابن عجيبة (٤/٣٠٠-٣٠١).

وقال أيضًا: "والحاصل أن إبراهيم -عليه السلام- حملته الشفقة والرّحمة، حتى صدر، منه ما صدر مع خلّته واصطفائيته، فالشفقة والرّحمة من شأن الصّالحين والعارفين المقربّين، غير أن العارفين بالله سمع مراد مولاهم - يُشْفِقُونَ على عباد الله، ما لم يتعيّن مراد الله، فالله أرحم بعباده من غيره. ولذلك قال لخليله، لَمَّا تَعَيَّنَ قِضَاؤُهُ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَن هَذَا"^(١).

فالرحمة صفة ملأت قلوب أنبياء الله، فساروا في الأرض مبشرين ومنذرين، لا معذبين ومحاكمين، أعانهم في ذلك نبضات الرأفة للناس كافة، ونبضات الرحمة لمن يخصونهم، فعلى المسلم أن يتحلى بهاتين الصفتين الحميدتين لأن أرقهما جميل ولو بعد حين.

ثانيًا: الصدق:

الصدق، بالكسر والفتح، وهو بالفتح مصدر نحو (صدق في الحديث)، وبالكسر اسم نحو (رجل صدق، صديق صدق، امرأة صدق) ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صِدْقٍ﴾ [يونس: ٩٣]، وهو ضد الكذب.^(٢)

والصدق: مطابقة الحكم للواقع، ومطابقة القول الضمير، وهو الإبانة عما يخبر به على ما كان^(٣). "وسمي الصدق بذلك لقوته في نفسه ولأن الكذب لا قوة له وهو باطل"^(٤). والصدق اصطلاحًا: هو قول الحق في جميع المواطن^(٥).

وهو مطابقة الخبر الواقع، هذا في الأصل ويكون في الإخبار فهو إخبار عن المخبر به ما هو عليه مع العلم بأنه ليس كذلك، فإذا أخبرت بشيء وكان خبرك مطابقًا للواقع قيل: إنه صدق، وإن كان غير مطابق للواقع فهو كذب^(٦).

قال ابن عثيمين: "وكما يكون الصدق في الأقوال فهو في الأفعال وهو أن يكون الإنسان باطنه موافقًا لظاهره بحيث إذا عمل عملاً يكون موافقًا لما في قلبه"^(٧).

(١) ابن عجيبة، البحر المديد (٥٤٤/٢).

(٢) ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، فصل الصاد: (٩٠٠/١).

(٣) ينظر: الجرجاني، التعريفات: (١٣٢/١)، الراغب، المفردات في غريب القرآن: (٤٨٠/١).

(٤) مقاييس اللغة، (٣٣٩/٣).

(٥) ينظر: ابن باديس، عبد الحميد محمد تفسير ابن باديس، (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)، علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين. دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ - (٢٩١).

(٦) ينظر: العثيمين، محمد صالح، شرح رياض الصالحين، (١/٥٩).

(٧) العثيمين، شرح رياض الصالحين، (١/٥٩).

ومن صور الصدق عند أولى العزم من الرسل قوله تعالى حاكياً عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (٤١) [مريم: ٤١]، فقد جاءت هذه الآية الكريمة في معرض المدح لأنبياء الله تعالى في سورة مريم بعد ذكر الذين ضلوا طريق الهداية حينما نسب فريق الألوهية إلى الجماد، وفريق آخر نسبها إلى الحي، والفريقان وإن اشتركا في الضلال إلا أن الفريق الثاني أضل.

أي أن المراد أنذرهم ذلك واتل على الناس قصة إبراهيم، فإنهم ينتمون إليه فعساهم بسماع قصته وصدقه في دعوته إلى خالقه يتوبون إلى الله، ويقلعون عن هذه الذنوب^(١).

وفي هذه الآية "أمر للحبيب أن يذكر الخليل وما من الله تعالى به عليه من أحكام الخلّة ليستثير المستعدين إلى التحلي بما أمكن لهم منها"^(٢).

فالصدق باب كبير من أبواب القلوب؛ لأنه يمهد طريقاً طيباً مريحاً بين الطرفين، فالصادق طرف محبوب مؤتمن عليه، ولأن هدف الداعية هو صيد القلوب وهدايتها؛ فعليه بالصدق قولاً وعملاً، الصدق في كل نية وفي كل خطوة كي يجد كل القلوب له مرحبة.

خامساً: الصبر

الصبر في اللغة: الحبس، يقال: صبرت نفسي على ذلك الأمر، أي: حبستها، ويقال: صبر الرجل يصبر صبراً فهو صابر وصبير وصبور، إذا حبس نفسه عن الجزع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨]، وهذا المعنى اللغوي^(٣).

وفي الاصطلاح: هو حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عما يقتضيان حبسها عنه^(٤).

أوهو حبس النفس على ما تكره ابتغاء مرضاة الله، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد: ٢٢]. وهذا المعنى هو الذي عناه القرآن الكريم عند حديثه المستفيض عن الصبر.

فلقد تحدث كثيراً عن الصبر أمراً به وحاثاً عليه، وتنوياً به وبأهله، وتبييناً لأجره العاجل والآجل في نحو من ست و مائة مرة^(٥)، وهو العدد الذي يجعل هذا الخلق في مقدمة الأخلاق القرآنية ذات السلوك

(١) ينظر: الألويسي، روح المعاني: (٤١٣/٨ - ٤١٤).

(٢) الألويسي، روح المعاني: (٤٥٩/٨).

(٣) ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة باب الصاد والباء وما يثلثهما: (٣٢٩/٣).

(٤) الراغب، مفردات القرآن: (٤٧٤).

(٥) ينظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، الناشر: دار الكتب المصرية، سنة النشر: ١٣٦٤هـ، ص(٣٩٩-٤٠١).

الذاتي، مما يدل على أن للصبر مكانة عظيمة في الدين، وهي المكانة التي فهمها السلف الصالح حتى قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: (الصبر نصف الإيمان)^(١)، يعني أن أكثر أخلاق الإيمان لا تتم إلا بالصبر؛ لأنها تحتاج إلى مجاهدة؛ حتى تصبح أخلاقاً عملية للمؤمن، وهي لا تتم إلا بالصبر، ناهيك عما له من ضرورة دنيوية ودينية، فلا نجاح في الدنيا ولا فلاح في الآخرة إلا بالصبر.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: «وترجع عناية القرآن البالغة بالصبر إلى ما له قيمة كبيرة دينية وخلقية، فليس هو من الفضائل الثانوية أو المكملة، بل هو ضرورة لازمة؛ للإنسان ليرقى مادياً ومعنوياً ويسعد فردياً واجتماعياً، فلا ينتصر دين ولا تنهض دنيا إلا بالصبر، قال: فالصبر ضرورة دنيوية كما هو ضرورة دينية، فلا نجاح في الدنيا ولا فلاح في الآخرة إلا بالصبر»^(٢).

وقد حفل القرآن الكريم بنماذج وصور جميلة ومؤثرة من صبر أنبياء الله تعالى على أصحابهم، وحلمهم عليهم، وتسامحهم معهم، وحسن خلقهم وتعاملهم.

فمن صور أدب الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - في دعوتهم للموافقين في الصبر والصفح عن المقصرين والتجاوز عن الأخطاء التي يرتكبونها، ما كان يحصل بين موسى - عليه السلام - وقومه بني إسرائيل من شد وجذب وحوارات ومجادلات، كان مردها جهل بني إسرائيل وعنادهم واستكبارهم وسوء أدبهم مع أنبيائهم.

ومن هذه المشاهد: صبر نبي الله موسى عليه السلام على احتجاج قومه على تناولهم طعاماً واحداً - المن والسلوى -، وتذمرهم من تلك النعمة التي أنعم الله بها عليهم، وأفردهم بما دون غيرهم من العالمين.

يقول تعالى حكاية عن هذه القصة ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ [البقرة: ٦١].

في هذه الآيات يبين الله - سبحانه - أن بني إسرائيل لم يقبلوا الاستمرار بأكل المن والسلوى، وطالبوا موسى عليه السلام بتغيير ذلك الطعام والإتيان بأصناف الطعام المختلفة التي ألفوها واعتادوا عليها في مصر، في دلالة على تذمر وعناد واستكبار وعدم قناعة.

يقول سيد قطب - رحمه الله - معلقاً على هذا الطلب:

(١) ينظر: الهيتمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م (٦٢/١). وقال: «رجاله رجال الصحيح»، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٩٧١٦، ٩٧١٧).

(٢) القرضاوي، يوسف، الصبر في القرآن الكريم، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت. (١٤).

"لقد كانوا بين الصحراء بجذبها وصخورها، والسماء بشواظها ورجومها، فأما الحجر فقد أنبع الله لهم منه الماء، وأما السماء فأنزل لهم منها المن والسلوى: عسلاً وطيرًا، ولكن البنية النفسية المفككة، والجملة الهابطة المتداعية، أبت على القوم أن يرتفعوا إلى مستوى الغاية التي من أجلها أخرجوا من مصر، ومن أجلها ضربوا في الصحراء، لقد أخرجهم الله على يدي نبيهم موسى -عليه السلام- من الذل والهوان ليورثهم الأرض المقدسة، وليرفعهم من المهانة والضعفة، وللحرية ثمن، وللعزة تكاليف، وللأمانة الكبرى التي ناطهم الله بها فدية، ولكنهم لا يريدون أن يؤدوا الثمن، ولا يريدون أن ينهضوا بالتكاليف، ولا يريدون أن يدفعوا الفدية، حتى بأن يتركوا مألوف حياتهم الرتيبة الهينة، وأن يغيروا مألوف طعامهم وشرابهم، وأن يكتفوا أنفسهم بظروف حياتهم الجديدة، في طريقهم إلى العزة والحرية والكرامة، إنهم يريدون الأطعمة المتنوعة التي ألفوها في مصر، يريدون العدس والثوم والبصل والقثاء ... وما إليها!"^(١).

لقد كان بنو إسرائيل دائمي التمرد على موسى عليه السلام ومخالفته وإيذائه وإعلان عصيانه، وموقفهم هنا أكبر دليل، وأوضح برهان على هذا الخلق وذلك الطبع، ولاحظ قولهم: (لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ) والتعبير بحرف (لَنْ) الذي يدل على النفي، واستغراقه لجميع الأوقات.

وقولهم له: (عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ) يدل على كراهيتهم للمن والسلوى، وضجرهم منه وإعلان صريح لرفضهم له.

وعبروا عن المن والسلوى بالطعام الواحد مع أنهما صنفان من أصناف الطعام؛ لأنهم رأوهما طعامًا واحدًا يقدم لهم كل يوم بصورة مكررة، "ووصفوا الطعام بالواحد مع أنه نوعان -المن والسلوى-؛ لأنهما طعام كل يوم، والعرب تقول لمن يأكل كل يوم عدة ألوان لا تتغير إنه يأكل من طعام واحد"^(٢).

يقول ابن عاشور: « في صيغة طلبهم من الجفاء وقلة الأدب مع الرسول ومع المنعم إذ قالوا : (لَنْ نَصْبِرَ) فعبروا عن تناول المن والسلوى بالصبر المستلزم الكراهية، وأتوا بما دل عليه (لَنْ) في حكاية كلامهم من أنهم لا يتناولون المن والسلوى من الآن، فإن (لن) تدل على استغراق النفي لأزمة فعل (نَصْبِرَ) من أولها إلى آخرها، وهو معنى التأبيد، وفي ذلك إلقاء لموسى أن يبادر بالسؤال، يظنون أنهم أياسوه من قبول المن والسلوى، بعد ذلك الحين، فكان جواب الله لهم في هذه الطلبة أن قطع عنايته بهم،

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن: (٧٤/١).

(٢) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار: (٣٣٠/١).

وأهملهم، ووكلمهم إلى نفوسهم، ولم يرهم ما عودهم من إنزال الطعام، وتقجير العيون بعد فلق البحر وتظليل الغمام، بل قال لهم: (أَهْبِطُوا مَصْرًا)، فأمرهم بالسعي لأنفسهم، وكفى بذلك تأديبًا وتوبيخًا^(١).
ومن صبر الأنبياء على أتباعهم من أقوامهم ما نكره الله تعالى عن نبينا - محمد ﷺ - من استغفاره للمنافقين، وصلاته عليهم في دلالة على صبره وحلمه عليهم، وصفحه عنهم، على الرغم من ما جاءه منهم من الإيذاء والتكذيب والنفاق.

يقول تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة: ٨٤]، فقد ذكر الواحدي في أسباب نزول هذه الآية بسنده عن ابن عمر قال: لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه إلى رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - وقال: أعطني قميصك حتى أكفنه فيه، وصل عليه واستغفر له، فأعطاه قميصه ثم قال: «آذني حتى أصلي عليه، فأذنه، فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر بن الخطاب وقال: أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين؟ فقال: أنا بين خيرتين - أستغفر لهم أو لا أستغفر - ثم نزلت عليه هذه الآية: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة: ٨٤] فترك الصلاة عليهم^(٢).

إن هذا الصبر منه - عليه الصلاة والسلام - وهذا الحلم، وهذا الصفا لا ينقضيه منه العجب، أقصد بصبره وحلمه عن المنافقين الذين كانوا يساكنونه المدنية، وقد تركوا كل آداب الإسلام والمروءة، وذهبوا يسلكون مع النبي - ﷺ - سلوك المراوغ الخائن لله ولرسوله وللمؤمنين، وكان رسول الله يعلم ذلك منهم بإعلام الله تعالى له ومع ذلك فقد صبر عليهم، وحلم عنهم وعفا، مع ما كان يؤذن له على سبيل التخيير في تأديبهم والتشديد عليهم، وما يكشفه الله تعالى من مؤامراتهم وخياناتهم في آيات كثيرة وسور خاصة.

وهنا تتجلى غاية حلمه وصفحه وصبره عليه الصلاة والسلام وكمال عفوه عليهم، إذ كلما أذن له في تأديبهم والتشديد عليهم فتح لهم بابًا من الرحمة، فكان يستغفر لهم ويدعو لهم، بل وصلى عليهم كما فعل مع رئيس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول سالف الذكر حتى أنزل الله عليه ﴿أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٥٢١/١)

(٢) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، أسباب نزول القرآن، المحقق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ (٢٩١).

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ [التوبة: ٨٠]، إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة: ٨٠ - ٨٤]

وهذا الخلق -الحلم والصفح- الذي يدل عليه اللين وعدم الفظاظة والغلظة؛ لأن كونه - ﷺ - لا يستعمل الغلظة والفظاظة مع الناس بل الرحمة والصبر والعمو والعطف، ذلك هو عين الحلم الذي تدل عليه مادته، وهو ما دلت عليه الشواهد الكثيرة من أحواله - ﷺ - ومع ما كان - عليه الصلاة والسلام - من هذا الخلق العظيم الذي دلت عليه الآية السابقة مقررة له فيه وممتنة به عليه، فإنه سبحانه وتعالى لم يزل يحثه على التحلي بكماله والاستمرار على منواله في كل أحواله وأقواله، فقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩]، فإن هذه الآية تخاطب النبي - ﷺ - بالتحلي بمكارم الأخلاق، والاستمرار عليها، والثبات عليها.

وتأمل كيف يكون امتثال النبي ﷺ مع ما هو عليه بالفعل، وفي ذلك دلالة على كمال عظمة تحليه بخلق الصبر والعمو والحلم؛ لأنه أكمل الخلق امتثالاً لأوامر ربه، وأعظمهم زكاء في خلقه معه -سبحانه- ومع أمته، فيترقى في ذلك كمال فوق كمال، وعظمة فوق عظمة، وهو ما دلت عليه شواهد أحواله - ﷺ - في كل أطوار ومراحل حياته، حيث صبر وحلم على أعدائه وغفا عنهم، وحلم على أصحابه وأهله وذويه في صور يفقد عندها حلم كل حلیم؛ "لأن كل حلیم قد عرفت منه زلة، وحفظت عنه هفوة، وهو ﷺ لا يزيد مع كثرة الأذى إلا صبراً، وعلى إسراف الجاهل لإحلاماً"^(١).

قال الماوردي^(٢): "ولله تعالى في وصف صبره وحلمه - ﷺ - : «فكان أحلم في النفار^(٣) من كل حلیم، وأسلم في الخصام من كل سليم، وقد مني بجفوة الأعراب فلم توجد منه نادرة، ولم يحفظوا عليه بادرة، ولا حلیم غيره إلا ذو عثرة، ولا وقور سواه إلا ذو هفوة، فإن الله تعالى عصمه من نزعات الهوى وطيش القدر بهفوة أو عثرة؛ ليكون بأتمته رؤوفاً، وعلى الخلق عطوفاً، قد تناولته قريش بكل كبيرة، وقصدته بكل جريرة، وهو صبور عليهم ومعرض عنهم، وما تقرد بذلك سفهاؤهم دون حلمائهم، ولا أراذلهم

(١) القاضي عياض بن موسى بن عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، الناشر: دار الفحاء - عمان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ، (١/٢٢٠).

(٢) هو: الإمام علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن، الماوردي، أقضي قضاة عصره، له تصانيف كثيرة، منها: (الحاوي)، و(أدب الدنيا والدين)، و(الأحكام السلطانية)، و(أعلام النبوة)، توفي سنة (٤٥٠هـ). انظر: الأعلام (٤/٢٨٨).

(٣) نفار الشيء عن الشيء وتجافيه عنه (معجم مقاييس اللغة ٥/٤٥٩).

دون عظمائهم، بل تمالأ عليه الجلة والدون، فكما كانوا عليه من الأمر أشد وألح؛ أعرض وأصفح، حتى قهر فعفا، وقدر فغفر»^(١).

لهذا فقد كان صبره وحلمه قائماً على اتخاذ منهج اتخذه لنفسه، وهو إسقاط حق نفسه عن المؤاخذة، مهما كانت الإساءة، ولا يقوم إلا لحق الله تعالى، وهكذا هم الأنبياء جميعهم، على هذا الخلق والمنوال، فصلاة ربي وسلامه عليهم ما صبح بدا، وما ليل سجي، وسلم تسليماً سرمدياً أبداً.

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة الطبعة الرابعة، (١/٤٤١).

المطلب الثاني: علاقة أولي العزم من الرسل بالضيف والجار

أولاً: علاقة أولي العزم من الرسل بالضيف

تعدّ الضيافة من الأخلاق الرفيعة، والعادات الحسنة، التي يتسابق إليها الكرماء من الناس، وهي خلق الأنبياء، وشيم الصالحين، وقد روي أن إبراهيم - عليه السلام - هو أول من أضاف الضيف، فعن يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول كان إبراهيم النبي - ﷺ - أول الناس أضاف الضيف...^(١) وذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ ابْنِي يَدْعُوكَ لِجِزْيِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القصص: ٢٥] عن شعيب عليه السلام أنه أكرم موسى - عليه السلام - حين قدم إليه، وكان مما قال له: و اجلس يا شاب فتعش، فقال له موسى عليه السلام: أعوذ بالله، فقال له شعيب: لم؟ أما أنت جائع؟ قال: بلى، ولكن أخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيت لهما، وأنا من أهل بيت لا نبيع شيئاً من ديننا بملئ الأرض ذهباً، فقال له شعيب - عليه السلام -: لا يا شاب، ولكنها عادتي، وعادة آبائي نقري^(٢) الضيف، ونطعم الطعام، فجلس موسى - عليه السلام - فأكل،^(٣)

وقد حرص الناس على هذه العادة منذ القدم، فتغنى بها الشعراء والأدباء، ومدحوها باعتبارها من الأخلاق الرفيعة، و الشيم النبيلة، والصفات الخيرة قال حاتم الطائي:

وإني لعبد الضيف ما دام ثاوياً وما فيّ الا تلك من شيمة العبد

والم تأمل في قصص حياة أولي العزم من الرسل عليهم السلام يجد أنهم قد ضربوا لنا أروع الأمثلة في

الضيافة، وقد تنوعت أساليبهم مع الضيف، ومن تلك الأساليب ما يلي:

(١) البيهقي، أبو بكر، شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية بومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، فصل في كراهية نتف الشيب، (٣٨٧/٨)، مشكاة المصابيح بتخريج الألباني، (١١٧٢/٢)، رقم: (٤٤٨٨)، وقال الألباني: لم تتم دراسته. وتكملة النص... وأول الناس اختن، وأول الناس قص شاربه، وأول الناس رأي الشيب، فقال: يا رب، ما هذا؟ فقال الله: وقار يا إبراهيم، فقال: رب زدني وقاراً». وهناك رواية أخرى لهذا النص ذكرها الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، (٣٥١/٢)، رقم: (٧٢٥)، ونصها: " كان أول من أضاف الضيف إبراهيم، وهو أول من اختن على رأس ثمانين سنة واختن بالقدم". قال الألباني تعليقا عليه: "قلت: سنده حسن".

(٢) نقري الضيف: نحسن إليه ونقدم له القرى أي الطعام، من قرى الضيف بقره قرى بالكسر، وقرأ بالفتح والمد: إذا أحسن إليه، والقرى أيضا ما قرى به الضيف. الرازي، محمد، مختار الصحاح، ص(٢٢١)، مادة (قري).

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: (٣٣٩/١)، و (٢٧١/١٣).

أولاً: إكرام الضيف

ورد في القرآن الكريم ما يدل على فضل الضيافة وإكرام الضيف والحفاوة به ومن ذلك - قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بَعْدَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧]، ووجه الدلالة من هذه الآية أنها تشير إلى البر المعتمد في ميزان الله تعالى، ومنه مراعاة ابن السبيل، ومن العلماء من فسر لفظ ابن السبيل، الوارد هنا بأنه الضيف^(١).

وقوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨]، قال مجاهد: هو الرجل ينزل بالرجل، فلا يحسن ضيافته، فيخرج من عنده فيقول: أساء ضيافتي، ولم يحسن، وعنه أيضاً أنه قال: هو الرجل ينزل بالرجل، فلا يحسن إليه، فقد رخص الله له أن يقول فيه^(٢).

قال تعالى: ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [المزمل: ٢٠] قال ابن عباس - رضي الله عنه - "يريد سوى الزكاة في صلة الرحم وقرى الضيف"^(٣)

وأول من ضيف الضيف إبراهيم عليه السلام، كما جاء ذلك في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤] فوصفهم بأنهم أكرموا. وقصته عليه السلام لما قدم لهم عبلاً حنيذاً نزلًا وضيافةً معروفة.

وجاء في بعض الإسرائيليات قصة فيها عبرة: كان إبراهيم عليه السلام لا يأكل وحده، فإذا حضر طعامه أرسل يطلب من يأكل معه، فلقي يوماً رجلاً فلما جلس معه على الطعام قال له إبراهيم: سم الله، قال له الرجل: لا أدري ما الله!! قال له: اخرج عن طعامي، فلما خرج الرجل نزل إليه جبريل فقال له: يقول الله عز وجل: إنه يرزقه على كفه مدى عمره، وأنت بخلت عليه بلقمة، فخرج إبراهيم مسرعاً فرده فقال: ارجع، فقال: لا أرجع، تخرجني ثم تردني لغير معنى، فأخبره بالأمر فقال: هذا رب كريم آمنت، ثم

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: (٢/٢٤١).

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان: (٦/٢).

(٣) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٢٢ هـ (٨/٣٩٦).

دخل عند إبراهيم وسمى الله وأكل بعدما آمن، وستأتي قصة إبراهيم الخليل عليه السلام والعبر التي فيها والآداب المنطوية عليها بالنسبة للضيافة في قصته مع الملائكة^(١).

ومما تقدم يتبين لنا أهمية إكرام الضيف، وأنه خلق عظيم تحلى به الانبياء عليه السلام، وحث عليه القرآن الكريم والسنة النبوية، وهو خلق تفاخر به العرب قبل الاسلام وأقرته الشريعة الإسلامية، ومما يندى له الجبين في هذا الزمن أن بعض المسلمين هادنا الله وإياهم قد قصروا في هذا الخلق وتأثروا بالمدنية وتركوا كثير من الاخلاق الفاضلة التي كانت من شيم الآباء والأجداد، بل وقد حثت عليها الشريعة الاسلامية .

ثانياً: خدمة الضيف

جاء في قصة إبراهيم - عليه السلام - لما جاءته الملائكة، أنه قام يخدمهم بنفسه، وينوي بذلك اتباع السنة، حيث ورد في ذلك قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجَلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الذاريات: ٢٦ - ٢٧]، وكان قد اختاره سميئاً زيادة في إكرامهم، ومن جملة ما يخدم به أن يعرفه القبلة وموضع الطهارة وأن يضع له ما يغسل به حين يدخل المنزل. ^(٢)

قال سيد قطب: " ويبدو كرم إبراهيم وسخاؤه وإرخاصه للمال واضحاً. فما يكاد ضيفه يدخلون عليه ويقولون: سلاماً. ويرد عليهم السلام، وهو ينكرهم ولا يعرفهم. ما يكاد يتلقى السلام ويرده حتى يذهب إلى أهله - أي زوجه - مسارعاً ليهيئ لهم الطعام. ويجيء به طعاماً وفيراً يكفي عشرات: «فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجَلٍ سَمِينٍ» .. وهم كانوا ثلاثة فيما يقال.. تكفيهم كتف من هذا العجل السمين! «فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ». قال: أَلَا تَأْكُلُونَ؟» .. وجاء هذا السؤال بعد أن رأى أيديهم لا تصل إليه، ولا يبدو عليهم أنهم سيأكلون طعامه"^(٣).

قال ابن عثيمين "فقربه إليهم قال ألا تأكلون { أي لم يجعله بعيداً، ويقول: قوموا إلى طعامكم، بل خدمهم حتى جعله بين أيديهم، وقربه إليهم قال: {ألا تأكلون} ولم يقل: كلوا. إنما عرضه عليهم عرضاً، لأن هذا أبلغ في الإكرام، والعرض أخف وأطف من الأمر، إذ إنه لو قال: كلوا. كان يحتمل أنه أراد أن يستعلي عليهم ويوجه الأمر إليهم، لكن قال: ألا تأكلون؟ والفرق بين العبارتين في الرق، فقوله: {ألا تأكلون} أرق وأرفق"^(٤).

(١) ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٦٨/٩)

(٢) الزرقاني، محمد بن عبد الباقي بن يوسف، الزرقاني على موطأ الإمام مالك، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد: مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م (٣٨٧/٤).

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن (٣٣٨٢/٦)

(٤) ابن عثيمين، تفسير ابن عثيمين (١٣٥/١)

وَمِنْ آدَابِ الْمُضِيْفِ أَنْ يَخْدُمَ أَضْيَافَهُ وَيُظَهِّرَ لَهُمُ الْغِنَى، وَالْبَسْطَ بِوَجْهِهِ، فَقَدْ قِيلَ: الْبَسَاسَةُ خَيْرٌ مِنَ الْقَرَى. فَكَيْفَ بِمَنْ يَأْتِي بِهِ، وَهُوَ ضَاحِكٌ. وَرَحِمَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ ضَمَّنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:
 إِذَا الْمَرْءُ وَافَى مَنْزِلًا مِنْكَ طَالِبًا ... قَرَاكَ وَأَرْمَتْهُ إِلَيْكَ الْمَسَالِكُ
 فَكُنْ بِاسْمًا فِي وَجْهِهِ مُتَهَلِّلاً ... وَقُلْ مَرْحَبًا أَهْلًا وَيَوْمَ مُبَارَكُ
 وَقَدَّمَ لَهُ مَا تَسْتَطِيعُ مِنَ الْقَرَى ... عَجُولًا وَلَا تَبْحَلْ بِمَا هُوَ هَالِكُ
 فَقَدْ قِيلَ بَيْنًا سَالِفًا مُتَقَدِّمًا ... تَدَاوَلَهُ زَيْدٌ وَعَمَرُو وَمَالِكُ
 بَسَاسَةُ وَجْهِ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنَ الْقَرَى ... فَكَيْفَ بِمَنْ يَأْتِي بِهِ وَهُوَ ضَاحِكُ

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: مِنْ تَمَامِ الْمُرُوءَةِ خِدْمَةُ الرَّجُلِ صَيْفُهُ كَمَا خَدَمَهُمْ أَبُونَا إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ بِنَفْسِهِ وَأَهْلِهِ. وَمِنْ آدَابِ الْمُضِيْفِ أَيْضًا أَنْ يُحَدِّثَهُمْ بِمَا تَمِيلُ إِلَيْهِ أَنْفُسُهُمْ، وَلَا يَنَامَ قَبْلَهُمْ، وَلَا يَشْكُو الزَّمَانَ بِحُضُورِهِمْ، وَيَبْشُرُ عِنْدَ قُدُومِهِمْ، وَيَتَأَلَّمُ عِنْدَ وَدَاعِهِمْ، وَأَنْ لَا يَتَحَدَّثَ بِمَا يُرْوَعُهُمْ بِهِ، بَلْ لَا يَعْصَبُ عَلَى أَحَدٍ بِحَضْرَتِهِمْ لِيُدْخَلَ السُّرُورَ عَلَى قُلُوبِهِمْ بِكُلِّ مَا أَمَكَّنَ^(١)

مما سبق يتضح أهمية حسن استقبال الضيف، وذلك بملاطفته وإيناسه والتبسم في وجهه، وعبارات الترحيب، والإقبال إليه بالوجه إذا تحدت، والحذر من الإشاحة عنه، أو السخرية بحديثه، وبعض الناس لا يبتسم في وجوه الضيوف، فربما لم يكرروا زيارته؛ بل ربما رجع بعضهم لسوء الاستقبال، ومهما قدم لضيوفه من واجبات الضيافة؛ فلا غنى عن حسن الاستقبال.

ثالثاً: تعجيل قرى الضيف

من آداب التي تحلى بها الانبياء عليهم السلام مع الضيف تعجيل قرى الضيف، وذلك بأن يقدم الموجود الميسر في الحال، ثم يتبعه بغيره إن كان له جدة^(٢) وأن يحذر التكلف؛ لأنه سبب إلى التبرم^(٣) بالضيف، وذلك ليس من شيم الكرام، بل هو قبيح من الفعل^(٤)، جاء في القرآن الكريم في معرض الحديث عن ضيف إبراهيم - عليه السلام - قوله - تعالى - ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: ٦٩]، أي ما أبطأ حتى جاء بالعجل، ومما يدل على تعجيل قرى الضيف ما روي عن أبي بن كعب رضي الله عنه - قال: «صاف عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ضيفاً، فانقلب ابن رواحة ولم يتعش، فقال لأهله: ما عشيته؟ فقالت: كان الطعام قليلاً، فانتظرت أن تأتي، قال: فحبست ضيفي من أجلي؟ فطعامك عليّ

(١) ينظر، السفاريني أبو العون محمد بن أحمد بن سالم، غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، مؤسسة قرطبة ١٩٩٣م

(٢) (١٥٠/٢)

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: (٦٤/٩).

(٤) التبرم بالضيف، الملل منه والضرر انظر ابن منظور، لسان العرب مادة برم: (٣٩١/١).

(٤) ابن الحاج، محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي، المدخل، دار الفكر، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م (٢٢٧/١).

حرام إن ذقته ..^(١)، حيث إنه قد غضب من زوجته، بسبب تأخيرها طعام الضيف، وحرّم طعامها الذي انتظرت به مجيئه. وأن يقول له عند تقديم الطعام بسم الله، أو كل، أو نحو ذلك من العبارات المصرحة بالإذن في الشروع في الأكل، ولا يجب، ويكفي تقديم الطعام^(٢).
و يستحب للضيف أن يبدأ بالأكل إيناساً للضيف،^(٣) فيشاركه في ذلك، ولا يقوم عن الطعام قبله، حتى وإن وصل إلى حد الشبع^(٤).

قال الغزالي: "وتعجيل الطعام من إكرام الضيف وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ) وَمَهْمَا حَضَرَ الْأَكْثَرُونَ وَغَابَ وَاحِدٌ أَوْ اثْنَانِ وَتَأَخَّرُوا عَنِ الْوَقْتِ الْمَوْعُودِ فَحَقَّ الْحَاضِرُ فِي التَّعْجِيلِ أَوْلَى مِنْ حَقِّ أَوْلَيْكَ فِي التَّأخِيرِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْمُتَأَخِّرُ فَقِيرًا أَوْ يَنْكَسِرَ قَلْبُهُ بِذَلِكَ فَلَا بَأْسَ فِي التَّأخِيرِ وَأَحْذُ الْمُعْتَنِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ} أَنَّهُمْ أَكْرَمُوا بِتَعْجِيلِ الطَّعَامِ إِلَيْهِمْ دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى {فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ} وَقَوْلُهُ {فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ} وَالرُّوْغَانُ الذَّهَابُ بِسُرْعَةٍ وَقِيلَ فِي خَفِيَّةٍ وَقِيلَ جَاءَ بِفَخْذٍ مِنْ لَحْمٍ وَإِنَّمَا سُمِّيَ عَجَلًا لِأَنَّهُ عَجَلَهُ وَلَمْ يَلِثْ. قَالَ حَاتِمُ الْأَصَمِّ الْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا فِي حَمْسَةٍ فَإِنَّهَا مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِطْعَامِ الضَّيْفِ وَتَجْهِيزِ الْمَيْتِ وَتَرْوِجِ الْبُكَرِ وَقَضَاءِ الدَّيْنِ وَالتَّوْبَةِ مِنَ الذَّنْبِ^(٥).

(١) الطبري، جامع البيان: (١١/٧).

(٢) البكري، أبو بكر عثمان بن محمد شطا الهمياطي الشافعي، إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م (٣/٣٦٦).

(٣) ابن الحاج، محمد، المدخل: (١/٢٢٨).

(٤) ابن مفلح، محمد الآداب الشرعية: (٣/٢٠٣).

(٥) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٢/١٦).

ثانيًا: علاقة أولى العزم من الرسل بالجار

لقد وضع الإسلام نظامًا فريدًا للاجتماع، لحمته التراحم والتعاطف، وسداه التكافل والتكاتف، ومبناه على التعاون على البر والتقوى، والتناهي عن الإثم والعدوان، وقيام كل مسلم بما يجب عليه تجاه من يعامله أويصل إليه، وقد عظم الله حق المسلم على المسلم، وحق القريب على قريبه، وحق الجار على جاره.

والقيام بهذه الحقوق من أهم أسباب السعادة للفرد والمجتمع، فإن الناس في هذه الدنيا ممتحنون، والمصائب تحيط بهم من كل جانب.

والإنسان بمفرده أضعف من أن يصمد طويلًا أمام هذه الشدائد، ولئن صمد، فإنه يعاني من المشقة والجهد ما كان في غنى عنه لو أن إخوانه التقوا إليه، وحدثوا عليه^(١)، وهرعوا لنجدته، وأعانوه في مشكلته، فالمرء قليلٌ بنفسه، كثيرٌ بإخوانه وجيرانه وأهله.

يقول الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦]، فجمع - سبحانه - بين الأمر بعبادته والأمر بالإحسان إلى خلقه، ومن ذلك الإحسان إلى الجار مسلمًا كان أم كافرًا، قريبًا أم غريبًا، ملاصقًا أم بعيدًا.

وقوله تعالى: (والجار ذي القربى) أي: الذي بينك وبينه قرابة، والجار الجنب: أي: الغريب الذي لا قرابة بينك وبينه، وهذا قول أكثر المفسرين^(٢).

وقيل: (وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى) هو الجار المسلم، (وَالْجَارِ الْجُنُبِ) هو الجار الكافر.

وقيل: (وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى) هو الجار القريب جواره، (وَالْجَارِ الْجُنُبِ) هو المجانب، وهو من يصدق عليه مسمى الجوار مع كون داره بعيدة،^(٣) وكل هذه المعاني صحيحة والآية تشملها وتدل عليها.

وهؤلاء كلهم لهم حق الجوار، وإن كان حقهم متفاوتًا بحسب تفاوت أحوالهم، قال الحافظ ابن حجر: "واسم الجار يشمل المسلم والكافر، والعابد والفاسق، والصديق والعدو، والغريب والبلدي، والنافع

(١) من حَبِبَ عليه إذا عَطَفَ وأشفق (معجم مقاييس اللغة ٣٦/٢)

(٢) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: (٣٣٧/٨ - ٣٣٨).

(٣) ينظر: الطبري، جامع البيان: (١٧٨/٥)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: (١٨٣/٥).

والضار، والقريب والأجنبي، والأقرب دارًا والأبعد، وله مراتب بعضها أعلى من بعض، فأعلاها من اجتمعت فيه الصفات الأول كلها، ثم أكثرها، وهلم جرا^(١).

فالجار الذي بينك وبينه قرابة حقه أكد من حق الجار الأجنبي، وحق الجار المسلم أكد من حق الجار الكافر، والملاصق حقه مقدم على حق البعيد، وقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (قلت يا رسول الله: إن لي جارين فألى أيهما أهدي؟ قال: إلى أقربهما منك بابًا)^(٢).

ومن أهم أساليب التعامل مع الجار ما يأتي :

أولاً: الوصية بالجار و الاحسان إليه :

ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة توصي بالإحسان إلى الجار وتبين حقوقه، قال الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَدَّكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦] فأوصى بالإحسان إلى الجيران كلهم، قريبتهم وبعيدهم، برهم وفاجرهم، مسلمهم وكافرهم. كلٌّ بحسب قربه وحاجته وما يصلح لمثله. قال السعدي: "والجار ذِي الْقُرْبَىٰ { أي: الجار القريب الذي له حقان حق الجوار وحق القرابة، فله على جاره حق وإحسان راجع إلى العرف. } {وَالْجَارِ الْجُنُبِ} أي: الذي ليس له قرابة. وكلما كان الجار أقرب بابًا كان أكد حقًا، فينبغي للجار أن يتعاهد جاره بالهدية والصدقة والدعوة واللطافة بالأقوال والأفعال وعدم أذيته بقول أو فعل"^(٣).

وكذلك السنة النبوية فقد حفلت بنصوص كثيرة توصي بالجار، وتؤكد حقه، وتأمُر بإكرامه والإحسان إليه، وتتعدد على إيدائه وعقوقه.

فعن عائشة وابن عمر رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما زال يوصيني جبريل بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)^(٤)، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص . رضي الله عنهما " أنه ذبح ذبح شاة، فقال: هل أهديتم منها لجارنا اليهودي، ثلاث مرات، ثم قال: سمعت النبي . صلى الله عليه وسلم يقول: ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه"^(٥).

(١) ابن حجر، فتح الباري (٤٤١/١٠).

(٢) صحيح البخاري، باب حق الجوار في قرب الأبواب: (٢١٤٠)، (١١/٨).

(٣) السعدي ، تيسير لكريم الرحمن، (١٧٧)

(٤) صحيح البخاري، باب الوصاة بالجار: (٥٦٦٨)، (١٠/٨).

(٥) سنن الترمذي، باب ما جاء في حق الجوار: (١٩٤٣)، (٣٣٣/٤) وحسنه، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد

. (٦٦)

ومن حق الجار " امتثال الوصية بالجار بإيصال ضروب الإحسان إليه بحسب الطاقة. كالهديّة، والسّلام وطلاقة الوجه عند لقائه، وتفقد حاله، ومعاونته فيما احتاج إليه، إلى غير ذلك. وكفّ أسباب الأذى عنه على اختلاف أنواعه حسية كانت أو معنوية" (١)

عن أبي هريرة رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن؟ فقال أبو هريرة: فقلت: أنا يا رسول الله. فأخذ بيدي فعد خمسا، وقال: اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب) (٢).

فبين أن الإحسان إلى الجار دليل على صدق الإيمان، وشعبة من شعبه، وسبب من أسباب زيادته وقوته.

وقد قال بعض الحكماء: ثلاث إذا كن في الرجل لم يشك في عقله وفضله: إذا حمده جاره وقربته ورفيقه (٣).

ومما تقدم يتضح أهمية الاحسان إلى الجار والوصية به، وما يحصل اليوم في مجتمعاتنا من عدم معرفة شيء عن أحوال الجيران وعدم التعاون فيما بينهم، أو قد يصل الأمر إلى الأذية وأخذ الحقوق والممتلكات؛ بسبب بعدنا عن منهج الانبياء عليهم السلام في تعاملهم مع الجار .

ثانياً: إكرام الجار :

إكرام الجار و الإحسان إليه الجار معنى واسع تدخل فيه أنواع كثيرة من المكارم والفضائل التي أمر بها الإسلام، فكل ما يجب للمسلم على المسلم من حقوق فإنه يجب على الجار لجاره المسلم من باب أولى وأحرى، لأن له حق الإسلام وحق الجوار أيضاً.

ومن ذلك: محبته والتودد إليه، والسلام عليه، وطلاقة الوجه معه، وعيادته إذا مرض، وتشجيعه إذا مات، ونصره إذا ظلم، وكفه عن الظلم والمعصية بقدر الاستطاعة، ومواساته وبذل المعروف له، وتقريب كربته، وإعانتته عند حاجته، وتعزيته عند المصيبة، وتهنئته في الفرح، وإدخال السرور عليه، والإهداء إليه، والنصيحة له ولأولاده وأهله، وتعليمه ما يجهله من أمر دينه ودنياه، وموعظته بالحسنى، وإعانتته على

(١) ابن حجر، فتح الباري (٤٥٦/١٠)

(٢) سنن الترمذي، باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس (٢٣٠٥)، (٥٥١/٤). حسنه الألباني في "صحيح سنن الترمذي"، (١٨٧٦)، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة: (٩٣٠).

(٣) ابن مفلح، الآداب الشرعية: (١٦/٢).

طاعة الله تعالى، ودعوته إلى الإسلام وترغيبه فيه إن كان كافراً، وألا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته، ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره، وأن يستر عليه ما ينكشف له من عوراته.

وهذه الأنواع تختلف باختلاف الجيران والمناسبات وحالة كل جار، وما ينزل به من أحداث الزمان، كما يختلف باختلاف الشخص من فقر وغنى، ووجاهة وضعة. ومن هذه الأنواع ما هو فرض عين، ومنها ما هو فرض كفاية، ومنها ما يكون مستحباً^(١).

والجامع لهذا كله: أن تحسن إليه بكل ما تقدر عليه من قول وفعل، وأن ترجو له الخير، وتحب له ما تحب لنفسك، وتقدم له ما استطعت من معروف أيًا كان نوعه.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة)^(٢)، يعني: ظلف شاة، والمعنى: لا تحقرن جارة أن تهدي لجارتها شيئاً ولو كان شيئاً زهيداً، لأن الهدية مجلبة للمحبة، مذهبة للغل ووحر الصدر، وهي بمعناها لا بقيمتها وثمرتها، وعلى المهدي إليها قبولها وعدم احتقارها مهما صغرت.

قال ابن حجر: "وأشير بذلك إلى المبالغة في إهداء الشيء اليسير وقبوله لا إلى حقيقة الفرسن، لأنه لم تجر العادة بإهدائه، أي لا تمنع جارة من الهدية لجارتها الموجود عندها لاستقلاله، بل ينبغي أن تجود لها بما تيسر وإن كان قليلاً، فهو خير من العدم، وذكر الفرسن على سبيل المبالغة، ويحتمل أن يكون النهي إنما وقع للمهدي إليها وأنها لا تحقر ما يهدى إليها ولو كان قليلاً، وحمله على الأعم من ذلك أولى.

وفي الحديث: الحض على التهادي ولو باليسير؛ لأن الكثير قد لا يتيسر كل الوقت، وإذا تواصل اليسير صار كثيراً، وفيه استحباب المودة وإسقاط التكلف"^(٣).

وقال في موضع آخر: "وهو كناية عن التحابب والتوادد، فكأنه قال: لتوادد الجارة جارتها بهدية ولو حقرت، فيتساوى في ذلك الغني والفقير"^(٤). وخص النهي بالنساء؛ لأنهن موارد المودة والبغضاء، ولأنهن أسرع انفعالاً في كل منهما".

وعن أبي نر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (يا أبا نر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك)^(١).

(١) ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين: (٢/٢١٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها: (٢٤٢٧)، (١٥٣/٢).

(٣) ابن حجر، فتح الباري: (١٩٨/٥).

(٤) ابن حجر، فتح الباري: (٤٤٥/١٠).

قال القرطبي: " فحضر - عليه السلام - على مكارم الأخلاق؛ لما يترتب عليها من المحبة وحسن العشرة، ودفع الحاجة والمفسدة، فإن الجار قد يتأذى بقتار^(٢) جاره، وربما تكون له نزية، فتتهيج من ضعفائهم الشهوة، ويعظم على القائم عليهم الألم والكلفة، لا سيما إن كان القائم ضعيفاً أو أرملة، فتعظم المشقة، ويشتد منهم الألم والحسرة، وكل هذا يندفع بتشريكتهم في شئ من الطبخ يُدفع إليهم.^(٣)

وقال العلماء: لما قال عليه السلام: " فأكثر ماءها " نبه بذلك على تيسير الأمر على البخيل تنبيهاً لطيفاً، وجعل الزيادة فيما ليس له ثمن وهو الماء، ولذلك لم يقل إذا طبخت مرقة فأكثر لحمها، إذ لا يسهل ذلك على كل أحد "^(٤).

وما أكرم جاره من بات شعبانَ تاخماً، وبات جاره جائعاً طاوياً، وفي الحديث الصحيح: (ليس المؤمن الذي يشبع، وجاره جائع إلى جنبه)، وفي رواية: (ما آمن بي من بات شعبانَ، وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به)^(٥)

قال عليه الصلاة والسلام: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره)^(٦)، وهذا يدل على أن إكرام الجار، وطيب المعاملة له من شعب الإيمان، وسمات المؤمنين، وأن من لم يكرم جاره لم يتم إيمانه.

وقد أكد ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله: (والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره أو قال لأخيه ما يحب لنفسه)^(٧).

فبين -عليه الصلاة والسلام- أن كمال الإيمان الواجب لا يتم إلا بأن يحب المسلم لجاره ما يحب لنفسه من الخير، وهو يستلزم كذلك أن يكره له ما يكره لنفسه من الشر.

(١) صحيح مسلم، باب الوصية بالجار والاحسان إليه: (٢٦٢٥)، (٢٠٢٥/٤).

(٢) القطار، بضم القاف، رائحة الطعام في القدر، ومثله رائحة الشواء ، وريح اللحم المشوي، ينظر:معجم مقاييس اللغة: (٥٥/٥).

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: (١٨٦.١٨٥/٥).

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: (١٨٦.١٨٥/٥).

(٥) المستدرک الحاكم، وأما حديثُ إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير (٢١٦٦)، (١٥/٢)، وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي. وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢٤٣/٣) رجاله ثقات. وكذا قال الهيثمي في " مجمع الزوائد " (١٦٧/٨). وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: (١٤٩)، وفي صحيح الجامع الصغير: (٥٣٨).

(٦) صحيح البخاري، باب: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ (٥٦٧٣)، (١١/٨).

(٧) صحيح مسلم، بابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مِنْ خِصَالِ الْإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ (٤٥)، (٦٨/١).

بل بين -صلى الله عليه وسلم- أن خير الناس وأفضلهم هو خيرهم لجاره وصاحبه، فقال: (خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره)^(١)، وهذا الحديث المبارك ميزان نبوي عظيم يبين مقياس التفاضل بين الناس عند الله، وأن من كان خيراً في معاملته لجيرانه وأصحابه وزملائه فهو دليل خيريته عند الله، وتوفيقه له، ومحبته إياه، بل هو دليل على أنه خير الناس عند الله، وذلك بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثالثاً: كف الأذى عن الجار

كف الأذى عن الجار، هو أقل ما يجب على الجار تجاه جاره، فإنه إذا لم يحسن إليه، فلا أقل من أن يكف أذاه عنه.

والله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا أَكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]، فكيف إذا كان المؤذى هو جارك المؤمن، فإن الإثم أشد، ولهذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره).^(٢)

وفي روايةٍ للشيخين من حديث أبي هريرة: "فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ"، وَقَدْ أَوْصَى اللَّهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ فِي الْقُرْآنِ، وَقَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "«مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِثُهُ»"، قَالَ الْفَرُطِيُّ: فَمَنْ كَانَ مَعَ هَذَا التَّكْيِيدِ الشَّدِيدِ مُضِرًّا لِجَارِهِ كَاشِفًا لِعَوْرَاتِهِ، حَرِيصًا عَلَى إِنْزَالِ الْبَوَائِقِ بِهِ كَانَ ذَلِكَ مِنْهُ دَلِيلًا عَلَى فَسَادِ اعْتِقَادٍ وَنِفَاقٍ، فَيَكُونُ كَافِرًا، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَأَمَّا عَلَى امْتِهَانِهِ بِمَا عَظَّمَ اللَّهُ مِنْ حُرْمَةِ الْجَارِ، وَمِنْ تَأْكِيدِ عَهْدِ الْجَوَارِ فَيَكُونُ فَاسِقًا فَسَقًا عَظِيمًا، وَمُرْتَكِبٌ كَبِيرَةً يَخَافُ عَلَيْهِ مِنَ الْإِضْرَارِ عَلَيْهَا أَنْ يُخْتَمَ لَهُ بِالْكَفْرِ، فَإِنَّ الْمَعَاصِيَ بَرِيدُ الْكُفْرِ، فَيَكُونُ مِنَ الصَّنْفِ الْأَوَّلِ، فَإِنْ سَلِمَ مِنْ ذَلِكَ وَمَاتَ بِلَا تَوْبَةٍ، فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ، وَقَدْ كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ يُبَالِغُونَ فِي رِعَايَتِهِ وَحِفْظِ حَقِّهِ.

حكى ابنُ عبدِ البرِّ عن أبي حازمِ بنِ دينارٍ قال: كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ أَبْرَّ مِنْكُمْ بِالْجَارِ، هَذَا قَائِلُهُمْ قَالَ:

نَارِي وَنَارُ الْجَارِ وَاحِدَةٌ ... وَإِلَيْهِ قَبْلِي يَنْزِلُ الْقَدْرُ

مَا ضَرَّ جَارِي إِذْ أُجَاوِرُهُ ... أَنْ لَا يَكُونَ لِبَابِي سَنْزُرُ

أَعْصُ طَرْفِي إِذْ مَا جَارْتِي بَرَزْتُ ... حَتَّى يُوَارِي جَارْتِي الْخِذْرُ

(١) البخاري في "الأدب المفرد": ١١٥، (٦٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير: (٣٢٧٠).

(٢) صحيح البخاري، باب الحث على إكرام الجار والضيف: (٥١٨٥)، (٦٨/١).

وَقَالَ آخَرُ:

أَغْضُ طَرْفِي مَا بَدَّتْ لِي جَارَتِي ... حَتَّى يُؤَارِي جَارَتِي مَاوَاهَا

حق الجار على ثلاث مراتب: أدناها كف الأذى عنه، ثم احتمال الأذى منه، وأعلىها وأكملها: إكرامه والإحسان إليه^(١).

وفي صحيح البخاري^(٢) عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن. قيل من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه)، ورواه مسلم بلفظ: (لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه)^(٣)/^(٤).

فأقسم ثلاث مرات على نفي الإيمان عن من لا يأمن جاره بوائقه، كما نفى عنه دخول الجنة، وهذا الوعيد الشديد ينبىء عن تعظيم حق الجار، وأن الإضرار به من الكبائر.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: " قيل للنبي - صلى الله عليه وسلم -: إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها بلسانها. قال: (لا خير فيها، هي في النار. قيل: فإن فلانة تصلي المكتوبة، وتصوم رمضان، وتتصدق بأثوار من أقط ولا تؤذي جيرانها؟ قال: هي في الجنة)"^(٥).

وهذا يدل على أن أذى الجار من الأسباب الموصلة إلى النار، وأن كف الأذى عنه سبيل موصل إلى الجنة.

ولأجل ذلك، فإن من أسباب سعادة العبد أن يوفق بجار صالح يرعى له حرمة، ويعرف له حقه، ويراقب الله تعالى فيه.

يقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: (ثلاث خصال من سعادة المرء: الجار الصالح، والمركب الهنيء، والمسكن الواسع)^(٦).

(١) ينظر الزرقاني، محمد عبد الباقي، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد: مكتبة الثقافة

الدينية - القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م (٤/٤٧٨).

(٢) صحيح البخاري، باب أثم من لا يأمن جاره بوائقه: (٥٦٧٠).

(٣) جمع بانقة: وهي الداهية، والغائلة، والشيء المهلك، والأمر الشديد الذي يوافق بغتة. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم: (١٧/٢).

(٤) صحيح مسلم، باب بيان تحريم إيذاء الجار: (٤٦)، (٦٨/١).

(٥) المستدرک للحاکم، (١٩٥٢)، (٧١٤/١)، وقال: صحيح الإسناد. وواقفه الذهبي.

(٦) مسند أحمد، مسند نافع بن الحارث: (١٥٣٧٢)، (٨٦/٢٤). وصححه السيوطي، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، باب حرف الثاء: (٥٨٢/١).

ومن كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:- "الجار قبل الدار، والرفيق قبل الطريق"^(١)
وما أجمل قول الشاعر:

يلومونني أن بعت بالرخص منزلي ولم يعلموا جارا هناك ينغص
فقلت لهم كفوا الملام، فإنما بجيرانها تغلو الديار وترخص

وقال بعضهم: "كدر العيش في ثلاث: الجار السوء، والولد العاق، والمرأة السيئة الخلق"^(٢)، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم - يقول في دعائه: (اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة، فإن جار البادية يتحول)^(٣). وأمر بالاستعاذة من شره فقال: "استعيذوا بالله من شر جار المقام، فإن جار المسافرين إذا شاء أن يزايل زایل"^(٤).

(١) ابن مفلح، الآداب الشرعية: (١٥/٢).

(٢) ابن مفلح، الآداب الشرعية: (١٦/٢).

(٣) صحيح ابن حبان، باب يَكْرُ مَا يُسْتَحَبُّ لِلْمَرْءِ أَنْ يَتَعَوَّذَ بِاللَّهِ جَلَّ وَعَلَا مِنْ سُوءِ الْجَوَارِ فِي الْعُقْبَى بِهِ يَتَعَوَّذُ مِنْهُ (١٠٣٣)، (٣٠٧/٣)، والحاكم: (١٩٥١)، وصححه، ووافقه الذهبي. وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: (١٤٤٣).

(٤) المستدرک للحاکم: (١٩٥٢)، وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: (١٤٤٣).

المبحث الثاني

علاقة أولي العزم من الرسل عليهم السلام بالراعي
والرعية، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: علاقة أولي العزم من الرسل بالراعي
- المطلب الثاني: علاقة أولي العزم من الرسل بالرعية

المطلب الأول: علاقة أولى العزم من الرسل بالراعي^(١).

نظم الإسلام العلاقة بين الحاكم والمحكوم والراعي والرعية على نحو عظيم وفريد من نوعه، وأحاط هذه العلاقة بسياج من الأنظمة والأسس، متى التزمها الراعي والرعية عم الخير والرخاء والسلام، واستطاعت الأمة أن تعيش في ألفة وونام وحب وإخاء، ومتى لم تلتزم بهذه الأسس دب فيها الخلاف والشقاق والخسران، والمتأمل في حياة أولى العزم من الرسل يجد أن هذه العلاقة بنيت على أسس متينة، نقف من خلال هذا المبحث على أهم هذه الأسس ومنها ما يلي:

أولاً: الدعوة والنصح للراعي:

قال النووي في النصيحة للراعي:

"مُعَاوَنَتُهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَطَاعَتُهُمْ فِيهِ وَأَمْرُهُمْ بِهِ، وَتَنْبِيهِهِمْ وَتَذْكَيرُهُمْ بِرِفْقٍ وَلُطْفٍ، وَإِعْلَامُهُمْ بِمَا غَفَلُوا عَنْهُ وَلَمْ يَبْلُغُوهُمْ مِنْ حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَرْكُ الْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ، وَتَأْلُفُ قُلُوبِ النَّاسِ لِطَاعَتِهِمْ، قَالَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمِنَ النَّصِيحَةِ لَهُمْ: الصَّلَاةُ خَلْفَهُمْ، وَالْجِهَادُ مَعَهُمْ، وَأَدَاءُ الصَّدَقَاتِ إِلَيْهِمْ، وَتَرْكُ الْخُرُوجِ بِالسَّيْفِ عَلَيْهِمْ إِذَا ظَهَرَ مِنْهُمْ حَيْفٌ أَوْ سُوءٌ عَشْرَةٌ، وَأَنْ لَا يُعْرُوا بِالتَّنَائِ الْكَاذِبِ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ يُدْعَى لَهُمْ بِالصَّلَاحِ"^(٢).

قد دل عليه القرآن الكريم في أكثر من آية على النصح للراعي، منها ماورد في قصة موسى مع فرعون ونصحه له بالرفق واللين قال تعالى: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكَبَ﴾﴾ [النازعات: ١٨] أَي تُسَلِّمُ فَتَطْهَرُ مِنَ الذُّنُوبِ. وَرَوَى الصَّحَّاحُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: هَلْ لَكَ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾﴾ [النازعات: ١٩] أَي وَأُرْشِدُكَ إِلَى طَاعَةِ رَبِّكَ (فَتَخْشَى) أَي تَخَافُهُ وَتَتَّقِيهِ^(٣). قال ابن كثير: فُقُلْ (هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكَبَ) أَي قُلْ لَهُ: هَلْ لَكَ أَنْ تُجِيبَ إِلَى طَرِيقَةٍ وَمَسَلِكٍ تَرْكَبُ بِهِ وَتَسَلِّمُ وَتَطْبِيعُ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ أَي أَدُلُّكَ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّكَ فَتَخْشَى أَي فَيَصِيرُ قَلْبُكَ خَاضِعًا لَهُ مَطِيعًا خَاشِعًا بَعْدَ مَا كَانَ قَاسِيًا حَبِيئًا بَعِيدًا مِنَ الْخَيْرِ فَارَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى يَعْني فَأَطْهَرَ لَهُ مُوسَى مَعَ هَذِهِ الدَّعْوَةِ الْحَقِّ حُجَّةً قَوِيَّةً وَدَلِيلًا وَاضِحًا عَلَى صِدْقِ مَا جَاءَهُ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَكَذَّبَ وَعَصَى أَي فَكَذَّبَ بِالْحَقِّ وَخَالَفَ مَا أَمَرَهُ بِهِ مِنَ الطَّاعَةِ، وَخَاصِلُهُ أَنَّهُ كَفَرَ بِقَلْبِهِ فَلَمْ يَنْفَعِلْ لِمُوسَى بِبَاطِنِهِ وَلَا بِظَاهِرِهِ وَعَلِمَهُ بِأَنْ مَا جَاءَ بِهِ حَقٌّ لَا يُلْزَمُ مِنْهُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ بِهِ، لِأَنَّ الْمَعْرِفَةَ عِلْمَ الْقَلْبِ وَالْإِيمَانَ عَمَلُهُ وَهُوَ الْإِنْقِيَادُ لِلْحَقِّ وَالْخُضُوعُ لَهُ^(٤).

(١) هُوَ الْحَافِظُ الْمُؤْتَمِنُ الْمُلتَزِمُ صَلَاحَ مَا قَامَ عَلَيْهِ وَمَا هُوَ تَحْتَ نَظَرِهِ، فَكُلُّ مَنْ كَانَ تَحْتَ نَظَرِهِ شَيْءٌ فَهُوَ مَطْلُوبٌ بِالْعَدْلِ فِيهِ وَالْقِيَامُ بِمُصَالِحِهِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهِ وَمَتَعَلِقَاتِهِ، فَإِنْ وَفَى مَا عَلَيْهِ مِنَ الرِّعَايَةِ حَصَلَ لَهُ الْحِظُّ الْأَوْفَرُ وَالْجَزَاءُ الْأَكْبَرُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ طَالِبُهُ كُلُّ أَحَدٍ مِنْ رَعِيَّتِهِ بِحَقِّهِ. عمدة القاري: (١٩٠/٦).

(٢) النووي، شرح صحيح مسلم " (٣٨ / ٢)

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: (٢٠٠/١٩).

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: (٤ - ٣١٦).

قال ابن عاشور: "حَثُّهُ عَلَى أَنْ يَسْتَعِدَّ لِتَخْلِيصِ نَفْسِهِ مِنَ الْعَقِيدَةِ الضَّالَّةِ الَّتِي هِيَ خَبْثٌ مَجَازِي فِي النَّفْسِ فَيَقْبَلُ إِرْشَادَ مَنْ يَرشُدُهُ إِلَى مَا بِهِ زِيَادَةُ الْخَيْرِ، فَإِنْ فَعَلَ الْمَطَاوِعَةَ يُوْذَنُ بِفَعْلِهِ فَأَعْلَجَ نَفْسَهُ وَيَرُوضُهَا إِذْ كَانَ لَمْ يَهْتَدِ أَنْ يَزْكِي نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ"^(١).

وقد دلت عليه السنة النبوية قال ﷺ: (الدين النصيحة، قال الصحابة: لمن يا رسول الله؟ قال: لله - عز وجل - ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)^(٢) قال النووي: "وأما النصيحة لأئمة المسلمين: فمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به ونهيهم وتذكيرهم برفق، وإعلامهم بما غفلوا عنه، ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتأليف قلوب المسلمين لطاعتهم، قال الخطابي: "ومن النصيحة لهم: الصلاة خلفهم والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة، وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يدعى لهم بالصلاح"^(٣).

وقال الشوكاني: "ينبغي لمن ظهر له غلط الإمام في بعض المسائل أن ينصحه ولا يظهر الشناعة عليه على رؤوس الأشهاد، بل كما ورد في الحديث أن يأخذ بيده ويخلو به ويبذل له النصيحة ولا يذل سلطان الله"^(٤).

هذا هو الأصل في مخاطبة الحاكم، وخصوصا إذا كان الخطأ يتعلق بسلوكه أو سلوك أسرته أو من يلوذ به.

ثانياً: النصرة للراعي:

نصرة الراعي المسلم تكون بإجماع الأمة عليه، وكرهية افتراق الأمة عليه، والبغض لمن رأى الخروج عليه وحب إعزازه في طاعة الله عز وجل، ومعاونته على الحق ومجانبة الوثوب عليه، والدعاء له بالتوفيق.

لكن الحكام في بداية دعوة الأنبياء والرسل لم يكونوا على ديانة أنبيائهم، ومع ذلك نجد أن من الأنبياء من ساهم وشارك في نصرة هؤلاء الحكام والسادة من أقوامهم، والمتأمل في حياة محمد ﷺ يجد مناصرته لقومه في حرب الفجار، وكانت هذه الحرب عندما بلغ - عليه الصلاة والسلام - خمس عشرة سنة من عمره، وكانت حرب الفجار بين قريش ومن معهم من كنانة وبين قيس عيلان، وكان قائد قريش وكنانة كلها حرب بن أمية لمكانته فيهم سنا وشرفا، وكان الظفر في أول النهار لقيس على كنانة، حتى

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير: (٧٧/٣٠)

(٢) صحيح مسلم كتاب الايمان باب بيان أن الدين النصيحة، (٥٥)، (٧٤/١).

(٣) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، (١٣٩٢)، (٣٨/٢).

(٤) الشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله: السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، (٩٦٥).

إذا كان في وسط النهار كان الظفر لكانة على قيس، وسميت بحرب الفجار لانتهاك حرمت الحرم والأشهر الحرم فيها، وقد حضر هذه الحرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وكان ينبل على عمومته، أي يجهز لهم النبل للرمي. (١)

وكذلك مشاركة النبي ﷺ قومه في حلف الفضول بعد حرب الفجار التي وقع على أثرها حلف الفضول في ذي القعدة في شهر حرام، تداعت إليه قبائل من قريش: بنو هاشم، وبنو المطلب، وأسد بن عبد العزى، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مرة، فاجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان التيمي لسنه وشرفه، فتعاقدوا وتعاهدوا على ألا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته، وشهد هذا الحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال بعد أن أكرمه الله بالرسالة: (لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعي به في الإسلام لأجبت) (٢).

وناصر الصحابة رسول الله ﷺ فعن عروة بن الزبير قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه به خنقا شديدا، فأقبل أبو بكر، فأخذ بمنكبه، ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: ٢٨] (٣)

وقد نص عليها الماوردي في الأحكام السلطانية بقوله: "وإذا قام الإمام بما تكرناه من حقوق الأمة، فقد أدى حق الله تعالى فيها لهم وعليهم، ووجب له حقان: الطاعة والنصرة ما لم يتغير حاله" (٤)، والمراد بالنصرة هنا نصرته في أمور الدين وجهاد العدو والحفاظ على وحدة الأمة، (٥) قال القرطبي: "روي عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أنه قال: حق على الإمام أن يحكم بالعدل، ويؤدي الأمانة، فإذا فعل ذلك وجب على المسلمين أن يطيعوه؛ لأن الله - تعالى - أمرنا بأداء الأمانة والعدل، ثم أمر

(١) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية: (١٨٤/١ - ١٨٧).

(٢) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية: (١١٣/١ - ١٣٥).

(٣) صحيح البخاري باب قوله تعالى (ونفخ في الصور فصعق من في السماوات والأرض)، (٤٨١٥)، (١٢٧/٦).

(٤) الماوردي، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، الأحكام السلطانية: دار الحديث - القاهرة، (١٩).

(٥) ينظر: كامل، عبدالعزيز بن مصطفى، الحكم والتحاكم في خطاب الوحي، دار طيبة للنشر والتوزيع ١٩٩٥م، الطبعة الأولى (٢/ ٥٢٨).

بطاعته"،^(١) قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢] ولا أعلى من معاونته الإمام على إقامة الدين ونصرته.^(٢)

ثالثاً: الصبر على الراعي والدعاء له بالهداية

قال تعالى أمراً نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالصبر: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعُرْوِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] قال السعدي: "أمر تعالى رسوله أن يصبر على أذية المكذبين المعادين له، وأن لا يزال داعياً لهم إلى الله، وأن يقتدي بصبر أولى العزم من المرسلين سادات الخلق أولى العزائم والهمم العالية، الذين عظم صبرهم، وتم يقينهم، فهم أحق الخلق بالأسوة بهم، والقفو لآثارهم، والاهتداء بمنارهم"^(٣) تعرض موسى عليه السلام وبنو إسرائيل للعذاب والأذى فصبروا حتى جعلهم الله خلفاء للأرض قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف: ١٣٧]، (بما صبروا) أي بصبرهم على أذى فرعون، وعلى أمر الله بعد أن آمنوا بموسى.^(٤) وقد أمر الله سبحانه وتعالى بالصبر فقال تعالى: ﴿وَلَيْنَ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّادِقِينَ﴾ [١٣٦] وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٦-١٢٧] وقال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

هذه النصوص دلت على قيمة التحلي بالصبر ومجاهدة النفس عليه على الرغم من شدة معاناتها في مدافعة مقتضاه، ومعلوم أن هذه النصوص، وإن لم تنص صراحة على صبر الأمة جراء ما تواجهه من شدة الحكام وغلظتهم مع رعاياهم وتلبسهم بالظلم والجور، إلا أنها تدل على ذلك بعمومها، وقد جاء ذلك مبيناً وموضحاً في إطار البيان النبوي على وجه الخصوص.^(٥)

وقال تعالى: ﴿وَمَا لَنَا إِلَّا أَنْ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنْصَبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢] قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره، مخبراً عن قيل الرسل لأممها: (وَمَا لَنَا إِلَّا أَنْ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ)، فنثق به وبكفايته ودفاعه إياكم عنا (وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا)، يقول: وقد بصرنا طريق النجاة من عذابه، فبين لنا (وَلَنْصَبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا)، في الله وعلى ما نلقى

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: (٢٥٩/٥).

(٢) كامل، الحكم والتحاكم في خطاب الوحي: (٥٢٨).

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن: (٧٨٣/١).

(٤) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: (٢٧٢/٧).

(٥) المعلم، أحمد بن حسن، نحو إحكام لمنهج التعامل مع الحكام: (٢٤).

منكم من المكروه فيه بسبب دعائنا لكم إلى ما ندعوكم إليه، من البراءة من الأوثان والأصنام، وإخلاص العبادة له (وَعَلَى اللَّهِ فليتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ)، يقول: وعلى الله فليتوكل من كان به واثقاً من خلقه، فأما من كان به كافراً فإن وليه الشيطان^(١).

ويدخل في مقتضيات الصبر على الحاكم الدعاء له بالهداية والصلاح والثبات على الحق، وأن يهياً له البطانة الصالحة، ويرشده إلى صواب الحكم والسياسة، فبالدعاء للحاكم تتحقق منفعة البلاد والعباد بجلب المصالح ودرء المفاسد، وهو أمر وجهت إليه النصوص الشرعية، ودل عليه الهدي المنقول عن علماء الأمة. قال تعالى: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكُمْ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكَبُوا ۖ وَأَهْدِيَكُمْ إِلَىٰ رِبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ١٩]، قال ابن كثير: (وأهديك إلى ربك) أي: أدلك إلى عبادة ربك (فتخشى) أي: فيصير قلبك خاضعاً له مطيعاً خاشعاً بعدما كان قاسياً خبيثاً بعيداً من الخير^(٢).

رابعاً: إنكار المنكر مع إقامة الحجة

إن قضية الإنكار على الحاكم تدخل في إطار الضوابط الحاكمة لأصله، وهو قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا بد إزاء ذلك من الوقوف على الخطوات التي تجري في عمل الإنكار^(٣).

وهنا نذكر نماذج من أولى العزم من الرسل في إنكارهم على الحاكم بل وإقامة الحجة عليهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿الْمَ تَرَىٰ إِلَىٰ الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨] إنه تعبير التشنيع والتفضيع، وإن الإنكار والاستنكار لينطلقان من بنائه اللفظي وبنائه المعنوي سواء^(٤).

قال ابن عاشور: والآية دليل على جواز المجادلة والمناظرة في إثبات العقائد، والقرآن مملوء بذلك، وأما ما نُهي عنه من الجدال فهو جدال المكابرة والتعصب وترويج الباطل والخطأ^(٥).

قال ابن باز رحمه الله: "فالحاصل: أن هذا النمrod كان جباراً عنيداً، وكان يدعي الملك، ويدعي أنه رب العالمين، ويدعي أنه يحيي ويميت؛ فلهذا قال له إبراهيم: رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، قال الخبيث

(١) الطبري: (٥٣٩/١٦)

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: (٣١٥/٨).

(٣) السبت، خالد بن عثمان، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصوله وضوابطه وآدابه، المنتدى الإسلامي ١٩٩٥م الطبعة الأولى، (٢٥٣).

(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن: (٢٩٧/١).

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير: (٣٤/٣).

النمرود: أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ، وذكر المفسرون: أنه ذكر لإبراهيم أنه يؤتى بالشخصين يستحقان القتل، فيعفو عن واحد ويقتل الآخر، ويزعم أن هذا هو معنى الإحياء والإماتة؛ يعفو عن استحقاق القتل فيقول: أحبيته، وهذه مكابرة وتلبيس، فليس هذا هو المقصود، وإنما المقصود أن يخرج من الحجر ومن النطفة ومن الأرض حياً بعد موت، وهذا لا يستطيعه إلا الله، فهو الذي يخرج النباتات، ويحيي النطف حتى تكون حيوانات. فالمقصود: أن هذا لا يستطيعه إلا الله، ولكنه كابر ولتبس، فانتقل معه إبراهيم إلى حجة أوضح للناس وأبين للناس؛ حتى لا يستطيع أن يقول شيئاً في ذلك، فبين له - عليه الصلاة والسلام - أن الله يأتي بالشمس من المشرق، فإن كنت رباً فأت بها من المغرب! فبهت واتضح للناس بطلان كيدته، وأنه ضعيف مخلوق؛ لا يستطيع أن يأتي بالشمس من المغرب بدلاً من المشرق، واتضح للناس ضلاله ومكابرتة وصحة ما قاله إبراهيم عليه الصلاة والسلام^(١).

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْأَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ [الأنعام: ٧٦ - ٨٠].

قال الشيخ ابن سعدي: "والمناظرة تخالف غيرها في أمور كثيرة، منها: أن المناظر يقول الشيء الذي لا يعتقده ليبنى عليه حجته، وليقيم الحجة على خصمه، كما قال في تكسيره الأصنام لما قالوا له: أنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟ فأشار إلى الصنم الذي لم يكسره فقال: بل فعله كبيرهم هذا، ومعلوم أن غرضه إلزامهم بالحجة وقد حصلت فهذا يسهل علينا فهم معنى قوله: {هَذَا رَبِّي}، أي: إن كان يستحق الإلهية بعد النظر في حالته ووصفه فهو ربي، مع أنه يعلم العلم اليقيني أنه لا يستحق من الربوبية والإلهية مثقال ذرة، ولكن أراد أن يلزمهم بالحجة"^(٢).

(١) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز: (٢٢٩/٩).

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ، ص (١٩٨).

المطلب الثاني: علاقة أولى العزم من الرسل بالرعية^(١).

وضع الإسلام منهجاً بيئاً وواقعياً في العلاقة بين الراعي والرعية، وبحث أهل العلم في كتب السياسة الشرعية ما يتعلق بهذه العلاقة وواجبات كل من الطرفين وحقوقه على وجه يبين أن الإسلام له نظامه الخاص كمنهج للحياة، ومن أهم العلاقات بين الراعي والرعية من خلال حياة أولى العزم من الرسل ما يأتي:

أولاً : إقامة الدين بحفظه والدعوة اليه:

إن أعظم ما يجب حفظه وبيانه والذب عنه هو دين الله الذي أنزله على أنبيائه ورسله، وحماية جناب التوحيد وصحة المعتقد من أولى الواجبات، بل هو أهم الضروريات الخمس التي جاءت الشرائع بحفظها، والضروريات كما عرفها الإمام الشاطبي - رحمه الله - هي: " ما لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل فساد وتهاجر وفوت حياة، وفي الآخرة فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين"^(٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الشورى: ١٣]، أي شرع لكم وجوب إقامة الدين الموحى به وعدم التفرق فيه كما سيأتي. وأياً ما كان فالمقصود أن الإسلام لا يخالف هذه الشرائع المسماة، وأن اتباعه يأتي بما أتت به من خير الدنيا والآخرة^(٣).

بل يجب الهجرة عند عدم الاستطاعة على قيام الدين "هذا أمر من الله لعباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذي لا يقدر فيه على إقامة الدين، إلى أرض الله الواسعة، حيث يمكن إقامة الدين، بأن يوحدها الله ويعبدوه كما أمرهم؛ ولهذا قال: ﴿ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِلَيَّ فَاعْبُدُونِ ﴾ [العنكبوت: ٥٦]"^(٤).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُمْ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المائدة: ١١٧]

(١) الرعية: كل ما يشمل حفظ الراعي ونظره. (الأدب النبوي: محمد عبد العزيز بن علي الشاذلي الخولي دار المعرفة - بيروت الطبعة: الرابع، ١٤٢٣ هـ ، (٤٨/١).

(٢) الشاطبي، الموافقات: (١٧/٢ - ١٨).

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير: (٥١/٢٥).

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: (٩٢/٦).

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف: ٥٩]

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَابْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٦] قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾ [نوح: ٣]

ثانياً : تفقد أحوال الرعية وتدبير أمورها

على الرغم من أن طلبات بني إسرائيل كان فيها الكثير من البطر والتترف والتندر، فإن ذلك لم يمنع النبي موسى -عليه السلام- من أن يسعى لتلبية هذه الطلبات لهم ما استطاع، ومنها:

أنه عليه السلام وفر لهم الماء حين طلبوه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مَافْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠]، قال ابن عاشور: "تذكير بنعمة أخرى جمعت ثلاث نعم وهي الري من العطش، وتلك نعمة كبرى أشد من نعمة إعطاء الطعام ولذلك شاع التمثيل بري الظمان في حصول المطلوب. وكون السقي في مظنة عدم تحصيله وتلك معجزة لموسى وكرامة لأُمَّته لأن في ذلك فضلاً لهم. وكون العيون اثنتي عشرة ليستقل كل سبط بمشرب فلا يتدافعوا" (١).

كذلك أجابهم عليه السلام لما طلبوه من أنواع الطعام، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْتِ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبُطُوا مَصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: ٦١]، وهكذا نجد أنه عليه السلام كان حريصاً على إشباع الحاجات الإنسانية لأتباعه؛ لأن الراعي الذي يريد إنتاجاً من أتباعه لا بد له من أن يوفر لهم حاجاتهم الأساسية على الأقل.

ولكن موسى عليه السلام كان يستجيب لقومه حين تكون الطلبات معقولة وإن كانت مُترفة، ولكنه لا يستجيب لهم حين تكون الطلبات تعجيزية، أو غير واقعية وغير مستحقة، أو من أجل التحدي وغير ذلك، كما طلب بنو إسرائيل أن يروا الله ﷻ جهرة، "وليس ذلك من مقدور موسى عليه السلام وقد اختلف في جواز رؤية الله تعالى فأكثر المبتدعة على إنكارها في الدنيا والآخرة، وأهل السنة والسلف على جوازها

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير: (٥١٧/١).

فيهما ووقوعها في الآخرة، فعلى هذا لم يطلبوا من الرؤية محالاً وقد سألها موسى عليه السلام^(١)، فكانت النتيجة أنهم لم يستجب لهم، بل إنهم عوقبوا على ذلك.

وعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَرَعَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَانْطَلَقَ النَّاسُ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ سَبَقَ النَّاسَ إِلَى الصَّوْتِ، وَهُوَ يَقُولُ: (لَنْ تُرَاعُوا لَنْ تُرَاعُوا)^(٢) وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرِيٍّ مَا عَلَيْهِ سَرْجٌ، فِي عُنُقِهِ سَيْفٌ، فَقَالَ: " لَقَدْ وَجَدْتُهُ بَحْرًا. أَوْ: إِنَّهُ أَبْحَرٌ"^(٣) قال ابن حجر: "فرع أهل المدينة" أي سمعوا صوتاً في الليل فخافوا أن يهجم عليهم عدو، وقوله: "فاستقبلهم النبي صلى الله عليه وسلم، قد سبق الناس إلى الصوت" أي أنه سبق فاستكشف الخبر فلم يجد ما يخاف منه فرجع يسكنهم، وقوله: "لم تراعوا" هي كلمة تقال عند تسكين الروح تأنيساً، وإظهاراً للرفق بالمخاطب.^(٤) وهذا يدل على تحمل النبي ﷺ للمسؤولية وتفقده للرعية.

ولو أن حكام المسلمين اليوم عرفوا هذه الأمانة واهتموا بها وأدوها على أكمل وجه لعم الأمن والأمان، وعاش الناس بأمن ورخاء وسلام، ولساد بين الناس المحبة والمودة والوئام، ولكن للأسف ضيعت هذه الأمانة فحل الجوع والفقر، وساد بين الناس الجشع والطمع .

ثالثاً : الرفق بالرعية والنصح لهم وعدم تتبع عوراتهم:

الراعي، سواء كان حاكماً، أو رئيساً، أو مسؤولاً، عليه أن يرفق برعيته، فيقضي حاجتهم، ويؤدي مصالحهم برفق، قال صلى الله عليه وسلم: (اللهم من ولي من أمي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمي شيئاً فرفق بهم فافرق به)^(٥).

وعن الحسن أن عائذ بن عمرو كان من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- دخل على عبيد الله بن زياد فقال: أي بني: إني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (إن شرَّ الرِّعَاءِ الحَطْمَةَ)^(١)،

(١) القرطبي، الجامع لاحكام القرآن (٤٠٣/١).

(٢) (لن تراعوا) أي: لا تراعوا، جحد بمعنى النهي أي لا تقزعوا، وهي كلمة تقال عند تسكين الروح تأنيساً وإظهاراً للرفق بالمخاطب. قوله: (على فرس) اسمه مندوب، وكان لأبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري زوج أم أنس. قوله: (عري) ، بضم العين المهملة وسكون الزاء. قوله: (ما عليه سرج) تفسير عري. قوله: (بحراً أي) : واسع الجري مثل البحر. (عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١١٨/٢٢)

(٣) صحيح البخاري، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل: (١٣/٨).

(٤) ابن حجر، فتح الباري: (٤٥٥/١٠).

(٥) صحيح مسلم، باب فضيلة الإمام العادل: (١٨٢٨)، (١٤٥٨/٣).

فإياك أن تكون منهم، فقال له: اجلس إنما أنت من نخالة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم-، فقال: وهل كانت لهم نخالة؟ إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم^(٢).

(وقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث مثلاً لكل راع عنيف، قاس شديد لا رحمة في قلبه على رعيته من الناس، سواء أكان ولي أسرة، أو صاحب سلطان، صغرت دائرة رعيته أو كبرت، فشرُّ الرعاة من الناس على الناس هو الحطمة، الذي لا رفق عنده، ولا رحمة في قلبه تلين سياسته وقيادته، فهو يقسو ويشتد على رعيته، ويوسعهم عسفاً وتحطيمًا، ويدفعهم دائمًا إلى المآزق والمحرجات، ولا يعاملهم بالرفق والحكمة في الإدارة والسياسة)^(٣).

قال النووي: (هذا من أبلغ الزواجر عن المشقة على الناس، وأعظم الحث على الرفق بهم، وقد تضافرت الأحاديث بهذا المعنى)^(٤).

ورواه البخاري بسنده إلى الحسن قال: إن عبيد الله بن زياد زار مَعْقِلَ بن يسار في مرضه الذي مات فيه، فقال له معقل: إني محدثك حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم- سمعت النبي صلى الله عليه وسلم- يقول: (مَا مِنْ وَالٍ يَلِي رَعِيَّةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لَهُمْ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ)^(٥). وعند مسلم قال صلى الله عليه وسلم-: (ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح لهم إلا لم يدخل الجنة معهم)^(٦).

ومنها ما رواه أبو داود بسنده عن أبي أمامة قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم- قال: (إذا ابتغى الأمير الرِّيبَةَ^(٧) في الناس أفسدهم)^(٨).

- (١) الحطمة: هو العنيف برعاية الإبل في السوق والإيراد والإصدار، يلقي بعضها على بعض، ويعسفها، ضربه مثلاً لوالي السوء ويقال أيضا حطم بلا هاء)، شرح صحيح مسلم النووي: (٢١٦/١٢).
- (٢) صحيح مسلم، باب فضيلة الإمام العادل (١٨٣٠)، (١٤٦١/٣).
- (٣) ينظر: عبدالرحمن الميداني، الاخلاق الاسلامية (٣٤١/٢).
- (٤) شرح صحيح مسلم للنووي، (٢١٣/١٢).
- (٥) صحيح البخاري، باب من استرعى رعيته فلم ينصح (٧١٥١)، (٧٤/٩).
- (٦) صحيح مسلم، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار: (١٤٢)، (١٢٦/١).
- (٧) أي: التهمة (التيسير شرح الجامع الصغير ١/١٦٩).
- (٨) سنن أبي داود، باب النهي عن التجسس، (٤٨٨٩)، (٢٥١/٧)، حسنه ابن حجر في تخريج مشكاة المصابيح (٤٦٩/٣).

وقال ابن عثيمين: "أما ولاة الأمور فيجب عليهم الرِّفق بالرعية، والإحسان إليهم، واتباع مصالحهم، وتولية من هو أهل للولاية، ودفع الشر عنهم، وغير ذلك من مصالحهم؛ لأنهم مسئولون عنهم أمام الله عز وجل" (١)

الرحمة للاتباع والرعية صفة من صفات أولى العزم من الرسل، وتأتي أهمية الرحمة للرعية عند الأزمان أكثر من غيرها، وهكذا كان النبي موسى - عليه السلام - حين يضطلع بدور المنقذ عند الشدائد، فقد كان تدخله مباشرة في إنقاذ قومه من الهلاك حين أوشك فرعون أن يدرگهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ [طه: ٧٧].

ويعتذر بعض القادة وولاة الأمر أنهم ليس عنده عصا موسى - عليه السلام - ليغيّر الواقع، وهي كلمة حق أريد بها باطل؛ فعصا موسى تعملُ بتأثير إلهي، ولكن القائد الإيجابي إذا أحسن العلاقة مع ربه - ﷺ - فسيكون له تأثيرٌ ربما كتأثير عصا - موسى عليه السلام -، فقد تختلف الأدوات والتاريخ والجغرافية والناس والأدوار، ولكن قدرة وإرادة التأثير والأخذ بالسنن الكونية واحدة، إنها قدرة الله - جلّ جلاله - التي لا تتغير.

وكان - صلى الله عليه وسلم - رفيقاً بقومه رغم أذيتهم له، فعن عروة أنّ عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته أنّها قالت للنبي - صلى الله عليه وسلم -: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ (قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وقد بعثني ربك إليك، لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً) (٢).

(١) ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين: (٣/ ٦٢٧).

(٢) صحيح البخاري باب إذا قال أحككم: آمين والملائكة في السماء، آمين (٣٢٣١)، (٤/ ١١٥).

رابعاً: القدوة لرعيته:

كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاتحة الاقتداء، وعنوان الائتساء، كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) يقول تعالى نكره لقد كان لكم أيها المؤمنون قدوة حسنة في الذين نكرهم إبراهيم والذين معه من الأنبياء صلوات الله عليهم والرسول (لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ) يقول: لمن كان منكم يرجو لقاء الله، وثواب الله، والنجاة في اليوم الآخر^(١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]، فأما الأمة: فهو الإمام الذي يقتدى به، والقانت: هو الخاشع المطيع، والحنيف المنحرف قصداً عن الشرك إلى التوحيد^(٢).

وجعل الله تعالى منهج الاقتداء بين الناس سنة متوارثة، ينقلها جيل إلى جيل؛ فقال عز وجل: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ آقَدَةٌ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرًا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

ولم يحك الله تعالى عشرات القصص القرآنية والأخبار التاريخية إلا لمزيد القدوة والاعتبار؛ قال تعالى: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغٌ فَمَهْلٌ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفٰلسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

لما دخل قائد جيش المسلمين سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قصر كسرى وهو يتلو قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فٰلكِهِينَ ﴿٥٧﴾ كَذٰلِكَ وَأَوْرَثٰهَا قَوْمًا ءٰآخِرِينَ﴾ [الدخان: ٢٥-٢٨]، أرسل سعد كل ما في قصر كسرى إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وأخذ عمر رضي الله عنه يقلب هذه النفائس ويقول: إن قوماً أدوا هذا لأمناء. فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "لقد عفتت فعفت رعيته، ولو رعت لرعت" ثم قسم عمر ذلك في المسلمين^(٣).

(١) الطبري، جامع البيان: (٣٢٠/٢٣).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: (٦١١/٤).

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: (٣٦٢/٢).

وروى البخاري رحمه الله عن أبي بكر رضي الله عنه في حديثه للأحمسية لما سألته: ما بقاء هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية؟ قال: (ما استقامت بكم أئمتكم)^(١)

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إن الناس لم يزلوا مستقيمين ما استقامت لهم أئمتهم وهداتهم)^(٢) وقال: "الرعية مؤدية إلى الإمام ما أدى الإمام إلى الله، فإن رتع الإمام رتعوا"^(٣) لذلك كان من سيرته رضي الله عنه - كما ذكر ذلك سالم بن عبد الله عن أبيه قال: "كان عمر إذا أراد أن ينهى الناس عن شيء تقدّم لأهله فقال: لا أعلمن أحدًا وقع في شيء مما نهيت عنه إلا أضعفت له العقوبة"^(٤)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وينبغي أن يُعرف أن أولي الأمر كالسوق ما نفق فيه جُلب إليه، هكذا قال عمر بن عبد العزيز، فإن نفق فيه الصدق والبرّ والعدل والأمانة جُلب إليه ذلك، وإن نفق فيه الكذب والجور والخيانة جُلب إليه ذلك"^(٥)

خامسًا: العدل:

أمر الله بإقامة العدل وحثّ عليه، ومدح من قام به، وذلك في آيات كثيرة منها:

وقوله: ﴿وَأْمُرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: ١٥]، يقول تعالى نكره: وقل لهم يا محمد: وأمرني ربي أن أعدل بينكم معشر الأحزاب، فأسير فيكم جميعًا بالحق الذي أمرني به وبعثني بالدعاء إليه^(٦). قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

قال السعدي: "فالعدل الذي أمر الله به، يشمل العدل في حقّه، وفي حق عباده، فالعدل في ذلك أداء الحقوق كاملة موفرة؛ بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والمركبة منهما في

(١) صحيح البخاري باب أيام الجاهلية: (٣٨٣٤)، (٤١/٥).

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى: (٢٩٢/٣).

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى: (٢٩٢/٣).

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى: (٢٨٩/٣).

(٥) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام السياسة الشرعية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ، (٢٧).

(٦) الطبري، جامع البيان (٥١٦/٢١).

حَقَّهُ وَحَقَّ عِبَادِهِ، وَيُعَامَلُ الْخَلْقَ بِالْعَدْلِ التَّامِّ، فَيُؤَدِّي كُلَّ وَاكِفٍ مَا عَلَيْهِ تَحْتَ وِلَايَتِهِ، سِوَاءٍ فِي ذَلِكَ وِلَايَةِ الْإِمَامَةِ الْكُبْرَى، وَوِلَايَةِ الْقَضَاءِ وَنَوَابِ الْخَلِيفَةِ، وَنَوَابِ الْقَاضِي"^(١).

قال ابن كثير رحمه الله: "وقال العوفي عن ابن عباس: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُعْلَمَ﴾ [آل عمران: ١٦١] أي: بأن يقسم لبعض السرايا ويترك بعضاً"^(٢).

قال السعدي: "والعدل هو ما فرضه الله عليهم في كتابه، وعلى لسان رسوله، وأمرهم بسلوكه، ومن العدل في المعاملات أن تعاملهم في عقود البيع والشراء وسائر المعاوزات، بإيفاء جميع ما عليك، فلا تبخس لهم حقاً، ولا تغشهم ولا تخدعهم وتظلمهم، فالعدل واجب، والإحسان فضيلة مستحبة"^(٣).

وقال سبحانه: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَأَمِنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٥] يقول تعالى ذكره: "وقل لهم يا محمد: وأمرني ربي أن أعدل بينكم معشر الأحزاب، فأسير فيكم جميعاً بالحق الذي أمرني به وبعثني بالدعاء إليه..."

وعن قتادة، قوله: (وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ) قال: أمر نبي الله صلى الله عليه وسلم أن يعدل، فعدل حتى مات صلوات الله وسلامه عليه"^(٤).

والعدل ميزان الله في الأرض، به يأخذ للمظلوم من الظالم، وللضعيف من الشديد، وبالعدل يصدق الله الصادق، ويكذب الكاذب، وبالعدل يرد المعتدي ويوبخه"^(٥).

قال سبحانه: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١] قال ابن كثير: "يقول تعالى (وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً) أي: ومن الأمم أُمَّةٌ قائمة بالحق، قولاً وعملاً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ يَقُولُونَهُ وَيَدْعُونَ إِلَيْهِ، (وَبِهِ يَعْدِلُونَ) أي: يعملون ويقضون. وقد جاء في الآثار: أَنَّ الْمُرَادَ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْآيَةِ، هِيَ هَذِهِ الْأُمَّةُ الْمُحَدَّثِيَّةُ. قال سعيد، عن قتادة في تفسير هذه الآية: بلغنا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٤٤٧/١)

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: (١٥١/٢).

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن: (٤٤٧).

(٤) الطبري، جامع البيان: (٥١٧/٢١).

(٥) الطبري، جامع البيان: (٥١٧/٢١).

إذا قرأ هذه الآية: هذه لكم، وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها: وَمِنْ قَوْمٍ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ^(١).

- قال شيخ الاسلام ابن تيمية: "العدل نظام كل شيء، فإذا أُقيم أمر الدنيا بعدل قامت، وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم، وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة"^(٢).

وقال أيضا: "وأمر الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم، أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم؛ ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة؛ ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة. ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام"^(٣).

وقال ابن القيم: "ومن له ذوق في الشريعة، واطلاع على كمالها، وتضمنها لغاية مصالح العباد في المعاش والمعاد، ومجيئها بغاية العدل الذي يسع الخلائق، وأنه لا عدل فوق عدلها، ولا مصلحة فوق ما تضمنته من المصالح، تبين له أن السياسة العادلة جزء من أجزاءها، وفرع من فروعها، وأن من أحاط علماً بمقاصدها، ووضعها موضعها، وحسن فهمه فيها لم يحتج معها إلى سياسة غيرها البتة.

فإن السياسة نوعان: سياسة ظالمة، فالشريعة تحرمها، وسياسة عادلة تخرج الحق من الظالم الفاجر، فهي من الشريعة علمها من علمها، وجهلها من جهلها"^(٤).

فالإسلام هو دين العدالة، وإن أمة الإسلام هي أمة الحق والعدل، وقد أقام الرسول ﷺ العدل، وكان نموذجاً في أعلى درجاته، وأقامه خلفاؤه من بعده.

فقد ورد أن رسول الله ﷺ عدل صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قدح يعدل به القوم، فمر بسواد بن غزيرة حليف بني عدي ابن النجار قال: وهو مستنقل^(٥) من الصف، فطعن رسول الله ﷺ - بالقدح في بطنه، وقال: استو يا سواد. فقال: يا رسول الله، أوجعتني، وقد بعثك الله بالعدل، فأقذني. قال: فقال له رسول الله ﷺ: استقد. قال: يا رسول الله، إنك طعنتني، وليس علي قميص. قال: فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه، وقال: استقد قال: فاعتنقه، وقبّل بطنه، وقال: ما حملك على هذا يا سواد؟ قال: يا رسول الله،

(١) الطبري، جامع البيان: (٢٨٦/١٣). [الأعراف: ١٥٩]، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: (٥١٦/٣).

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى: (١٤٦/٢٨).

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى: (١٤٦/٢٨).

(٤) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، الطرق الحكمية، مكتبة دار البيان (٥).

(٥) استنقل من الصف إذا تقدم أصحابه. لسان العرب، لابن منظور: (٦٤٤/١١).

حضرني ما ترى، ولم آمن القتل، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا رسول الله ﷺ له بخير^(١).

وعن عائشة زوج النبي ﷺ (أنَّ قريشًا أهتمهم شأن المرأة التي سرقت في عهد النبي ﷺ في غزوة الفتح، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ. فأتى بها رسول الله ﷺ، فكلمه فيها أسامة بن زيد، فتلون وجه رسول الله ﷺ، فقال: أتشفع في حدٍ من حدود الله؟! فقال له أسامة: استغفر لي يا رسول الله.

فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ فاخترط، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال أما بعد: فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإني -والذي نفسي بيده- لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها^(٢) ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت ففُطعت يدها.

والوالي سواء كانت ولايته ولاية خاصة أو عامة يجب عليه أن يعدل بين الرعية، وأن يستعين بأهل العدل.

قال ابن تيمية، بعد أن ذكر عموم الولايات وخصوصها، كولاية القضاء، وولاية الحرب، والحسبة، وولاية المال قال: "وجميع هذه الولايات هي في الأصل ولاية شرعية ومناصب دينية، فأئى من عدل في ولاية من هذه الولايات فساسها بعلم وعدل، وأطاع الله ورسوله بحسب الإمكان - فهو من الأبرار الصالحين، وأئى من ظلم وعمل فيها بجهل، فهو من الفجار الظالمين"^(٣)

وقال أيضًا: "يجب على كلِّ ولي أمر أن يستعين بأهل الصدق والعدل، وإذا تعذر ذلك استعان بالأمثل فالأمثل"^(٤)

(١) أبو نعيم، معرفة الصحابة باب سواد بن غزية الأنصاري شهداء غزوة بدر (٣٥٥٠)، (١٤٠٤/٣) قال الألباني في السلسلة الصحيحة: (٨٠٨/٦): إسناده حسن إن شاء الله تعالى.

(٢) صحيح البخاري باب حديث الغار (٣٤٧٥) (١٧٥/٤).

(٣) ابن تيمية مجموع الفتاوى: (٦٨/٢٨).

(٤) ابن تيمية مجموع الفتاوى: (٦٨/٢٨).

سادسًا: . الصبر عليهم:

لقد كان موسى عليه السلام أنموذجًا في صبره على رعيته صبرًا قلَّ نظيره، حتى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أثنى على صبره، فقال: (رحم الله موسى قد أُوذِيَ بأكثر من هذا فصبر)^(١)، وجاء إيدأؤهم له عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ لِآلِ رَسُولِ اللَّهِ إِيَّاكُمْ فَلَئِمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥].

وقدَّم عليه السلام لهم كلَّ شيءٍ يمكن أن يقيمه نبيٌّ لأتباعه؛ فلقد كان سببًا مباشرًا في هدايتهم، وإطعامهم وسقيهم، وإنقاذهم من الهلاك في أشدِّ الظروف قساوةً عليهم، وكلُّ ذلك كان بإذن ربِّه جلَّ جلاله.

بل كان يأمر أتباعه بالصبر والاستعانة بالله ﷻ وتوحيده؛ فهو بيده الملك، وهو من يُعطي ويمنع، ثم يناقشونه بأنهم قد أُوذوا؛ فيصبر عليه ويتكبرهم مرَّةً أخرى بأن الله ﷻ بيده الأمر، وهو من يستطيع أن يهلك عدوَّهم وينصرهم، قال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٢٨) قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ [الأعراف: ١٢٨-١٢٩].

ومن صبر موسى على قومه أنهم ما إن أنقذهم الله ﷻ من فرعون، واجتازوا البحر، رأوا قوماً لهم آلهة، فطلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهًا، وهم في الأصل قد اتَّبَعُوا موسى عليه السلام على أن يوحِّدوا الله ﷻ، فالله ﷻ هو الذي أنقذهم من فرعون وجنِّده، ولم يكن الأمر قد مضى عليه الكثير من الوقت، قال تعالى: ﴿وَجَوْرْنَا بِنْتِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مَوْسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨] (٢).

طلبوا من نبيِّ الله موسى عليه السلام أن يروا الله ﷻ جهرةً، " قالوا: يا موسى، ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَكَ جَاهِلٌ مِنْ عِبَادٍ فَقُلْ أَسْأَلُكُمْ بِاللَّهِ أَنْ يُحَدِّثَكُمْ الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ تُنظِرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥] ﴿فَتَجَرَأُوا عَلَى اللَّهِ جَرَاءً كَبِيرَةً، وَأَسَاءُوا الْأَدْبَ مَعَهُ﴾ (٣) قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مَوْسَى لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّلْبَةَ وَأَنْتُمْ تُنظِرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥]

(١) صحيح البخاري، باب غزوة الطائف: (٤٣٣٦)، (١٥٩/٥).

(٢) ينظر: الطبري جامع البيان: (٨١/٢)

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن: (٣٠٣/١).

لم يُعجبهم أنهم يتناولون لونا واحداً من الطعام، فطلبوا ألواناً كثيرة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١].

قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصِرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَا لَهُمْ بِحَالِصَةِ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ [ص: ٤٥-٤٧]

قال ابن عاشور: "وَتَكَرَّرَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ ذِكْرًا اقْتِدَاءً وَانْتِسَاءً بِهِمْ، فَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا عُرِفَ مِنْ صَبْرِهِ عَلَىٰ أَدَىٰ قَوْمِهِ، وَالْقَائِمَةِ فِي النَّارِ، وَابْتِلَاءِهِ بِتَكْلِيفِ ذَبْحِ ابْنِهِ، وَأَمَّا ذِكْرُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فَاسْتِطْرَادًا بِمُنَاسَبَةِ ذِكْرِ إِبْرَاهِيمَ وَلَمَّا اشْتَرَكَا بِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ مَعَ أَبِيهِمُ الَّتِي يَجْمَعُهَا اشْتِرَاكُهُمْ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: (أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصِرِ) لِيَقْتَدِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثَتِهِمْ فِي الْقُوَّةِ فِي إِقَامَةِ الدِّينِ وَالْبَصِيرَةِ فِي حَقَائِقِ الْأُمُورِ" (١).

سابعاً: . الدفاع عن الرعية ونصرتهم:

الراعي الإيجابي لرعيته لا يكتفي بأن يكون رأس الرمح في رعاية وحكم قومه، فيكون إمامهم وأمامهم في كلِّ المواقف، بل يُدافع عنهم في المواقف عامّة، وفي موقف الظلم خاصة، ويضحي من أجل ذلك بما هو عزيزٌ عنده، فهذا موسى عليه السلام يدافع عن بني إسرائيل ويستنكر إذلال واستعباد فرعون لهم فقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ٢٢] أي وما أحسنت إلي وريبتني مقابل ما أسأت إلي بني إسرائيل، فجعلتهم عبيداً وخداماً، تصرفهم في أعمالك ومشاق رعيته، أفيني إحسانك إلي رجل واحد منهم بما أسأت إلي مجموعهم؟ أي ليس ما ذكرته شيئاً بالنسبة إلي ما فعلت بهم (٢)

قال السدي والطبري والفراء: هذا الكلام من موسى عليه السلام على جهة الإقرار بالنعمة؛ كأنه يقول: نعم؟ وتربيتك نعمة علي من حيث عبدت غيري وتركتني، ولكن لا يدفع ذلك رسالتي. وقيل: هو من موسى عليه السلام على جهة الإنكار؛ أي أتمن علي بأن ربيتي وليدا وأنت قد استعبدت بني إسرائيل وقتلتهم؟! أي ليست بنعمة؟ لأن الواجب كان ألا تقتلهم ولا تستعبدهم فإنهم قومي؛ فكيف تذكر إحسانك إلي على الخصوص؟ (٣)

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير: (٢٢/٢٧٦).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: (٦/١٣٨).

(٣) القرطبي، جامع البيان: (١٣/٩٥).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [القصص: ١٥].

قَصَّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْنَا قِصَّةَ الرَّجُلِ الَّذِي طَلَبَ مِنْ مُوسَى النَّصْرَةَ، فَهَبَ مُوسَى لِنَصْرَتِهِ وَإِغَاثَتِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [القصص: ١٤-١٥].

عن سعيد بن جبیر قال: "سألت عبد الله بن عباس عن قول الله عز وجل لموسى عليه السلام وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فسألته عن الفُتُونِ، ما هو؟ فقال... فلما بلغ أشده، وكان من الرجال، لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل معه بظلم ولا سُخْرَةَ، امتنعوا كلَّ الامتناع"^(١)

لقد وضع نبيُّ الله موسى عليه السلام نفسه تحت طائلة المساءلة، وأصبح مطلوباً للقضاء من جرّاء أنه قتل رجلاً من المصريين دفاعاً عن رجلٍ من أبناء جلدته، واضطرَّ عليه السلام لأن يهاجر، ويترك الأرض التي وُلد عليها، فتركها لعشر سنين، ولكن كل ذلك لم يكن عائفاً، فالقائدُ الإيجابي الناجح هو من يُدافع عن أتباعه، بَعْضِ النظر عن النتائج، فالحسابات لا ما يخسر هو شخصياً، بل ما يخسر الجميع، فمصلحةُ الأمة تُقدّم عنده على مصالح الفرد، وإن كان هذا الفرد هو نفسه، وتُقدّم خصوصاً على مصالحه الشخصية، كما لا بدّ من لفت النظر إلى أن موسى عليه السلام حين دافع عن الرجل الذي من أتباعه، لم يكن يقصد قتل الرجل الآخر؛ وإنما دافعه أو ضربه بيده.

وَلَمَّا تَظَاهَرَتْ فُرَيْشٌ عَلَى خُرَاعَةٍ وَأَصَابُوا مِنْهُمْ وَنَقَضُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْعَهْدِ بِمَا اسْتَحَلُّوا مِنْ خُرَاعَةٍ وَكَانُوا فِي عَهْدِهِ حَرَجَ عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ الْخُرَاعِيَّ، حَتَّى قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا هَاجَ فَتَحَ مَكَّةَ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ جَالِسٌ بَيْنَ ظَهْرَانِي النَّاسِ، فَقَالَ:

لَا هُمْ إِيَّيْ نَاشِدٌ مُحَمَّداً ... حَلَفَ أَبِيْنَا وَأَبِيهِ الْأَتْلَدَا

(١) صحيح النَّسَائِي السنن الكبرى باب نقض أهل العهد أو بعضهم العهد (١٨٨٥٩) (٣٩٠/٩)، قال ابن كثير في (تفسير القرآن) (٢٧٩/٥): موقوف، وكأنه تلقاه ابن عباس رضي الله عنه مما أبيع نقله من الإسرائيليات عن كعب الأحبار أو غيره. وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد): رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصَّحِيح، غير أصبغ بن زيد والقاسم بن أبي أيوب وهما ثقتان. وصحَّ إسناده البوصيري في (إتحاف الخيرة المهرة) (٢٣٤/٦).

إِنَّ فُرَيْسًا أَخْلَفُوكَ الْمُوْعَدَا ... وَتَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُوَكَّدَا

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "نُصِرْتُ يَا عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ". فَمَا بَرِحَ حَتَّى مَرَّتْ عَنَانَةٌ فِي السَّمَاءِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: - (إِنَّ هَذِهِ السَّحَابَةَ لَتَسْتَهْلُ بِبَصْرِ بَنِي كَعْبٍ). وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - النَّاسَ بِالْجِهَازِ وَكَتَمَهُمْ مَخْرَجَهُ وَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُعَمِّيَ عَلَى فُرَيْشٍ حَبْرَهُ حَتَّى يَبْعَثَهُمْ فِي بِلَادِهِمْ^(١). سنده قوي، مشهور^(٢)

وعن أبي مسعود البديري رضي الله عنه قال: (كنت أضرب غلامًا لي بالسُّوطِ، فسمعت صوتًا من خلفي: اعلم أبا مسعود. فلم أفهم الصَّوت من الغضب، قال: فلما دنا مِنِّي إذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هو يقول: اعلم، أبا مسعود، اعلم، أبا مسعود. قال: فألقيت السُّوط من يدي، فقال: اعلم، أبا مسعود، أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ. قال: فقلت: لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا. وفي رواية: فقلت: يا رسول الله، هو حرٌّ لوجه الله، فقال: أما لو لم تفعل لَلْفَحْتِكَ النَّارَ، أو لَمَسْتِكَ النَّارَ)^(٣).

ويتضح مما سبق أهمية الدفاع عن الرعية والرحمة والشفقة بهم ونصرة المظلوم والأخذ على يد الظالم، وكم ظلمت شعوب وغلبت على أمرها ولانجد من الحكام من يدافع عنها ويهتم بحقوقها، فنسأل الله أن يُلطف بالأمة ويصلح شأن الراعي والرعية.

(١) البيهقي، سنن البيهقي، باب نقض أهل العهد أو بعضهم: (١٩٣٣١)، (١٦٢/٤٧).

(٢) ينظر: الصوياني أبو عمر، محمد بن حمد الصَّحِيحُ من أحاديث السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ: (٤٤٧/١): دار الوطن للنشر، الطبعة الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

(٣) صحيح مسلم، باب صحبة الممالئك وكفارة من لطم عبده: (١٦٥٩)، (١٢٨١/٣).

الخاتمة

الحمد لله الذي يسر إتمام هذا البحث، وأسبغ علي النعمة بأن شرفني بالبحث في سير أولى العزم من الرسل عليهم السلام، وهم خيرة خلق الله، وأصفياءه من عباده، عليهم الصلاة و السلام، ولقد عاش الباحث مع سير عطرة ندية، ومواقف زكية تنشرح لها الصدور، وتشتاق لها القلوب، كيف لا وهو حديث عمّن كانوا محل العناية الربانية، فكان الوحي ينتبع أقوالهم وأفعالهم، بل وخطراتهم وينزل فيها توجيه للناس يتلى إلى قيام الساعة، وهم من أعظم أنبياء الله، دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت الشرائع، وأولهم نوح و آخرهم محمد - عليه الصلاة والسلام - .

نتائج البحث :

لقد كان للبحث عدة نتائج من أهمها :

- أن العلاقات الاجتماعية تعد من أهم العلاقات التي ينبغي العناية بها، والحرص على تقويتها وتعزيزها، ولهذه العلاقات أهمية كبيرة في حياة الناس وذلك لما لها من آثار تربوية، ومنافع اجتماعية تؤدي إلى نمو الأفراد، وإشباع الحاجات العضوية والنفسية لديهم .
- أن البشرية في حاجة ماسة إلى الاستفادة من سير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ذلك أن السعادة والنجاح لا يكون إلا من طريقهم، ولا ينال إلا من جهتهم، وخير الدنيا والآخرة مرهون بلزوم طريقهم.
- أن بيوت النبوة كانت محل العناية الربانية، والتوجيهات الإلهية، وكانت تصرفاتهم قدوة لجميع الناس، وعلاقاتهم بأسرهم ومجتمعاتهم فيها العلاج لكثير من القضايا الأسرية والاجتماعية.
- أن أهم الأسس التي قامت عليها العلاقات الاجتماعية والأسرية داخل بيوت أولى العزم من الرسل - عليهم السلام - تمثلت في : الأساس الحقوقي، والأخلاقي، والنفسي.
- العلاقات الاجتماعية في حياة أولى العزم من الرسل - عليهم السلام - ملاذ آمن للمجتمع إذ يحقق اللحمة الاجتماعية بين أطرافه، ويبلغ المجتمعات مقومات الأمن والسلامة .
- تميزت العلاقات الأسرية والاجتماعية في بيوت أولى العزم من الرسل - عليهم السلام - بالتنوع والمناسبة وجودة التأثير.
- أن العلاقة الوالدية من أهم العلاقات الأسرية والاجتماعية، وأهم الأساليب فيها ما كان راجعا إلى رضى الوالدين، وجماع ذلك البر بهم في حال الحياة وبعد الممات.
- أن العلاقة الزوجية تمثل محور العلاقة الأسرية والاجتماعية، وترجع أهمية الأساليب المستخدمة فيها إلى ما فيه تقريب لوجهات النظر بين الزوجين، وما فيه إشباع للجوانب النفسية والعاطفية.
- أن العلاقة الأخوية تعد من العلاقات المهمة، ولكنها ليست في مرتبة العلاقات السابقة، وأهم الأساليب في التعامل فيها راجع إلى ما فيه إشباع للجوانب الاجتماعية.

- أن العلاقة مع الأهل والعشيرة ومع الضيف والجار تعد من العلاقات المهمة، فهي محور أساس لبناء المجتمعات وترابطها، وأهم الأساليب في التعامل فيها راجع إلى ما فيه إشباع للجوانب الاجتماعية.
- أن العلاقة مع الراعي والرعية تعد من العلاقات المهمة فهي محور أساسي لبناء المجتمعات والدول، وأهم الأساليب في التعامل فيها راجع إلى ما فيه إشباع للجوانب الأخلاقية والاجتماعية.
- أن من مصادر التربية الإسلامية الأصيلة سير الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -، ومصدرها الكتاب والسنة الصحيحة عن رسول الله - ﷺ - فليهما العمدة و فيهما الغنية، وما ورد من أخبار ينقلها علماء السير والتاريخ، أو ما ورد في كتب بني إسرائيل فهي مرويات يستأنس بها، ولا يعتمد عليها في معرفة الأحكام والتشريعات.
- أن العلاقات الأسرية والاجتماعية كانت محل عناية ورعاية في جميع الشرائع السماوية على امتداد الأزمان وتناولها في تاريخ البشرية.

المقترحات :

- يقترح الباحث إقامة دراسة حول العلاقات في حياة الخلفاء الراشدين، والغرض منها بيان اختلاف الزمان بعد زمن النبوة والوحي، وكيف أن التعامل اختلف بما يلائم ذلك.
- يقترح الباحث إجراء دراسات ميدانية متعلقة بالمجتمعات الإسلامية، يتم التعرف فيها على مدى ارتباط المجتمعات اليوم بمنهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.
- يقترح الباحث جعل مقرر دراسي يعنى بحياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، يركز فيه على الجوانب التربوية والنفسية في حياتهم، بدل الاقتصار على السرد التاريخي.

الفهارس

١ - فهرس الآيات القرآنية

٢ - فهرس الأحاديث

٣ - فهرس الأعلام المترجم لهم

٤ - فهرس المراجع والمصادر

٥ - فهرس الموضوعات

١. فهرس الآيات

الصفحة	سورة البقرة
٧	﴿ وَلَا تَعْرَمُوا عُقْدَةَ الْبَيْتِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكَيْبُ أَجَلَهُ ﴾ البقرة: ٢٣٥
١٤	﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ البقرة: ١٢٤
١٤	﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ ﴾ البقرة: ١٢٥
١٤	﴿ وَمَن يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ البقرة: ١٣٠
١٥	﴿ قَالَ يَتَّخِذُ الَّذِينَ كَفَرُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ سِوَاكَ بَنِيًّا لَّا يَدْرُونَ ﴾ البقرة: ٣٣
١٥	﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ البقرة: ٣٥
٢٧	﴿ فَإِنَّمَا يَتَّبِعُكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ البقرة: ٣٨
٢٩	﴿ وَالْمُطَلَقَاتُ يَرْتَغَنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ البقرة: ٢٢٨
١٦+١٥	﴿ قَالَ تَعَالَىٰ ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ البقرة: ٢٥٣
٣٣	﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ البقرة: ١٤٣
٥٦	﴿ لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِن نِّسَابِهِمْ تَرِيبٌ أَرْبَعَةٌ أَشْهُرٌ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ البقرة: ٢٢٦
٦٢	﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ﴾ البقرة: ١٢٧
٦٢	﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ﴾ البقرة: ١٢٨
٦٦	﴿ قَالَ تَعَالَىٰ ﴿ وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ ﴾ البقرة: ١٣٢
٦٧	﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ البقرة: ١٣١-١٣٢
٧٦	﴿ فِيمَتٍ وَهُوَ كَافِرٌ ﴾ [البقرة: ٢١٧]
٧٨	﴿ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا ﴾ [البقرة: ١٣٣]
١٢١	﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَن تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ البقرة: ١٧٧
١٣٧	﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ البقرة: ٤٥
١٣٨	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾ البقرة: ٢٥٨
١٤١	﴿ وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ﴾ البقرة: ٦٠
١٥٠	﴿ وَإِذْ قُلْنَا يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ البقرة: ٥٥
+١٤١+١١٥ ١٥١	﴿ وَإِذْ قُلْنَا يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامِ وَاحِدٍ ﴾ سورة البقرة: ٦١
سورة آل عمران	
١١١+٦٣+٧	﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنْ لَّهُمْ ﴾ آل عمران: ١٥٩
٨	﴿ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ آل عمران: ١٨٦

٣٣	﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ آل عمران: ١١٠
٣٦	﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ آل عمران: ١٠٣
٤٠	﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ آل عمران: ١٠٤ - ١٠٥
١٤٧	﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغُلَّ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ آل عمران: ١٦١
سورة النساء	
١٤	﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ النساء: ١٢٥
١٥	﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ النساء: ١٦٤
١٧	﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ النساء: ١٥٧-١٥٨
١٧	﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ النساء: ١٥٩
١٠٩+٢٥	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ النساء: ١
٢٥	﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ النساء: ١٨٧
٣٠	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ﴾ النساء: ١٩
٣٣	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ النساء: ١٧٠
٣٨	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ النساء: ٢٩
٣٨	﴿ وَلَا تَوْنُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالِكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا ﴾ النساء: ٥
٣٨	﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ ﴾ النساء: ٨
٣٩	﴿ * وَعَبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ النساء: ٣٦ - ٣٨
٧٣	﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ ﴾ [النساء: ١٧، ١٨].
٧٩	﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥]
٨٣	﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِكْرِ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ﴾ النساء: ١١
١٢١	﴿ * لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ﴾ النساء: ١٤٨
١٠٨+٥٢	﴿ وَاللَّتِي نَخَاوَتْ نَشُوزَهُنَّ فَعَظُوهُنَّ ﴾ النساء: ٣٤
١٢٦+١٢٥	﴿ * وَعَبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ النساء: ٣٦
سورة المائدة	
١٧	﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ المائدة: ١١٠
٤٠	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ سُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾ المائدة: ٨
١٣٧	﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ المائدة: ٢
١٤٠	﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ المائدة: ١١٧
سورة الأنعام	
٥	﴿ وَمِنْ ءَابَائِهِمْ وَذُرِّيَّهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَأَجْنَبتَهُمْ وَهَدَيْتَهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ الأنعام: ٨٧

١٤٥+٧+٥	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ ﴾ الأنعام: الآية ٩٠
٣٥	﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبَتَغَى حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴾ الأنعام- ١١٤
٣٥	﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الأنعام ١٦٢ - ١٦٣
٣٦	﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَأَنتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ الأنعام : ١٥٩
٣٦	﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ الأنعام ١٥٣
٤٠	﴿ وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ الأنعام ١٥٢
٧٨	﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ [الأنعام: ٨٤- ٨٦]
٩١	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأبيه إِذَا زَرَّ اتَّخِذْ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ﴾ الأنعام ٧٤
١٣٩	﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ الأنعام ٧٦- ٨٠
سورة الأعراف	
١٥	﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ ﴾ الأعراف: ١٤٣- ١٤٤
١٠٢	﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوَتِي وَادْخُلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ الأعراف: ١٥١
١٣٧	﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ الأعراف ١٣٧
١٤١	﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ﴾ الأعراف ١٦٠
١٤١	﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ الأعراف ٥٩
١٤٧	﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ الأعراف ١٨١
١٥٠	﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ ﴾ الأعراف ١٢٨ - ١٢٩
١٥٠	﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ الأعراف ١٣٨
١٠٢+٩٧	﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ﴾ الأعراف ١٥٠
١٠٢+٩٩	﴿ وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأْتَمَمْنَا بَعَثِهَا بِعَشْرٍ ﴾ الأعراف ١٤٢
١١٨+١٠٣	﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ الأعراف ١٩٩
سورة التوبة	
٣١	﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ التوبة ١٠٣
٣٤	﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾ التوبة ١٠٨
٣٤+٣٠	﴿ أَفَمَنْ أُسِّسَ بُيُوتُهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ ﴾ سورة التوبة ١٠٩
٧٥	﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَاللَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة: ١١٣]
٩٢	﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأبيه إِلَّا عَن مَّوَدَّةٍ وَعَدَّهَا بِإِسَاءَةٍ ﴾ التوبة ١١٤
٩٣	﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَاللَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ التوبة ١١٣
١١١	﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ التوبة ١٢٨
١١٨+١١٧	﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ التوبة ٨٠- ٨٤

سورة يونس	
٨٧	﴿ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ ﴿٣٢﴾ يونس: ٣٢
١١٣	﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صَدِيقٍ ﴾ يونس ٩٣
سورة هود	
١٥	﴿ قَالُوا يَنُوحُ قَدْ جَدَلْنَاكَ فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا ﴾ هود ٣٢ - ٣٣
٢١	﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَدِيبٍ ﴾ ﴿٩١﴾ سورة هود ٩١
٦٩	﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ﴾ هود ٤٢
٦٩	﴿ قَالَ سَاوِيَ إِلَىٰ جِبَلٍ يَّعِصْمُنِي مِنَ الْمَاءِ ﴾ هود ٤٣
١١٢	﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنَ إِبرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ ﴿٧٦﴾ هود ٧٤-٧٦
١٢٣	﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبرَاهِيمَ بِالْبَشْرَىٰ ﴾ هود ٦٩
١٣٧	﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ ﴾ هود ٤٩
سورة يوسف	
٩٦	﴿ وَرَفَعَ أَبُوتِهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ يوسف ١٠٠
١٠٠	﴿ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوَّةُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ ﴿٩٣﴾ يوسف ٩٣
١٠٠	﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبُوتِهِ ﴾ يوسف ٩٩
١٠١	﴿ قَالَ لَا تَأْتِبَ عَلَيَّكُمْ الْيَوْمَ يَعْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ﴿٩٢﴾ يوسف ٩٢
١٤٥	﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ يوسف ١١١
سورة الرعد	
١١٤	﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ الرعد ٢٢
سورة إبراهيم	
١٣٧	﴿ وَمَا لَنَا إِلَّا نَسْوَكَلَّ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ﴾ إبراهيم ١٢
سورة النحل	
١٤٥+١٤	﴿ إِنَّ إِبرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ النحل ١٢٠
٣٢	﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ النحل ٧٢
١٣٧	﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ ﴿١٣٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ النحل ١٢٦ - ١٢٧
١٤٥	﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ النحل ١٢٣
١٤٦+٤١	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ ﴿٩٠﴾ النحل ٩٠
سورة الإسراء	
١٦	﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَعَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ ﴾ الإسراء ١٠١
٨٣+٨٢	﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ الإسراء ٢٤
٧٨	﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ ﴿١٥﴾ [الإسراء: ١٥]
٧٩	﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ ﴿١٥﴾ [الإسراء: ١٥]

سورة الكهف	
١١٤	﴿ وَأَصِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشَىٰ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ الكهف ٢٨
سورة مريم	
+٩٢+٨٧+١٤ ١١٤	﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ مريم ٤١ - ٤٥
١٧	﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ مريم ٣٠-٣٣
١٧	﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَّتْ مِنْ أهلكَهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ مريم ١٦-٢٢
٨٣	﴿ وَرَبًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ مريم ٣٢
٨٩	﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾ مريم: ٤٢
٩٠	﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعَلِيمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾ مريم ٤٣
٩٠	﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ مريم ٤٥
٩٢	﴿ فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْجُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ مريم ٤٩
١٠٨	﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ مريم ٥٤ - ٥٥
سورة طه	
٩+٨+٤+٣	﴿ وَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلِ فَسَيَ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ طه ١١٥
١٥	﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ طه ١١٧
٤٦	﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴾ طه ٩ - ١٠
	﴿ وَلَوْ أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا [طه:١٣٤]
٩٩	﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴾ هرون آخي ﴿ طه ٢٩-٣٠
١٠٢	﴿ وَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلِ يَتَقَوَّمُوا إِنَّمَا قُتِلْتُمْ بِهِ ﴾ طه ٩٠. ٩١
سورة الأنبياء	
٦٠	﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾ الأنبياء ٧٢
٣٣+١١١	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ الأنبياء ١٠٧
سورة الحج	
٣٥	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا ﴾ الحج ٧٧-٧٨
٣٩	﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ﴾ الحج ٤١
سورة الفرقان	
٣٢	﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ الفرقان: ٧٤
سورة الشعراء	
١٠٩+٩٠+٦١ ١٠٩+	﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ الشعراء ٢١٤
١٥١	﴿ وَذَلِكَ نِعْمَةٌ تَمُّهَا عَلَىٰ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ الشعراء: ٢٢
سورة النمل	
١٦	﴿ وَادْخُلْ بِدَكَ فِي جَبِّكَ تَخْرُجُ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ فِي تِسْعِ ءَايَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ﴾ النمل ١٢
سورة القصص	

٤٨	﴿ قَالَتْ إِحَدِلُهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنِّي خَيْرٌ مِمَّنْ اسْتَجَرَ آلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص: ٢٦]
٦٠	﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦]
٧٨	﴿ وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ [القصص: ٤٦].
٨٠	﴿ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ﴾ [القصص: ٤٧].
٩٩	﴿ وَأَخِي هَٰذِرُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ﴾ [القصص: ٣٤]
١٢٠	﴿ فَجَاءَتْهُ إِحَدِلُهُمَا تَمَثَّيَ عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ ﴾ [القصص: ٢٥]
١٥٢	﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [القصص: ١٤-١٥]
سورة العنكبوت	
٦٨+١٤	﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾ [العنكبوت: ٢٧]
١٥	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ [العنكبوت: ١٤-١٥]
٨١	﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ [العنكبوت: ٨]
١٤٠	﴿ يٰٓعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ ﴾ [العنكبوت: ٥٦]
١٤١	﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ﴾ [العنكبوت: ١٦]
سورة الروم	
٢٩+٢٨+٢٥	﴿ وَمِن ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ [الروم: ٢١]
سورة لقمان	
٣٨	﴿ يٰٓبَنِي آدَمَ اقِمِ الصَّلَاةَ وَامْرُءًا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ﴾ [لقمان: ١٧]
٧٥	﴿ وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [لقمان: ١٥]
٨٣	﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ [لقمان: ١٤-١٥]
سورة السجدة	
٧٩	﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ [السجدة: ٣].
سورة الأحزاب	
١١+٩+٦	﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ [الأحزاب: ٧]
٧٧	﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦]
١٣٠	﴿ وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغيرِ مَا أَكْتَسَبُوا ﴾ [الأحزاب: ٥٨]
١٤٥	﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١]
سورة سبأ	
٧٩	﴿ وَمَا ءَاتَيْنَاهُمْ مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴾ [سبأ: ٤٤].
سورة يس	
٧٨	﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ ءَابَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴾ [يس: ٦]
سورة الصافات	
٤	﴿ وَإِنَّ يُوسُفَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات: ١٣٩]

٤	﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ ﴿١٣٧﴾ الصافات: ١٤٧
٦٤	﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي آرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ﴾ الصافات ١٠٢
٦٥	﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ ﴿١٣٧﴾ الصافات ٧٧
٩٢	﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَبَّحِينَ ﴾ ﴿١٣٧﴾ الصافات ٩٩
سورة ص	
١٥١	﴿ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴾ ﴿٤٥﴾ ص ٤٥ . ٤٧
سورة غافر	
٧٣	﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ [غافر: ٨٥]
١٢٧	﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾ غافر: ٢٨
سورة الشورى	
٣	﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لِمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ ﴿٤٣﴾ الشورى: ٤٣
١٤٠+١١+٩	﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا ﴾ الشورى: ١٣
١٤٧+١٤٦	﴿ فَذَٰلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ الشورى: ١٥
سورة الزخرف	
٦٦	﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ﴿١٨﴾ الزخرف ٢٨
سورة الدخان	
١٤٥	﴿ كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَّتٍ وَعَيْونِ ﴿٥٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٦﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ .. ﴾ الدخان: ٢٥ - ٢٨
سورة الأحقاف	
+١٣٧+٨+٣ ١٤٥	﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ﴾ ﴿٣٥﴾ الأحقاف ٣٥
سورة محمد	
٣٣	﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ سورة محمد ٢٢
سورة الحجرات	
٢٧+٢٦	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ ﴾ الحجرات ١٣
٩٤	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾ الحجرات ١١
سورة الذاريات	
١٢١	﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ ﴿١٥﴾ الذاريات: ٢٤
١٢٢	﴿ فَرَأَىٰ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَخِينٍ ﴿١٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ ﴿١٧﴾ الذاريات: ٢٦ - ٢٧
سورة النجم	
٧٤	﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ [النجم ١-٣]
١٦	﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ النجم : ١٠
سورة الرحمن	
٤٠	﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ ﴾ الرحمن: ٧-٩
سورة الممتحنة	
٢٦	﴿ لَا يَهْدِكُمْ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ لَمْ يُغْتَبَوْكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِينِكُمْ ﴾ الممتحنة ٨

سورة الصف	
١٥٠	﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومَ لِمَ تُؤْذُونَنِي ﴾ الصف: ٥
سورة القلم	
٧٩	﴿ يَوْمَ يَكْشِفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [القلم: ٤٢]
٩+٤	﴿ فَأَصْبَرَ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْأُحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ القلم: ٤٨
سورة نوح	
١٥	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ نوح: ٥- ١٠
٨٤	﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴿٣٧﴾ ﴾ نوح: ٢٨
١٤١	﴿ أِنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا تَشَاءُونَ وَأَطِيعُوا ﴿٣﴾ ﴾ نوح: ٣
سورة المزمل	
١٢١	﴿ إِنَّ رَبَّكَ بِعِلْمِ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ، وَثُلُثَهُ، ﴾ المزمل: ٢٠
سورة النازعات	
١٣٤	﴿ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكَبُ ﴿١٨﴾ ﴾ النازعات: ١٨
١٣٨+١٣٤	﴿ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَحْسَبْ ﴿١٩﴾ ﴾ النازعات: ١٩
سورة العصر	
٩١+٢٩	﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكْفُورٌ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ العصر ١- ٣
سورة المسد	
٩٠	﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ ﴾ المسد ١

٢. فهرس الاحاديث

م	طرف الحديث	الصفحة
١	أتدرون ما خرافة	٥٠
٢	اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ	٣٧
٣	أتي الله بعبد من عباده آتاه الله ما لا	٣٨
٤	إذا ابتغى الأمير الزببة في الناس أفسدهم	١٣٤
٥	إذا صلت المرأة خمسة وصامت شهرها	٥٨+٤٥
٦	اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمَّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي	٧٢
٧	أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي	١٨
٨	اعلم، أبا مسعود، اعلم، أبا مسعود	١٤٤
٩	افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة	٣٦
١٠	أما إن الله ورسوله غنيان عنها، ولكن جعلها الله رحمة لأمتي، فمن شاور منهم لم يعدم رشداً	٦٣
١١	آمروا النساء في بناتهن	٤٨
١٢	إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ	٧٢
١٣	إن الرجل ليبليغ درجة الصائم القائم بحسن خلقه	٣٧
١٤	إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول يا رب أنى لي هذه؟	٨٥+٩٣
١٥	إن الناس لم يزلوا مستقيمين ما استقامت لهم أئمتهم وهداتهم	١٤٦
١٦	أن النبي صلى الله عليه و سلم آلى من نسائه شهراً	٥٦
١٧	أن رسول الله ﷺ عدل صفوف أصحابه يوم بدر	١٤٨
١٨	إن شرَّ الرعاء الخُطمة	١٤٢
١٩	أن قريشاً أهمهم شأن المرأة التي سرقت	١٤٩
٢٠	إن لي جارين فالى أيهما أهدي؟ قال: إلى أقربهما منك باباً	١٢٦
٢١	إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني،	٩٥
٢٢	إن نبي الله نوحا صلى الله عليه و سلم لما حضرته الوفاة قال لابنه	٦٦
٢٣	إِنَّ هَذِهِ السَّحَابَةُ لَتَسْتَهْلُ بِبَصْرِ بَنِي كَعْبٍ	١٥٣
٢٤	أنبي مكلّم هو؟ فقال: (نعم نبي مكلّم)	١٦
٢٥	إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً - كما بدأنا أول خلق نعيده	١٤
٢٦	إنما الطاعة في المعروف	٤٥
٢٧	إنما الطاعة في المعروف	٩٠
٢٨	أي العمل أحب إلى الله	٩٠

١٠١	بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة	٢٩
٣٢	تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة	٣٠
١٣١	ثلاث خصال من سعادة المرء: الجار الصالح، والمركب الهنيء، والمسكن الواسع	٣١
٥٦	حرتك أئت حرتك أنى شئت في أن لا تضرب الوجه ولا تقبح	٣٢
٥٤	حسبك من صفية كذا	٣٣
١٠٤	خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحْمُ، فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ	٣٤
٦	خيار ولد آدم خمسة نوح وإبراهيم وعيسى وموسى	٣٥
١٣٠	خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره	٣٦
١٣٥	الدين النصيحة، قال الصحابة: لمن يا رسول الله؟	٣٧
٢٨	الراحمون يرحمهم الرحمن	٣٨
١٥٠	رحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر	٣٩
٣٠	السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمُسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ	٤٠
١٥٢	سألت عبد الله بن عباس عن قول الله عز وجل لموسى عليه السلام وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا	٤١
١١٥	الصبر نصف الإيمان	٤٢
٨٧	عم الرجل صنو أبيه	٤٣
٦٦	قال الله عز وجل الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار	٤٤
١٣	قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا خير البرية فقال رسول الله: ذاك إبراهيم	٤٥
٣٦	قَدْ تَرَكْتُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلَهَا كَنَهَارَهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ	٤٦
٤٩	قوموا فانحروا ثم احلقوا	٤٧
١٢٠	كان إبراهيم النبي -ﷺ- أول الناس أضاف الضيف...	٤٨
٣٧	كان خلقه القرآن	٤٩
٤٧	كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا صلى الصبح جلس في مصلاه	٥٠
٤٧	كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنون من إحداهن	٥١
٥٥	كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة لم يكن يسأم من ثناء عليها	٥٢
١٨	كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم	٥٣
١٣١	لا خير فيها، هي في النار	٥٤
١٣١	لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه	٥٥
٥٢	لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر	٥٦
٨٤	لأستغفرن لك ، ما لم أنه عنه	٥٧
٥٨	لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهنَّ ليس أولئك بخياركم	٥٨

١٤٤	لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشدَّ ما لقيت منهم يوم العقبة	٥٩
١٤٢	لَنْ تُرَاعُوا لَنْ تُرَاعُوا	٦٠
١٣٢	اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة	٦١
١٣٢	اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه	٦٢
١٢٩	ليس المؤمن الذي يشبع، وجاره جائع إلى جنبه	٦٣
٩٤	ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا	٦٤
١٤٦	ما استقامت بكم أمتكم	٦٥
١٢٦	ما زال يوصيني جبريل بالجار حتى ظننت أنه سيورثه	٦٦
٥٨	ما لك؟ يا عائش حشيا رابية	٦٧
١٤٣	ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم	٦٨
١٤٣	مَا مِنْ وَالٍ يَلِي رَعِيَّةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لَهُمْ	٦٩
٢٨	مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم	٧٠
٩٤	مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين	٧١
١١٠	من أنا	٧٢
ب	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره	٧٣
١٣٠	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره	٧٤
١٢٩	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره	٧٥
٣١	مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا	٧٦
١٢٧	من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن	٧٧
٥٧	ن رسول الله ﷺ سقط عن فرسه فجحشت ساقه أو كتفه وآلى من نسائه شهراً	٧٨
١١٠	هذا العباس بن عبدالمطلب أجود فريش كفاً وأوصلها	٧٩
١١١	هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يوم أحد	٨٠
١٢٩	والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره أو قال لأخيه ما يحب لنفسه	٨١
١٧	والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً	٨٢
١٣١	والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن. قيل من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه	٨٣
٨٦	الولد ألوط	٨٤
٨٦	الولد مبخلة مجهلة مجبنة محزنة	٨٥
١٢٨	يا أبا نر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك	٨٦
٩٠	يا صباحاه	٨٧

٩٠	يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله)	٨٨
٣٢	يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج	٨٩
٤٥	يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار	٩٠
١٠٩	يا معشر قريش (أو كلمة نحوها)، اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً	٩١
١٢٨	يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة	٩٢

٣. فهرس الأعلام المترجم لهم

الصفحة	الأعلام	م
٦٢	ابن القيم	١
١٢	ابن حجر	٢
٣	ابن عاشور	٣
١٦	ابن عطية	٤
١١	ابن كثير	٥
٦٩	أبو حيان	٦
٦٤	الألوسي	٧
٥٦	البخاري	٨
١١٠	الراغب الأصفهاني	٩
٧	السدي الكوفي	١٠
٢١	السعدي	١١
١٢	السفاريني	١٢
٢٥	سيد قطب	١٣
٦٦	الشنقيطي	١٤
٦	الشوكاني	١٥
ل	عبد الله بن حمد الجاللي	١٦
٧	عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج	١٧
٩	القرطبي	١٨
١١٨	الماوردي	١٩
٧	مُجاهد بن جبر	٢٠
٥٦	معاوية بن حيدة	٢١
٢٧	المودودي	٢٢

٤. فهرس المراجع والمصادر.

م	المراجع والمصادر
١	الاتصال في العلاقات العامة مرتضى البشير الأمين ، دار أمواج للنشر والتوزيع، عمان .الأردن ٢٠١٦م .
٢	الآثار أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حنيفة الأنصاري، المحقق: أبو الوفاء، دار الكتب العلمية - بيروت
٣	الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
٤	الأحكام السلطانية ، أبو الحسن علي بن محمد البصري الماوردي، دار الحديث - القاهرة .
٥	الإحكام في أصول الأحكام ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس : دار الآفاق الجديدة، بيروت.
٦	إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي الغزالي ، الناشر: دار المعرفة - بيروت
٧	الأخلاق الإسلامية وأسسها عبد الرحمن بن حسن حنيفة الميداني ، ، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ، دار القلم دمشق.
٨	الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية ، محمد عبدالحكيم خيال ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع و الترجمة.
٩	الآداب الشرعية والمنح المرعية ، محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج ، الناشر: عالم الكتب.
١٠	أدب الحوار في الاسلام: محمد سيد طنطاوي ، نهضة مصر: ١٩٩٧ الطبعة الأولى .
١١	أدب الدنيا والدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي البصري : دار مكتبة الحياة، الطبعة: بدون طبعة: ١٩٨٦م .
١٢	الأدب النبوي : محمد عبد العزيز بن علي الشاذلي الخولي دار المعرفة - بيروت الطبعة: الرابع، ١٤٢٣ هـ
١٣	الأساليب النبوية في معالجة المشكلات الزوجية ، عبدالسميع الأنيس: دار ابن الجوزي ١٤٣٦هـ
١٤	أسباب نزول القرآن ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، المحقق: كمال بسيوني زغول، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ .
١٥	الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق علي محمد الجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
١٦	الاسرة المسلمة في العالم المعاصر ، وهبة الزحيلي ، دار الفكر المعاصر ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ
١٧	الأسرة ومشكلاتها: محمود حسن، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى .
١٨	أسنى المطالب في صلة الأقارب أحمد بن محمد بن علي،: دار ابن كثير. سنة النشر: ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م الطبعة: الأولى
١٩	أصول التربية الاسلامية ، خالد بن حامد الحازمي ، دار الزمان ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٥م
٢٠	أصول التربية الاسلامية وأساليبها عبدالرحمن النحلوي، دار الفكر الطبعة: الخامسة والعشرون ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
٢١	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .
٢٢	إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين ،أبو بكر عثمان بن محمد شطا الدمياطي الشافعي،: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م
٢٣	إكمال المعلم بفوائد مسلم ،عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي ، تحقيق: الدكتور يحيى إسماعيل: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
٢٤	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصوله وضوابطه وآدابه، خالد بن عثمان السبت، المنتدى الاسلامي ١٩٩٥م الطبعة الأولى
٢٤	أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري ،: مكتبة العلوم والحكم، المدينة

	المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ٢٠٠٣/هـ١٤٢٤م
٢٦	بحر العلوم ، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي : دار الفكر - بيروت، تحقيق: د. محمود مطرجي
٢٧	البحر المحيط أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي ، عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، الطبعة : الأولى ، (٣٥٥/٧).
٢٨	البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير تحقيق علي شيري : دار إحياء التراث العربي الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ
٢٩	بر الوالدين وصلة الرحم، أسعد محمد سعيد الصاغري، مؤسسة بدران للنشر ١٩٩٦م
٣٠	بناء المجتمع الإسلامي ، نبيل السمالوطي ، ، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، الثالثة ١٤١٨هـ-١٩٩٨م
٣١	بناء المرأة المسلمة: ، خالد عبدالرحمن العك ، دار المعرفة للطباعة والنشر الطبعة السادسة .
٣٢	بنات الأفكار في أدب المناقشة والحوار، مجدي باسلوم ، دار الكتب العلمية ٢٠٠٥م
٣٣	تاريخ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي ، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
٣٤	تاريخ الأمم والملوك ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ
٣٥	تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري،(صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ) ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) دار التراث - بيروت، الطبعة: الثانية - ١٣٨٧ هـ
٣٦	تأملات قرآنية: من نبأ موسى وفرعون أحمد بن عبد الله العماري الزهراني، ، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية - العدد ١ ، سنة النشر: ١٤٢٧ هـ .
٣٧	تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق : عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي، المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣١٣ هـ .
٣٨	تحفة الأحوذني بشرح جامع الترمذي أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ،: دار الكتب العلمية - بيروت
٣٩	تحفة المودود بأحكام المولود ، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ،: تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط : مكتبة دار البيان - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٣٩١ - ١٩٧١ .
٤٠	التربية الإسلامية والطبيعة الإنسانية ، مقداد يالجن، دار عالم الكتب ٢٠٠٢م الطبعة الأولى .
٤١	التربية في السنة النبوية، حسين أبو لبابة، دار اللواء للطباعة والنشر ١٩٨٢م .
٤٢	التربية والمجتمع ، محمد الرابع الحسني الندوي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع .
٤٣	تشاجر الاشقاء محمد ديماس ،:دار ابن حزم ، الطبعة الثانية.
٤٤	تصافينا نحو بناء أسرة سعيدة ، غازي بن عبدالعزيز الشمري ، دار ابن الجوزي:١٤٣١هـ :-الدمام الطبعة: ٢:
٤٥	التعريفات الشريف علي بن محمد الجرجاني ، ، بيروت ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٥م
٤٦	تفسير ابن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير) عبد الحميد محمد ابن باديس، تحقيق: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين. دار الكتب العلمية بيروت-لبنان. الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - .
٤٧	تفسير العثميين ، محمد بن صالح بن محمد العثيمين ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ
٤٨	تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠م
٤٩	تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير ، المحقق : سامي بن محمد سلامة: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م
٥٠	التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، وهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر المعاصر - دمشق: الثانية ، ١٤١٨ هـ.
٥١	التفسير الوسيط للقرآن الكريم محمد سيد طنطاوي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، الطبعة: الأولى .

٥٢	التفسير الوسيط وهبة بن مصطفى الزحيلي ، ، دار الفكر - دمشق، ١٤٢٢هـ ،
٥٣	تتبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين ، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي ، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
٥٤	التوقيف على مهمات التعاريف زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي، عالم الكتب - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠ م .
٥٥	تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
٥٦	تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد السعدي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٥٧	جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة : دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
٥٨	الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي الأنصاري ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
٦٩	حاشية السندي على سنن النسائي: محمد بن عبد الهادي التتوي السندي، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦. كتاب عشرة النساء
٦٠	الحكم و التحاكم في خطاب الوحي، عبدالعزيز بن مصطفى كامل، دار طيبة للنشر والتوزيع ١٩٩٥م الطبعة الأولى.
٦١	الحوار آدابه وضوابطه في الكتاب والسنة: ، يحيى بن محمد حسن زمزمي ، دار التربية والتراث - رمادي للنشر، ١٤١٤ - ١٩٩٤م الطبعة الأولى.
٦٢	الحوار أصوله وآدابه السلوكية، أحمد الصويان، دار الوطن؛ سنة النشر: ١٤١٣هـ
٦٣	الحياة الزوجية في القرآن الكريم، عبدالفتاح أحمد الخطيب ، دار اليمامة الطبعة الأولى ٢٠٠٤ م .
٦٤	خالد محمد المغامسي: الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤٢٥ هـ
٦٥	دراسات عربية في علم الاجتماع الأسري، إجلال اسماعيل حلمي دار القلم ، دبي الطبعة الأولى ١٤١٠هـ
٦٦	دستور الأسرة في ظلال القرآن ، فائز أحمد، مؤسسة الرسالة الطبعة: السادسة ١٩٩٢.
٦٧	ديوان الخريمي، أبو يعقوب إسحاق بن حسان بن قوهي الخريمي ، دار الكتاب الجديد، ١٩٧١ م .
٦٨	رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني ، مطبعة سفير، الرياض.
٦٩	رسائل في أدب الحوار وفقه الخلاف وفن الإنصاف ، صالح بن عبدالله ابن حميد ،مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ الطبعة الأولى.
٧٠	رسائل في التربية والأخلاق والسلوك: محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة الرياض .
٧١	رسائل في الزواج والحياة الزوجية: محمد إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة؛ سنة النشر: ١٤١٩ - ١٩٩٩
٧٢	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الأوسلي ،تحقيق: علي عبد الباري عطية: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ .
٧٣	الرَّوْضُ البَاسِمُ فِي الذَّبِّ عَنِ سُنَّةِ أَبِي القَاسِمِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسيني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير، -تقديم: فضيلة الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد اعتنى به: علي بن محمد العمران، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع .
٧٤	زاد المسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي ، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٧٥	زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن القيم مؤسسه الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .
٧٦	الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزقاني، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد: مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
٧٧	الزواج في ظل الإسلام، عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، دار السلفية، الكويت الطبعة: الثالثة، (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) .
٧٨	زوجات الأنبياء وأمّهات المؤمنين، محمد علي قطب، (الطبعة الأولى)، القاهرة: الدار الثقافية للنشر، .
٧٩	سنن أبي داؤود، أبو داؤود سليمان بن أحمد السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
٨٠	سوء الخلق مظاهره وأسبابه وعلاجه محمد بن إبراهيم الحمد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية . الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ .
٨١	السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن تيمية، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ .
٨٢	السياسة الشرعية، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ
٨٣	سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي دار الحديث - القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م
٨٤	السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون: أبو الفرج علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية - ١٤٢٧هـ.
٨٥	السيرة النبوية دراسة تحليلية، محمد بن عبد القادر أبو فارس، دار الفرقان، عمان، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ.
٨٦	السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ) تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م
٨٧	سيرة النبي ﷺ في بيئته صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ٢٠٠٧م
٨٨	السيال الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، دار ابن حزم، الطبعة: الأولى
٨٩	شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة: محمد علي الهاشمي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة: العاشرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٩٠	شرح صحيح البخاري لابن بطلال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطلال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٩١	الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، الناشر: دار الفيحاء - عمان، الطبعة: الثانية - ١٤٠٧هـ.
٩٢	الصبر والثواب عليه أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس ابن أبي الدنيا البغدادي، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف: دار ابن حزم، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
٩٣	الصحيح المسند من أسباب النزول، مُقْبِلُ بْنُ هَادِيٍّ بْنِ مُقْبِلِ الْوَادِعِيِّ، الناشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة الطبعة: الرابعة مزيدة ومنقحة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
٩٤	الصَّحِيحُ مِنْ أَحَادِيثِ السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، أَبُو عَمْرٍ، مُحَمَّدُ بْنُ حَمْدِ الصَّوْيَانِيِّ، مَدَارُ الْوَطَنِ لِلنَّشْرِ، الطَّبَعَةُ: الْأُولَى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م
٩٥	طبقات الشافعية الكبرى تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو: هجر

	للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ
٩٦	الطبقات الكبرى ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، تحقيق: إحسان عباس: دار صادر - بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٦٨ م.
٩٧	العدالة الاجتماعية في الاسلام، سيد قطب إبراهيم، دار الشروق - ١٩٩٥م
٩٨	عصرنا والعيش في زمانه الصعب عبدالكريم بكار ، دار القلم ، دمشق الطبعة الثانية ١٤٢٥ هـ
٩٩	العلاقات الاجتماعية في القرآن ، عبدالله الحمد الجلاي ، جامعة البنجاب، لاهور قسم اللغة العربية ١٤١٢ هـ
١٠٠	العلاقات الإنسانية في المجتمع ، نور عبدالمنعم: مطبعة النهضة الحديثة، القاهرة ١٩٧٨م
١٠١	علاقة الآباء بالأبناء في الشريعة الإسلامية: سعاد إبراهيم صالح ، تهامة جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠١ هـ.
١٠٢	العلاقة الأسرية في شعر العصر العباسي المعاصر ، أمل نصيرة ، دار الإسراء عمان الطبعة الأولى ٢٠٠٥م
١٠٣	العلاقة الزوجية والصحة النفسية في الاسلام وعلم النفس: ، كمال ابراهيم مرسى ، دار القلم للنشر والتوزيع ، تاريخ النشر : ١٩٩٨م
١٠٤	علم النفس الاجتماعي ، فؤاد البهي السيد، دار الفكر العربي الطبعة الأولى ١٩٥٤.
١٠٥	علم النفس الاجتماعي، فهمي مصطفى ومحمد علي القطان ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٧٧م
١٠٦	العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسيني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير (المتوفى: ٨٤٠هـ)، ، حققه وضبط نصه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .
١٠٧	عوامل استقرار الاسرة في الكتاب والسنة ، كوثر محمد عمر ، دار خضر الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ
١٠٨	فتح الباري شرح صحيح البخاري ، احمد بن محمد ابن حجر العسقلاني ، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ .
١٠٩	فتح البيان في مقاصد القرآن القنوجي أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري ،عني بطبعه وقدم له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا ١٤٢٠. بيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
١١٠	فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، : دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ
١١١	فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي ، تحقيق: محمد حامد الفقي مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر الطبعة: السابعة، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م
١١٢	فقه السيرة النبوية محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر - دمشق الطبعة: الخامسة والعشرون - ١٤٢٦ هـ
١١٣	فقه السيرة محمد السقا الغزالي ، دار القلم - دمشق، تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ .
١١٤	فقه تربية الأبناء وطائفة من نصائح الأطباء، مصطفى العدوي، دار ماجد عسيري، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ .
١١٥	في إشراف آية، عبد الكريم بكار، دار هجر ، الطبعة الثانية ١٤٣١ هـ
١١٦	في ظلال القرآن ، سيد قطب إبراهيم ، دار الشروق - بيروت - القاهرة، الطبعة السابعة عشر - ١٤١٢ هـ.
١١٧	فيض القدير شرح الجامع الصغير: محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦ هـ.
١١٨	القاموس المحيط ، الفيروزآبادي مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.
١١٩	قاموس علم الاجتماع، الدكتور محمد عاطف غيث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م .
١٢٠	القرضاوي ، يوسف ، الصبر في القرآن الكريم، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٢١	قصص الأنبياء ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف - القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م
١٢٢	القصص القرآني صلاح الخالدي، دار القلم دمشق ١٩٩٨ م .
١٢٣	الكامل في التاريخ ،ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م
١٢٤	الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله الزمخشري : دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الثالثة - ١٤٠٧ هـ.
١٢٥	كيف عاملهم، محمد صالح المنجد، ، مجموعة زاد للنشر ١٤٣٥ هـ الطبعة الأولى ١٤٣٥ هـ .
١٢٦	لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفرقي المصري، ، طبعة دار صادر، بيروت، دار الفكر.
١٢٧	ماذا عن المرأة ، ، نور الدين عتر، دار اليمامة ، الطبعة الحادية عشرة ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣م
١٢٨	المبدع في شرح المقنع ، إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .
١٢٩	مجلة البيان ، الربيع بن ابراهيم مليحي العدد رقم (٢١٢).
١٣٠	مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيتمي ، تحقيق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م
١٣١	مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
١٣٢	محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ
١٣٣	المحرر الوجيز ، أبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي، ، دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣ هـ . ١٩٩٣ الطبعة : الأولى تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد
١٣٤	المدخل ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدي الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج ، ، دار الفكر، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.
١٣٥	مدرسة الانبياء عبر وأضواء ، محمد بسام رشدي الزين : دار الفكر المعاصر ، ٢٠٠٠ .
١٣٦	مراحل النمو في ضوء التربية الاسلامية: خالد بن حامد الحازمي ، دار الزمان سنة النشر: ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م الطبعة الثالثة.
١٣٧	المرشد في علم النفس الاجتماعي ، عبد الحميد الهاشمي ، دار الشروق ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٩ هـ .
١٣٨	المرشد في علم النفس الاجتماعي، عبد الحميد محمد الهاشمي، دار ومكتبة الهلال، دار الشروق للنشر والتوزيع، تاريخ النشر: ٢٠٠٧/١٢/٠٦م.
١٣٩	المستعاذ منه في ضوء القرآن الكريم: محمد بن زيلعي هندي، ، مجلة البحوث والدراسات القرآنية العدد الخامس العدد الثالث .
١٤٠	المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي
١٤١	مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة عدنان حسن صالح باحارث،: دار المجتمع للنشر والتوزيع بجدة المشكلات الاسرية والاساليب العلاجية ، الحازمي خالد ، مطابع الرشيد ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ
١٤٢	المصنف ، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي ابن أبي شيبه ، المحقق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ
١٤٣	معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود البغوي تحقيق: حقه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر -عثمان جمعة ضميرية

	- سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م
١٤٤	المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: دار الكتب المصرية، سنة النشر: ١٣٦٤ هـ .
١٤٥	معجم مقاييس اللغة ابن فارس أبو الحسين أحمد بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م
١٤٦	مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م
١٤٧	المغيث في غريب القرآن والحديث، محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد المدني الأصبهاني، دار الكتب العلمية - بيروت، سنة النشر سنة ٢٠١٠ م
١٤٨	مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م الطبعة: الأولى .
١٤٩	المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني تحقيق وضبط: محمد خليل عيتاني - الطبعة الثالثة ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م - دار المعرفة. بيروت.
١٥٠	المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم: عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ.
١٥١	المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: أحمد بن عمر بن إبراهيم، دار ابن كثير. سنة النشر: ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م الطبعة: الأولى
١٥٢	من أخطاء الأزواج، محمد بن إبراهيم الحمد، ابن خزيمة؛ سنة النشر: ١٤٢٠ - ١٩٩٩ م
١٥٣	مناهج الشريعة الإسلامية، أحمد محيي الدين العجوز: مكتبة المعارف - بيروت ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م.
١٥٤	المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر، طبع مؤسسة الأهرام، الطبعة: الثامنة عشر، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م -
١٥٥	المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ .
١٥٦	المنهج النبوي في تربية الطفل عبدالباسط محمد السيد، مكتبة ألفا القاهرة ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م .
١٥٧	المهذب المستفاد التربية الأولاد: جاد الله بن حسن الخداس، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠٠ م.
١٥٨	موسوعة نضرة النعيم في مكارم الرسول الكريم: صالح بن عبدالله ابن حميد، وآخرون، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة: الرابعة (٣٠٧٧/٧).
١٥٩	الميسر في علم النفس الاجتماعي مرعي، توفيق و أحمد بلقيس، دار الفرقان، عمان، الطبعة الأولى ١٤٠٣٢ هـ
١٦٠	النبي المرابي أحمد رجب الأسمر، دار الفرقان للنشر والتوزيع - عمان سنة النشر: ١٤٢٢ هـ
١٦١	نحو إحكام لمنهج العامل مع الحكام، أحمد بن حسن المعلم، مركز الكلمة الطيبة للبحوث والدراسات صنعاء، الطبعة الأولى ٢٠١١ م
١٦٢	نحو تربية اسلامية راشدة: محمد بن شاكر الشريف، البيان ١٤٢٧ هـ .
١٦٣	نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - لبنان / بيروت - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م الطبعة: الأولى
١٦٤	نظام الأسرة في الإسلام، مناع القطان، دار الثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى ١٩٦١ م.
١٦٥	النظام السياسي في الإسلام، محمد أبو فارس، طبعة دار الفرقان، عمان - الأردن سنة ١٩٨٦ م.
١٦٦	النكت والعيون أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب المارودي، : تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبدالرحيم دار الكتب العلمية - بيروت .

النهاية في غريب الحديث والأثر ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم ابن الأثير الشيباني الجزري، ، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي	١٦٧
النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م	١٦٨
نهى الصحبة عن النزول بالركبة ،أبو إسحاق الحويني الأثري حجازي محمد شريف، ، دار الكتاب العربي، بيروت - دار المشرق العربي، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م	١٦٩

٥ - فهرسة الموضوعات

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة.....	ب
استهلال	ج
إهداء.....	د
شكر وتقدير.....	هـ
ملخص البحث.....	و
المقدمة.....	ح
مشكلة البحث.....	ط
أهداف الدراسة و أهمية البحث.....	ي
أسباب اختياره:.....	ك
الدراسات السابقة.....	م
منهج البحث.....	ع
خطة البحث.....	ف
الفصل الأول: أولو العزم من الرسل عليهم السلام ومفهوم العلاقات الاجتماعية وفيه مبحثان:	١
المبحث الأول: أولو العزم من الرسل عليهم السلام ومفهوم العلاقات الاجتماعية وفيه مطلبان:	٢
المطلب الأول: أولو العزم من الرسل	٣
المطلب الثاني: مفهوم العلاقات الاجتماعية.....	١٩
المبحث الثاني: مقاصد وأسس العلاقات الاجتماعية وفيه مطلبان	٢٤
المطلب الأول: مقاصد العلاقات الاجتماعية في الاسلام.....	٢٥
المطلب الثاني: أسس العلاقات الاجتماعية.....	٣٤
الفصل الثاني: أولو العزم من الرسل والعلاقات الاجتماعية الخاصة وفيه مبحثان	٤٢

المبحث الأول: علاقة أولي العزم من الرسل بزوجاتهم وأولادهم مطلبان:.....	٤٣
المطلب الأول: علاقة أولي العزم من الرسل بزوجاتهم.....	٤٤
المطلب الثاني: علاقة أولي العزم من الرسل بأولادهم.....	٦٠
المبحث الثاني: علاقة أولي العزم من الرسل بأبائهم وإخوانهم: وفيه مطالب:.....	٧١
المطلب الأول: أبوي رسول الله.....	٧٢
المطلب الثاني: علاقة أولي العزم من الرسل بأبائهم.....	٨١
المطلب الثالث: علاقة أولي العزم من الرسل بإخوانهم.....	٩٤
الفصل الثالث: أولو العزم من الرسل والعلاقات الاجتماعية العامة وفيه مبحثان.....	١٠٥
المبحث الأول: علاقة أولي العزم من الرسل بقومهم وبالجار والضيف وفيه مطلبان:.....	١٠٦
المطلب الأول: علاقة أولي العزم من الرسل بقومهم.....	١٠٧
المطلب الثاني: علاقة أولي العزم من الرسل بالجار والضيف.....	١٢٠
المبحث الثاني: علاقة أولي العزم من الرسل بالرعي والرعية، وفيه مطلبان:.....	١٣٣
المطلب الأول: علاقة أولي العزم من الرسل بالرعي.....	١٣٤
المطلب الثاني: علاقة أولي العزم من الرسل بالرعية.....	١٤٠
الخاتمة.....	١٥٤
النتائج.....	١٥٤
المقترحات.....	١٥٥
فهرس الآيات.....	١٥٧
فهرس الأحاديث.....	١٦٥
فهرس الأعلام.....	١٦٩
فهرس المراجع والمصادر.....	١٧٠
فهرس الموضوعات.....	١٧٨